د. محمد محمد داود

العربية

وعلم اللغة الحديث





العربيـــة

وعلـم اللغـة الحديـث

الدكتور

محمد محمد داود

كلية التربية - جامعة قناة السويس



الـكـتـاب : العربية وعلم اللغة الحديث

المؤلـف : د/ محمد محمد داود

رقم الإيداع : ١٧٤٠٢

تاريخ النشر : ٢٠٠١

الترقيم الدولى : I. S. B. N. 977-215-633-4

الناشر دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع
شركة ذات مسئولية محدودة

الإدارة والمطابع ١٢ شارع نوبار لاظوغلى (القاهرة)

ت : ٧٩٤٢٠٧٩ فاكس ٧٩٥٤٣٢٤

التوزيع : دار غريب ٣.١ شارع كامل صدقى الفجالة - القاهرة

ت ٥٩٠٢١٠٧ - ٥٩١٧٩٥٩

إدارة التسويق والمعرض الدائم : ١٢٨ شارع مصطفى النحاس مدينة نصر - الدور الأول
ت ٢٧٣٨١٤٢ - ٢٧٣٨١٤٣

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ ﴾ الروم / ٢٢

ثَبَتُ الموضوعات

مقدمـــة	(١٧ : ١٩)
الفصل الأول: اللغة العربية والقرآن الكريم	(٢١ : ٤٠)
أثر القرآن الكريم فى اللغة العربية	٢٣
حفظ اللغة العربية	٢٣
استقرار اللغة العربية	٢٣
صوتيات القرآن واستقرار العربية	٢٦
توحيد اللهجات العربية	٣٣
اثراء وتنمية اللغة العربية	٣٦
تهذيب اللغة العربية	٣٨
سعة انتشار اللغة العربية	٣٩
القرآن مفجر علوم العربية	٤٠
الفصل الثانى: اللغة: تعريفها وأهم خصائصها	(٤١ : ٦٠)
تعريف اللغة	٤٣
أهم خصائص اللغة	٤٥
أولاً: الطبيعة الصوتية للغة	٤٥

الصوت الإنسانى طاقة تعبيرية بلا حدود ٤٧
ثانيًا: الطبيعة الاجتماعية للغة ٤٩
ثالثًا: اللغة متغيرة ٥٢
التغير الصوتى ٥٢
التغير الصرفى ٥٣
التغير التركيبى ٥٣
التغير الدلالى ٥٥
رابعًا: اللغة مكتسبة ٥٧
خامسًا: اللغة نسق ٥٨
الفصل الثالث: اللغة واللهجة واللحن (٦١ : ٧٣)
اللغة واللهجة ٦٣
لهجة الفرد ٦٦
العلاقة بين اللغة واللهجة ٦٦
اللهجة واللحن ٦٨
اهتمام القدماء بجمع اللهجات المختلفة ٦٨
لهجات حفظها القرآن من الاندثار ٧١

الفصل الرابع: علم اللغة: النشأة والملامح والمناهج والصلة بالعلوم الأخرى (٧٥ : ١٠٨)

تاريخ الدرس اللغوى: تساؤلات حول النشأة ٧٧

البداية الجادة للدرس اللغوى ٧٨

علم اللغة: أسباب تعدد التعريفات ٨٢

ملامح البحث اللغوى فى ضوء علم اللغة الحديث ٨٥

علم اللغة والعلوم الأخرى ٨٨

علم اللغة الاجتماعى ٩١

علم اللغة النفسى ٩٢

علم اللغة الأنثروبولوجى ٩٣

علم اللغة الجغرافى ٩٣

علم اللغة السياسى ٩٤

المناهج الحديثة لدراسة اللغة ٩٥

المنهج الوصفى ٩٥

المنهج التاريخى ٩٧

المنهج المقارن ٩٩

المنهج التقابلى ٩٩

مستويات البحث اللغوى ١٠٢
المستوى الصوتى ١٠٢
أهم اتجاهات البحث اللغوى فى علم اللغة الحديث ١٠٤
المستوى الصرفى ١٠٦
المستوى التركيبى ١٠٦
المستوى الدلالى ١٠٧
العلاقة بين المستويات عند القدماء والمحدثين ١٠٧
عند القدماء ١٠٧
عند المحدثين ١٠٨
الفصل الخامس: أصوات العربية بين النظرية والتطبيق (١٠٩ : ١٥٨)
الأصوات اللغوية فى العربية ١١١
أولاً: الصوائت ١١١
ثانيًا: الصوامت ١١٢
السـمع ١١٣
مجال إدراك الصوت ١١٤
تصنيف الأصوات فى العربية حسب قوة الإسماع ١١٥
جهاز النطق ١١٧

مخارج الأصوات الصامتة فى العربية	١١٩
صفات الأصوات	١٢٠
أولاً: الصفات التى لها ضد	١٢١
الهمس والجهر	١٢١
الشدة والرخاوة والتوسط والتركيب	١٢٢
الإطباق والانفتاح	١٢٥
الاستعلاء والاستفال	١٢٥
التفخيم والترقيق	١٢٦
الإذلاق والإصمات	١٢٧
ثانياً: الصفات التى لا ضد لها : (الصفير، التكرير، التفشى، اللين، القلقلة، الاستطالة)	١٢٨
ظواهر صوتية	١٢٨
المقطع	١٢٩
النـــبر	١٣١
الخطأ فى النبر وأثره فى المعنى	١٣٢
التنغـــيم	١٣٣
الوقف	١٣٥

تعريف الوقف فى الكلام المنطوق	١٣٥
أهم أنواع الوقف	١٣٦
الجانب التطبيقى فى الوقف	١٣٨
فن الأداء الصوتى	١٣٩
أسباب حياة الكلمة أو موتها على لسان المتكلم	١٣٩
عيوب استخدام الصوت	١٤٤
عيوب النطق	١٤٥
التدريب العملى ورياضة اللسان	١٤٩
مرحلة التدريب على صحة النطق	١٥١
كيف تخرج الهواء كلامًا؟	١٥٤
تدريب الصوت على جمال الأداء	١٥٧
كيف تصعد بصوتك؟	١٥٨
الفصل السادس: صرف العربية ونحوهـــا	(١٥٩ : ١٧٤)
الصرف : (الاشتقاق ـــ التغيرات)	١٦١
أشكال المادة ووزنها	١٦٢
الوزن الصوتى والوزن الإيقاعى	١٦٣
الكلمة بين القدماء وعلم اللغة الحديث	١٦٣

أنواع المورفيم ١٦٥

وظائف المورفيم ١٦٥

الوظائف الصرفية للمورفيم ١٦٦

الوظائف النحوية للوحدات الصرفية ١٦٦

النحــو ١٦٧

النحو والمناهج الحديثة ١٦٩

بين النحو التقليدى والنحو الحديث ١٦٩

الزمن النحوى والجملة الفعلية ١٧٢

الفصل السابع: الدلالــة (١٧٥ : ٢٢٤)

علم الدلالة ١٧٧

أهمــيته ١٧٧

تعريفــه ١٧٩

أسباب تعدد التعريفات ١٨٠

الصلة بين اللفظ والمعنى ١٨١

حدود المعنى اللغوى ١٨١

المعنى الوظيفى ١٨٢

المعنى المعجمى ١٨٤

المعنى السياقى ١٨٤

مناهج البحث الدلالى ونظرياته ١٨٥

نظرية المجال الدلالى ١٨٥

اللغويون القدماء وفكرة المجال الدلالى ١٨٧

العلاقات الدلالية داخل المجال الدلالى ١٨٨

الترادف ١٨٨

الترادف عند القدماء ١٨٩

الترادف عند المحدثين ١٩٢

التضاد ١٩٣

التضاد عند القدماء ١٩٣

التضاد عند المحدثين ١٩٤

الاشتمال (العموم) ١٩٥

التخصيص ١٩٦

التباين ١٩٦

نظرية السياق ١٩٦

السياق اللغوى ١٩٧

سياق الموقف ١٩٩

كيف يدرس السياق غير اللغوى فى كلام مكتوب؟ ٢٠٠
السياق عند القدماء ٢٠١
نظرية التحليل التكوينى ٢٠٣
التطور اللغوى ٢٠٦
التطور الدلالى ٢٠٨
التطور الدلالى بين القدماء والمحدثين ٢٠٩
مظاهر التغير الدلالى ٢١٠
توسيع المعنى ٢١٠
تضييق المعنى ٢١٢
انتقال المعنى ٢١٣
مظاهر أخرى ٢١٦
أسباب تغير المعنى ٢١٨
الأسباب اللغوية ٢١٨
الأسباب الاجتماعية ٢٢١
الفصل الثامن: تصنيف اللغات والأسرات اللغوية (٢٢٥ : ٢٧٠)
تصنيف اللغات ٢٢٧
اعتبارات تصنيف اللغات ٢٣٠

اعتبار المكان	٢٣٠
اعتبار شكل البنية والتركيب	٢٣٠
اعتبار الزمن	٢٣٣
الأسرات اللغوية	٢٣٤
أسرة اللغات الأفروآسيوية	٢٣٥
فرع اللغات السامية	٢٣٧
الخصائص المشتركة فى اللغات السامية	٢٣٧
الخصائص الصوتية	٢٣٨
الخصائص الصرفية	٢٣٨
الخصائص التركيبية	٢٤٠
الخصائص الدلالية	٢٤٠
العربية المعاصرة	٢٤١
العربية بين الاستقرار والمرونة	٢٤٣
الجذور العربية بين المعاجم والقرآن الكريم	٢٤٥
تحديد مصطلح العربية المعاصرة	٢٤٧
سمات العربية المعاصرة	٢٤٨
العربية المعاصرة وأهلها	٢٥١

واقع العربية المعاصرة	٢٥٣
جغرافية العربية المعاصرة	٢٦٠
لهجات العربية المعاصرة	٢٦٣
عوامل التقريب بين لهجات العربية المعاصرة	٢٦٤
العربية المعاصرة وعربية القرآن	٢٦٥
وسائل النهوض بالعربية المعاصرة	٢٦٦
الفصل التاسع: العربية والحاسوب	(٢٧١ : ٢٨٤)
العربية والحاسوب	٢٧١
مستويات تناول علاقة اللغة بالحاسوب	٢٧٤
استخدام الحاسوب فى الإحصاء اللغوى	٢٧٤
استخدامه فى التحليل والتركيب اللغوى	٢٧٤
استخدامه فى الفهم الأوتوماتى للسياق اللغوى	٢٧٥
استخدامه فى المعاجم الآلية	٢٧٥
استخدامه فى الترجمة الآلية وفى تعليم اللغات	٢٧٦
اللغة والمعلومات والعولمة	٢٧٩
العربية وتحديات العولمة	٢٨١
المصادر والمراجع	(٢٨٥ : ٣٠١)

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبى الله ورسوله، سيدنا محمد، رحمة الله للعالمين؛ وبعد:

فمن أعظم نعم الله تعالى على الإنسان نعمة اللغة، ولقد لفت القرآن الكريم الانتباه إلى هذه النعمة؛ قال الله تعالى :

﴿ الرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝٢ خَلَقَ الْإِنسَانَ ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ الرحمن : ١ – ٤ .

والاهتمام باللغة قديم قدم الإنسان فى هذا الوجود، فمنذ لحظة الميلاد اللغوى للإنسان – حين عَلَّم الله آدم الأسماء، وأودع فيه القدرة اللغوية؛ قال الله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ البقرة/ ٣١ – واللغة تنمو نموًّا نشهد معه مواليد جديدة تضاف إلى لغات البشر، ووفيات من لغات أخرى تندثر وتموت. وقد تعددت اللغات وتنوعت حتى أصبح يحيا على ألسنة البشر فى حياتنا المعاصرة قرابة ثلاثة آلاف لغة [1]، هذا بخلاف اللهجات المتعددة داخل كل لغة، والتى بإضافتها إلى عدد اللغات الحية فى العالم المعاصر، يصل العدد إلى أكثر من خمسة آلاف لغة. وسبحان الله القائل:

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴾ الروم/٢٢ .

فسبحان من خلق فسوّى وقدّر فهدى.

---

(1) *Encyclopedia of Language, P. 284.*

وتشهد الدراسات اللغويـــة الحديثة تقدمًا ملحوظًا، متجاوزة حـــدود الاهتمام بلغة بعينها، إلى دراسة اللغة عامة، ومتجاوزة حدود دراسة اللغة بوصفها وسيلة من الوسائل، إلى دراسة اللغـــة من أجل ذاتـــهـــا.

ومع بدايات القرن التاسع عشر وقف البحث العلمى المتأنى يبحث عن كُنْه اللغة وعن طبيعتها ووظيفتها، وأدخل اللغة إلى مجال العلم، وتحول الدرس اللغوى من الافتراضات النظرية إلى الملاحظات العلمية.

ومع مطلع القرن العشرين تحددت ملامح هذا العلم ومناهجه ومجالاته.

ولما كانت اللغة من الوسائل والأدوات التى تستعين بـــها العلوم الأخرى على كثرتها وتنوعها، فضلاً عن كونـــها أصلاً لبعض العلوم - لم يعد الدرس اللغوى وقفًا على أهل اللغة، بل امتد الاهتمام باللغة إلى أهل العلوم الأخرى ؛ فنشأ مجال علم اللغة التطبيقى، واتسع مفهومه ليشمل سائر الفروع المعرفية التى ترتبط باللغة، من ذلك:

علم اللغة الاجتماعى، وعلم اللغة النفسى، وعلم اللغة الإعلامى، وعلم اللغة السياسى.. إلخ. حتى أصبحنا فى نهاية القرن العشرين نشهد تواصل اللغة مع الحاسوب *(Computer)* كطفرة جديدة تنقل الدرس اللغوى نقلة واسعة.

ولا شك أن رحلة المعرفة فى سعيها المثابر سوف تزيح الستار فى المستقبل القريب والبعيد عن حقائق جديدة تجعلنا أكثر قربًا من هذا السر العظيم فى حياتنا، وهو "اللغة".

والفصول التالية تُعَدُّ مدخلاً لدراسة هذا العلم، أتناول فيها التعريف باللغة وطبيعتها، والوقوف على أهم خصائصها ومناهج دراستها، بالإضافة إلى بعض الحقائق

الأخرى المتعلقة باللغة فى ضوء المناهج الحديثة لهذا العلم، مع ربطها بجذورها وأصولها فى التراث العربى، وواقع العربية المعاصرة.

كما يهتم الكتاب بأهم قضايا الأداء الصوتى، فى مبحث مستقل ، وذلك رعاية لخصوصية طلبة كلية التربية، حيث تشتد حاجتهم إلى فن الأداء فى مستقبلهم أثناء اشتغالـــهم بالتدريس.

والله تعالى أسأل أن ينفع بهذا الكتاب، وأن يجعلنى من سدنة كتابه الكريم.

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم

والحمد لله رب العالمين

د. محمد محمد داود

مكتبة العلماء

ت : ٥٦٨٥١٢٢

الفصل الأول

اللغة العربية والقرآن الكريم

أثر القرآن الكريم فى اللغة العربية

نزل القرآن الكريم بلسان عربى مبين، فكان للغة العربية مزية لا تتأتى لغيرها من اللغات، وكما أثر القرآن الكريم فى الأمة العربية، فى أخلاقها وعقيدتها وشتى نواحى حياتها، فقد أثر أيضًا فى اللغة العربية تأثيرًا بالغًا يمكن إجماله فى المحاور التالية:

١- حفظ اللغة العربية:

فالمتأمل للتاريخ يرى بوضوح لغات كثيرة قد اندثرت بموت أهلها، أو ضعفت بضعفهم؛ فأين اللغة الفينيقية (لغة أهل لبنان قديمًا)؟ وأين اللغة المصرية القديمة (الهيروغليفية)، واللغة الآشورية؟! .... إلخ.

إن ارتباط اللغة العربية بالقرآن الكريم جعلها محفوظة بحفظه باقية ببقائه، وسبحان الله القائل : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾ الحجر/٩ .

والذى يدقق النظر فى العربية المعاصرة يجد الكثير من ألفاظها فارق أمه، وظلت تلك الأم الفصحى حية مقصورة على الاستخدام الدينى المرتبط بالقرآن الكريم[1] والسنة النبوية المطهرة.

٢- استقرار اللغة العربية :

رغم أن التطور سنة جارية فى كل اللغات، وأكثر مظاهر هذا التطور يكون فى الدلالات، إلا أن العربية ظلت محتفظة بكل مستوياتها اللغوية (الصوتية – الصرفية – النحوية – الدلالية)، وما تطور منها كان فى إطار المعانى الأصلية وعلى صلة بـــها.

---

(١) راجع : د. محمد محمد داود، الدلالة والكلام، فصل: ألفاظ الكلام والاستخدام الدينى .

والمحافظة على الأصل الدلالى للفظ مع تطور الزمن، له فائدة لا يُستهان بها فتواصل الفهم بين الأجيال للنصوص القديمة وتراث الأمة أمر من الأهمية بمكان، ويزداد إدراكنا لأهمية الاستقرار اللغوى الذى تتميز به العربية إذا ما تأملنا التغير السريع الذى يلاحق اللغة الإنجليزية (لغة الحضارة المعاصرة)؛ فنصوص الإنجليزية القديمة التى مر عليها قرابة ثلاثة قرون أصبحت عصية على الفهم بالنسبة للإنجليزى المعاصر. ولعل هذا التغير السريع هو الذى دفع علماء هذه اللغة إلى إعادة صياغة النصوص الأدبية المهمـــة عندهم ؛ مثل نصوص شكسبير بإنجليزية حديثة *Modern English* يفهمها المعاصرون، بدلاً من الإنجليزية القديمة *Old English*.

فى حين أن العربى المعاصر يقرأ آيات القرآن الكريم فلا يحس معها بغرابة ؛ ويكفى النظر إلى هذه الآيات :

﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾

البقرة/ ١ : ٥ .

وقوله تعالى:

﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾

وقوله تعالى:

﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾

ومن الحديث النبوى الشريف قول النبى ﷺ :

"إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه"[1] .

ورغم مرور أربعة عشر قرنًا، لا يكاد الإنسان يجد صعوبة فى فهم هذه النصوص ولا تصادفه غرابة فى الألفاظ، وما قد يصادفنا من ألفاظ صعبة فإن أيسر المعاجم يمكن أن يبدد هذه الصعوبة.

وهكذا الشأن مع باقى المستويات اللغوية (الصوتية، والصرفية، والنحوية)، وهذه مَزِيَّـــة عظيمة: أن تكون الأمة موصولة بتراثـــها الزاخر تفيد منه وتنفع به.

وتأمل مَزِيَّـــة استقرار اللغة العربية، التى تفردت بها عن سائر اللغات التى تغيرت وتبدلت تغيرًا وتبدلاً جعل من اللغة الواحدة لغات كثيرة متباينة ، يؤدى بنا إلى التساؤل التالى :

ما السبب وراء هذه المَزِيَّـــة ؟

هل يمكن إرجاع هذه المَزِيَّـــة إلى أن اللغة العربية كانت لغة عالمية، فيها كل ما تفتقر إليه الأمم فى كل الأزمنة والأمكنة من ألفاظ ومعانٍ وأخيلة، بحيث يجد الناس فيها ما يفتقرون إليه، لذلك هم يحرصون عليها ؟! وهذا بعيد. فما كانت اللغة العربية ولا غيرها كذلك[2].

---

(١) البخارى ١/٧، مسلم (١٩٠٧)، أبو داود (٢٢٠١)، الترمذى (١٦٤٧)، النسائى فى: الكبرى (٧٨)، ابن ماجة (٤٢٢٧) .

(٢) أحمد حسن الباقورى: أثر القرآن الكريم فى اللغة العربية ، ص ١٦.

أم أن مزية استقرار اللغة العربية ترجع إلى أهلها ومكانتهم الاجتماعية والسياسية والعلمية ؟! والواقع يكذب ذلك؛ فقد كان أهل العربية فى موضع متأخر الشأن بجوار حضارتين عظميين هما الفرس والروم.

وهكذا ينتهى بنا التأمل إلى أن الباحث لا يجد سببًا مقنعًا لهذه المزية سوى أنها أثر من آثار القرآن الكريم.

صوتيات القرآن الكريم واستقرار العربية :

لقد كان التلقى الشفهى هو الأساس فى انتقال القرآن الكريم من جيل إلى جيل، بداية من سيدنا جبريل ــ عليه السلام ــ إلى سيدنا محمد ﷺ ، وصولاً إلى زماننا الحاضر وهكذا حتى تقوم الساعة.

ولهذه الخاصية (المشافهة) آثار تصل إلى حد الإعجاز، لكن إلف العادة هو الذى يمنعنا أو يحجب عنا ملاحظة نواحى الإعجاز. ولكن إذا ما قورنت العربية بغيرها من اللغات وما حدث لها من تغير، فإن ذلك يظهر أثر القرآن فى الاستقرار الصوتى للغة العربية، وكذلك فى وجوه الإبداع الصوتى، على نحو ما يظهر من العرض التالى:

أولاً: الفاصلة بين التناسق الصوتى ورعاية المعنى:

أود هنا ــ بداية ــ توضيح ملاحظة تتصل بأدب السلف من صالحى هذه الأمة حيث أطلقوا على نــهايات الآيات القرآنية تسمية " رؤوس الآيات "، تمييزًا لها عن مصطلحات الشعر والنثر، ففى الشعر نقول: صدر البيت وعجزه، وفى النثر نقول: بداية الجملة ونــهايتها، فبداية الآية عندهم كنــهايتــها: " رأس "، أى مستوى من الارتفاع والارتقاء لا ينتهى ولا يهبط أبدًا، والوقف عند الرأس يشعر بأن آيات القرآن

قِمَـــمٌ يرقَى القارئ إليهـــا، وكلما مضى فى القراءة ازداد رُقِـــيًّا، فهو صاعد أبدًا، حيث يقال لقارئ القرآن: " اقرأ وارقَ، فإن منـــزلتك عند آخر آية تقرؤها "[1].

ومعلوم أن رؤوس الآيات توقيفية، أى كما جاءت عن سيدنا رسول الله ﷺ.

والملاحظ فى رؤوس الآيات التناسب الصوتى الذى يلفت الانتباه وتستريح له الأذن، إلى حد يأخذ بالنفس، ولعله كان أحد الأسباب التى جعلت الوليد بن المغيرة يقول بعد سماعه القرآن الكريم: إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة[2]، وهما من حسٍّ اللسان وحسّ الأذن.

وإذا ما أحببنا محاولة الكشف عن الظاهرة بأسلوب علمى، وذلك بتتبع أصوات الحروف والحركات التى تكوِّن هذه الفواصل، بـــهذا التناسق الصوتى المبدع، فإننا نلاحظ التالى:

ـــ كثرة ورود الحركات، وبخاصة الطويلة (حروف المد: الألف، والواو، والياء)، بما لها من نغمات منتظمة تسيطر على لحن الكلام.

ـــ كثرة ورود الصوامت المتوسطة (النون - الميم - الراء - الواو - الياء)، وهى قريبة - من الناحية الفيزيقية - إلى طبيعة الحركات، التى تسهم فى خاصية التنغيم الشجىّ بشكل واضح.

ـــ تسهم بعض الظواهر الصوتية فى الأداء القرآنى (المد والغنة) فى تحقيق التناسق الصوتى المبدع داخل النص القرآنى.

---

(١) أخرجه: أبو داود (١٦٦٤)، والترمذى (٢٩١٥).

(٢) أخرجه الحاكم، فى المستدرك: ٥٠٦/٢، ومن طريقه البيهقى، فى الدلائل: ١٩٨/٢.

وكل هذه العناصر الصوتية لا تكون بـــهذا التناسب الفريد فى غير القرآن من فنون الشعر والنثر.

ســـؤال اعتراضى:

لكن هل هذا التناسب الصوتى من قبيل السجع، حيث يتوالى الكلام المنثور على حرف واحد، ليكتسب النثر ضربًا من الموسيقى والنغم؟ أم من قبيل القافية فى الشعر؟

الجواب: لا هذا ولا ذاك؛ فالفاصلة فى القرآن ليست على وتيرة واحدة كما هو الحال فى كل من السجع والقافية، فهى لا تلتزم شيئًا من ذلك، حيث تجرى فى عدد من آيات القرآن على نمط، ثم تتحول عنه إلى نمط آخر، ومن خلال جريها على نمط واحد، فأغلب ما تقوم عليه هو حرف المد، ومن ذلك مثلاً، قوله تعالى:

﴿ قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ۝٢ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ۝٣ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَـٰبٌ حَفِيظٌۢ ۝٤ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ۝٥ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَـٰهَا وَزَيَّنَّـٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴾

ق/ ١ : ٦

فالفاصلة قيمة صوتية ذات وظيفة دلالية، ورعايتها تؤدى إلى تقديم عنصرٍ أو تأخيره، ليس رعاية للتناسق الصوتى وفقط، بل رعاية للمعنى أيضًا، وهذا هو الإعجاز.

ومثال ذلك، قوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ الفاتحة/٥ ، فإن قلت: لم قدَّم العبادة على الاستعانة؟ أجابك اللغويون القدماء أصحاب الحس المرهف، وعلى

رأسهم الزمخشرى، بالقول: " هو من تقديم العلة على المعلول "[1]، وقال أبو السعود : "هو من باب تقديم الأشرف"[2].

وفى قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴾ الليل/١٣ ، لماذا قدَّم الآخرة على الأولى؟ والجواب: أن ذلك مرتبط بسياق السورة ومقصدها؛ فقد قامت السورة لتأكيد سوء العاقبة والإنذار لمن كذَّب وأعرض بالتنكيل به فى الآخرة، فى مقابل الثواب الذى ينتظر من أحسن وصدَّق، فإذا ما تحقق مع هذا المعنى الانسجام الصوتى وتناسب الإيقاع فى الفواصل، فذلك لا يتم على هذا الوجه من الكمال فى غير هذا النظم القرآنى المعجز.

ومن قال بالتقديم لرعاية الفاصلة فقط، فهو قصور عن فهم المعنى المراد؛ فالتقديم والتأخير يرتبطان بالسياق والمعنى المراد.

ــ أيضًا الترتيب فى تقديم الصفات الخاصة بالله تبارك وتعالى، أو الأنبياء- صلوات الله وسلامه عليهم - مرتبط بالسياق، من ذلك قوله تعالى:

﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴾ سبأ/٢ .

وقوله تعالى:

﴿ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ الحجرات/١٤ .

---

(١) الزمخشرى: الكشاف: ٦٥/١.

(٢) أبو السعود: إرشاد العقل السليم: ١٧/١.

فقدم الرحمة فى آية سبأ؛ لأنـــها منشأ المغفـــرة. أما الغفـــور فتقدم فى كل موضع فى القرآن فيه ولو إشارة إلى وقوع المعاصى وكفران النعم.

ثانيًا: التناسق الصوتى على مستوى الصوت المفرد واللفظ والتركيب:

أول ما يلفت الانتباه أن القرآن الكريم قد خلا من التنافر فى بنية كلماته، فأصواته كلها قامت على الائتلاف، هذا من جانب، ومن جانب آخر سجلت كلمات القرآن الكريم قمة التناسق بين أصواتها والمعانى المرادة لـــها، وهذا هو الجديد فى الصوت القرآنى: أن يوظَّف الصوت المفرد داخل الكلمة لخدمة المعنى المقصود، وإليك هذه الأمثلة:

(أ) التناســـب بين صفات الصوت ومعـــنى الكلمة:

ـــ من ذلك التشديد بعد قلب التاء من جنس ما بعدها فى كلمة (تدارك) ليدل على التردّى الجماعى، أو على المبالغة فى التثاقل أو الاستعصاء على الهدى، من ذلك قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا ﴾ الأعراف/٣٨ .

أصل الفعل (تداركوا)، وقلبت التاء دالا وأدغمت فى الدال، فلما سُكِّنت جيء همزة الوصل، والتشديد يوحى هنا بتداعيهم فى النار متزاحمين بغير نظام، بل إن اشتمال التشديد على سكون فحركة يدل على أن تزاحمهم فى النار جعل بعضهم يعوق بعضًا قبل أن يتردَّوْا فيها، فكأن النقطة التى تداعوا عندها كانت كعنق زجاجة[1].

ومثله إيحاء التكرار فى قوله تعالى:﴿ فَكُبْكِبُواْ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴾ الشعراء/٩٤.

(١) راجع: د. تمام حسان، روائع القرآن الكريم.

ــ ومن هذا أيضًا قوله تعالى:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾ التوبة/٣٨ .

ــ ومنه: ﴿ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ ﴾ الأحزاب/١١ ، التردد والتكرار والتضعيف، وقوله تعالى:﴿ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾ الأحزاب/١١ ، وقوله تعالى: ﴿ فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم ﴾ الشمس/١٤ ، أيضًا ما يوحيه التفخيم من الإحساس بالمبالغة فى الحدث أو الصفة، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾ فاطر/٣٧ .

فشدة ارتفاع أصوات أهل النار بالصراخ ومشاركتهم جميعًا فيه، وتكرار ذلك منهم لايكفى أن يُعبَّر عنه بالفعل المجرد (يصرخون)، لذا جاءت تاء الافتعال لتدل على المبالغة، وقصد لها أن تجاور الصاد المطبقة لتتحول بالمجاورة إلى التفخيم (لتصبح طاء)، فيكون فى تفخيمها قوة مبالغة فى الفعل.

ــ ومن ذلك أيضًا قوله تعالى:﴿ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴾ النجم/٢٢ . و (ضيزى) تعنى: جائرة ظالمة، لكن لفظ (ضيزى) جاء هنا ليحقق غرضين هما: رعاية الفاصلة التى غلبت فيها الألف المقصورة، والثانى: الإيحاء - بما فى الضاد من تفخيم - إلى أن الجور فى هذه القسمة لا مزيد عليه.

ــ وقوله تعالى:﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَـٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ﴾ البقرة/١٩ .

والصيب: النـزول الذى له وقع وتأثير، ويطلق على المطر والسحاب، وتنكيره لأنه أريد به نوع شديد هائل، كما أن الصاد المستعلية (المفخمة) والياء المشددة والباء الشديدة تدل على القوة والتدفق وشدة الانسكاب.

(ب) التناسق بين إيحاء الصـــوت ومعنى الكلمة :

ومن التناسب بين إيحاء الصوت والدلالة المقصودة للكلمة[1] قوله تعالى:

﴿ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴾ الإنسان/١٨ . حيث يوحى لفظ السلسبيل بالسلاسة والسهولة ويسر الاستساغة، وذلك لما بين اللفظين (سلسبيل / سلاسة) من شركة فى بعض الحروف.

هذا فى مقابل الإيحاء فى جهة الضد للمعنى السابق، كما فى قوله:

﴿ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴾ النبأ/٢٥ ، حيث إن مادة (غسق) فى القرآن، منها: الغسق، والغاسق، والغسّاق ـــ توحى أن القسط المشترك بين هذه المشتقات: الدلالة على أمور كريهة؛ فالغسق: الظلمة، والغاسق: الليل الشديد الظلمة، والغسَّاق: شىء كريه لايشرب، وفسروه بالصديد، وتستفاد هذه الدلالة لغويًّا من إيحاء الغين والقاف هنا. ومثله فى التفسير قوله تعالى:

﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَـٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴾ المطففين/٧ ، وقوله تعالى:

﴿ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴾ الغاشية/٦ ، والضريع: نبات شوكى وإيحاء لفظ " ضريع" فى الطعام يفيد ذلاً يؤدى إلى تضرع كل منهم وسؤال الله العفو عن ذلك. يقابله فى المعنى على الجهة الأخرى قوله تعالى :

﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَـٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴾ المطففين/١٨ ، وقوله تعالى:

﴿ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٔـٰنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ ﴾ يوسف/٥١ .

---

(١) راجع: د. تمام حسان: من روائع القرآن الكريم.

(ج) المناسبة والتناسق بين نوع الحركة والمعـــنى :

مثاله قوله تعالى:

﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ ﴾

فاطر/٣. بتأمل حركة الكاف فى كلمة "يمسك" فى الآية نجد أن السكون فى الثانية موافق لمعنى الإمساك لما بها من إغلاق وعدم حركة، فى حين أن الأولى "ممسك" مفتوحة، وهى مناسبة لمعنى الفتح.

ويمكن ملاحظة هذه الظاهرة فى كثير من آيات القرآن:

ــ قوله تعالى : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ الفاتحة/١.

الجملة تُعدُّ من مقول القول فكان مقتضاها: الحمدَ بفتح الدال، على تقدير: أقول: "الحمدَ لله"، فلماذا عُدِل عن النصب إلى الرفع، على تقدير: قولى: الحمدُ لله؟

الجواب: عُدِل عن النصب إلى الرفع للدلالة على أن الحمد ثابت لله تعالى أزلاً، وإن لم يحمده أحد؛ فقد حمد نفسه بنفسه قبل أن يحمده الخلق، وعليه فالجملة خبرية- لا إنشائية - لفظًا ومعنى. وهو أولى الأقوال فى هذه الجملة.

ــ قوله تعالى : ﴿ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ ﴾ القصص/٤.

التشديد فى (يُذَبِّح) فيه دلالة على الكثرة والعنف فى حدث الذبح. ولذلك جاءت على التشديد بدلاً من (يَذْبَح) بدون تشديد.

(٣) توحيـــد لهجات العربية :

بسبب انعزال القبائل عن بعضها، وضعف وسائل الاتصال بينها، بالإضافة إلى العلل الخِلقية المتصلة بالعملية اللغوية من سوء السمع وسوء الأداء؛ كان للعرب لهجات

كثيرة متباينة؛ منها ما كان لأهل الحضر، ومنها ما كان لأهل البدو وما ببيئتهم من خشونة وجفاف، ومن الشواهد المشهورة لتباين اللهجات الأمثلة التالية:

(أ) اختلاف هيئة النطق للكلمة الواحدة :

وأوضح مثال لذلك هو ظاهرة الإمالة، وأشهر أمثلتها : "الضحى"، "سجى"، "قلى"، "دعا"، بإمالة الفتحة الأخيرة إلى كسرة، والألف التى بعدها إلى ياء فى الأمثلة السابقة. وللإمالة ألوان متنوعة يرجع إليها فى كتب القراءات واللغة.

(ب) اختلاف معانى الكلمـــــات :

روى أن أبا هريرة لما قدم من دوس عام خيبر لقى النبى ﷺ وقد وقعت من يده السكين، فقال : "ناولنى السكين". فالتفت يمنة ويَسْرة و لم يفهم مراده، فكرر له القول وأشار إليها، فقال : آلمديةَ تريد ؟ فقال : "نعم". قال : أوَ تُسَمَّى عندكم سكينًا ؟! ثم قال: والله لم أكن سمعتها إلا يومئذ [1].

فهذا شاهد على تعدد الدوالّ والمدلول واحد، فجاء القرآن الكريم يصطفى من لغة العرب ولهجاتها أفضلها، ليقدم للعرب لغة واحدة فصيحة ولهجة واحدة عذبة، ولا يستعصى على أحد فهمها.

(ج) اختلاف تركيب الكلمـــــات :

تحفل كتب اللغة بشواهد على تعدد أشكال الصياغة التركيبية للكلمات، فقضاعة مثلاً كانت تقلب الياء جيمًا إذا كانت ياء مشددة أو جاءت بعد العين، وهو ما أطلق عليهااللغويون: "عجعجة قضاعة"، ومن ذلك قول شاعرهم:

---

(١) مسند أحمد، ٧١/٢ .

خالى عويفٌ وأبو عَــلِجٌ   المطعمان اللحم بالعَشِجِّ[1]

يريد: أبو على، بدلاً من (أبو علج)، وبالعشى بدلاً من (بالعشج).

وهناك أيضًا " الشنشنة" فى لغة اليمن؛ يجعلون الكاف شينًا مطلقًا؛ فبدلاً من أن يقول الرجل : لبَّــيك، يقول: لبَّــيش، و"العنعنة" فى لغة تميم وقيس؛ يجعلون الهمزة المبدوء بــها عينًــا يقولون: عِذَنْ أكرمك، بدلاً من: إذن أكرمك، و"الفحفحة" فى لغة هذيل؛ يقولون: علت العياة لكل عُىّ، يريدون: حلت الحياة لكل حى، وبلهجتهم قرأ ابن مسعود: "عتى حين" فأرسل إليه سيدنا عمر ـــ رضى الله عنه ـــ :إن القرآن لم يترل بلغة هذيل، فأقرئ الناس بلغة قريش.

وهناك طمطمانية حمير؛ حيث كانت تنطق "ام" بدلاً من "أل" للتعريف فى صدر الكلمة. ومن ذلك قول رسول الله ﷺ : "**ليس من امبر امصيام فى امسفر**" [2] والمراد: ليس من البر الصيام فى السفر، وغير ذلك كثير يرجع إليه فى كتب اللهجات.

ولقد أدى اختلاف هذه اللهجات وتباعدها إلى صعوبة الفهم بين القبائل، ويشهد لذلك قول علىٍّ ـــ رضى الله عنه ـــ لرسول الله ﷺ، وقد سمعه يخاطب بنى نــهد فيمن وفد عليه من قبائل العرب عام الوفــــــود: يارسول الله ﷺ، نحن بنو أب واحد، ونراك تكلم وفود العرب بما لم نفهم أكثره ، فقال له النبى ﷺ : " **أدبنى ربى**

---

(١) البيت من الرجز، وهو فى: الكتاب ٢٨٨/٢ بلا نسبة، وشرح المفصل ٧٤/٩، ٥٠٠/١٠، ونسبه العينى ٥٨٥/٤، والشيخ خالد الأزهرى فى التصريح على التوبح ٣٦٧/٢- إلى رجلٍ من أهل البادية .

(٢) البخارى (١٩٤٦) واللفظ له، ومسلم (١١١٥) بلفظ مختلف.

فأحسن تأديـــبى "[1] .

وواضح من الحديث أن النبى ﷺ كان يخاطب كل قوم بلسانهم؛ كيما يفهموا.

(٤) إثـــراء وتنمـــية اللغة العربية :

لقد أضاف القرآن الكريم نموذجًا للتعبير بالعربية لم تعرفه العربية من قبل، نموذجًا له الخلود والبقاء لا تمســـه يد التغيير والتحريف.

لقد كانت العربية قبل نزول القرآن تُصنَّف إلى شعر ونثر، فلما نزل القرآن صارت نماذج التعبير اللغوى فى العربية ثلاثة : قرآنًا، وشعرًا، ونثرًا.

ولا ينبغى أن يصنف القرآن تحت عنوان النثر؛ لأن القرآن ليس بنثر، ولا بشعر، إنه كلام رب العالمين.

كما استحدث القرآن الكريم أســـماء جديـــدة، من ذلك ما يعرف بـــ (الألفاظ الإسلامية) [2] التى جاءت تعبيرًا عن المعانى الإيمانـــية الجديدة، التى لم يكن للعرب معرفة بـــها؛ من ذلك:

- **الإيمـــان:** كان بمعنى التصديق مطلقًا، ثم صار له المعنى الشرعى الذى حدده رسول الله ﷺ فى الحديث: " أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره "[3].
- **الكفر:** كان بمعنى الســـتر مطلقًا، ثم صار له المعنى الشرعى المعروف، ومنه تعريف

---

(١) فيض القدير على الجامع الصغير: ١/٢٣٥. صححه أبو الفضل ابن ناصر، وقال عنه السخاوى: ضعيف ولكن معناه صحيح. انظر: السخاوى: المقاصد الحسنة: ص٢٩.

(٢) راجع فى هذا المعنى: د. إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ:ص١٧.

(٣) صحيح مسلم: كتاب الإيمـــان ١/٣٧.

حجة الإسلام الغزالي بأنه: تكذيب الرسول ﷺ فى شيء مما جاء به [1].

- **الصلاة:** كانت بمعنى الدعاء مطلقًا، ثم صار لها المعنى الشرعى المعروف، من أفعال محددة وأقوال مخصوصة حددها الشارع.
- **الزكاة:** كانت بمعنى النماء مطلقًا، ثم أصبح لها المعنى الشرعى المعروف، وهو: القدر الواجب إخراجه لمستحقّيه فى المال الذى بلغ نصابًا معينًا، بشروط مخصوصة [2].
- **الحج:** كان بمعنى القصد مطلقًا، ثم صار له المعنى الشرعى المعروف، وهو: القصد إلى بيت الله الحرام؛ لأداء أفعال مخصوصة نص عليها القرآن الكريم وبينتها السنة المطهرة، كالإحرام والطواف بالبيت، والسعى بين الصفا والمروة والوقوف بعرفة، ونحو ذلك .
- **المغفرة:** كانت بمعنى: الستر مطلقًا، وأصبحت بمعنى: الصفح والعفو.

كذلك الألفاظ الاصطلاحية التى نشأت فى رحاب العلوم الشرعية المرتبطة بالقرآن الكريم؛ مثل: التوحيد، الفقه، أصول الفقه، التفسير، النحو، الصرف .. إلخ. ويوضح الإمام السيوطى فى " الإتقان " أن هناك أكثر من ستين علمًا من علوم العربية نشأت فى رحاب القرآن الكريم؛ للمحافظة عليه من اللحن من جانب، ومن جانب آخر لمحاولة فهمه والوقوف على أسرار معانيه.

لقد كان القرآن - بحق - السبب المباشر والرئيس وراء نشأة علوم العربية وكان لكل علم من هذه العلوم مصطلحاته الخاصة به.

---

(١) الغزالى: فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة: ص ١٣٤.

(٢) د. محمد بكر إسماعيل: الفقه الواضح: ١/٤٦٣، ٥٨٣.

ومن جوانب إثـــراء العربيـــة:

أ- الرقى بدلالات كثير من الألفاظ[1]؛ مثل:

ــ **الرســـول:** كانت تطلق على شخص يحمل رسالة من إنسان إلى إنسان آخر، ثم ارتقت دلالتها فى الإسلام، وأصبحت تطلق على الإنسان الذى يكلفه الله برسالة إلى البشر، مثل رسل الله: إبراهيم، وموسى، وعيسى، وسيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليهم .

ــ **الكرســـى:** ارتقت دلالته فى رحاب القرآن الكريم من خلال دلالته فى الآية الكريمة: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ البقرة/٢٥٥ .

ب- إضـــافة أغـــراض جديـــدة للتعـــبير:

من أهم هذه الأغراض الدعوة إلى الـــمُثُل العليـــا والأخلاق الحميدة، والقصد فى الغنى والفقر وعدم التهافت فى طلب الدنيا والإقبال على الآخرة والرغبة فيهـــا، ونحو ذلك من المعانى الإيمانـــية.

(٥) تـــهـــذيب اللغة العربية :

أ – فقد نحّى القرآن الكريم عن اللغة التقعر فى الكلام، والغريب، والألفاظ الحوشية الثقيلة على السمع.

وإن من يتأمل النثر أو الشعر الجاهلى يرى كثيرًا من الكلمات الحوشية، من ذلك: جحيش"، و "مستشزرات"، و "جحلنجح"، و "البخصات"، و "الملطاط"، و"الهعخع"، و"افرنقعوا" وغير ذلك كثير.

---

(١) راجع: د. إبراهيم أنيس، دلالات الألفاظ ، ص٩٠.

من ذلك أيضًا ما رواه القالى فى "أماليه" لأبى محلم الشيبانى فى أواخر القرن الثانى من كتاب له إلى بعض الحذّائــين فى نعل له، قال هذا المتقعر:

" دِنْهـا، فإذا همّت تأتدِن، فلا تُخلّهـا تُمَرْخِـد، وقبل أن تَقْفَعِلّ، فإذا ائتدنت فامسحها بخرقة غير وكِيَّة، ولا جَشِـيَّة، ثم امْعسْـها مَعْسًـا رقيقًـا، ثم سـنَّ شفْرَتَكَ وأمْهِهَـا، فإذا رأيت عليها مثل الهَـبْرة فسن رأس الإزميل .. إلخ "[1].

ب – أيضًا نحّى القرآن الكريم كثيرًا من الألفاظ التى تعبر عن معانٍ لا يُقرُّهـا الإسلام، من ذلك:

١- **المرباع**: وهو ربع الغنيمـة الذى كان يأخذه الرئيس فى الجاهلية.

٢- **النشيطة**: وهى ما أصاب الرئيس قبل أن يصير إلى القوم، أو ما يغنمه الغزاة فى الطريق قبل بلوغ الموضع المقصود.

٣- **المكس**: دراهم كانت تؤخذ من بائعى السلع فى أسواق الجاهلية.

٤- **قولهم للملوك**: " أبيتَ اللعن ".

ومثل ذلك كثير، يرجع إليه فى بطون كتب التراث.

(٦) سـعة انتشار اللغة العربية :

بنـزول القرآن ودخول الناس فى دين الله أفواجًا من شتى بقاع الأرض؛ اتجه المسلمون من غير العرب إلى تعلم العربية؛ رغبة فى أداء العبادات والشعائر الدينية بها وقراءة القرآن بالعربية؛ لأن قراءة القرآن الكريم تعبُّد لله تعالى؛ لذا فقد انتشرت اللغة العربية انتشارًا ما كان ليتحقق لـها بدون القرآن الكريم.

---

(١) أحمد حسن الباقورى: أثر القرآن الكريم فى اللغة العربية، ص٦٢.

(٧) القــرآن مفجّر عــلوم العربية :

من أجل خدمة القرآن الكريم، ومحاولة تيسير فهمه ونطقه على المسلمين الأعاجم، ولصيانته من اللحن والتحريف؛ قامت جهود فريدة لخدمة هذا الكتاب، فنشأت علوم لخدمة القرآن بصورة مباشرة، هي[١]: علوم القرآن، لدراسة كل ما يتصل بالقرآن من مكيّ ومدنــى، وأســباب نزول، وأول ما نــزل وآخر ما نــزل والقراءات القرآنــية .. ونحو ذلك.

يضــاف إلى هــذا قيــام عــلوم[٢] استُخدِمت كأدوات لفهــم هــذا الكتاب، مثل علوم النحو والصرف والبلاغة .. ونحو ذلك.

وكمــا كان للمفســرين دورٌ بارزٌ فى تفسير آيات القرآن الكريم؛ فقد شارك معهم اللغويون بدور ممــيز؛ حيث تناولوا لغــات القرآن الكريــم، من ذلك: "لغــات القرآن" للأصمــعى (ت ٢١٣هــ)، "لغات القرآن" للفراء (ت ٢٠٧هــ)، كما تناولــوا غريب القــرآن الكريــم، من ذلك: "غريب القرآن الكريم" لابن قتيــبة (ت ٢٧٦هــ).

وكان للنحــويين أيضًــا مشاركة فعالــة على نحو ما نجــد عند الأخفش والكسائى والفراء فى مؤلفاتهم تحت عنوان: "معانى القرآن".

---

(١) ذكر السيوطى فى كتابه "التحبير فى علم التفسير" مائة واثنين من الأنواع، وجعلها ثمانين نوعًا على سبيل الإدماج، فى " الإتقان" ، وذكر الزركشى فى كتابه "البرهان" سبعة وأربعين نوعًا.

(٢) راجع: ابن خلدون، المقدمة، ص ٥٠٥.

الفصل الثانى

اللغـــــــة

تعريفها وأهم خصائصها

اللغـــــة *Language*

تعـــددت تعريفات اللغة عند القدماء والمحدثـــين، وركّزت كل مجموعة على النواحي المهـــمة - من وجهة نظرهـــا - وأبرزتـــها فى التعريف.

ومن أهم التعريفات- عند القدمـــاء- التى تعبر عن حِسٍّ لغوى مرهـــف ودقـــة ملاحظة، تعريف ابن جنى: "حـــدّ اللغـــة: أصـــوات يعـــبر بـــها كل قـــوم عن أغراضهم"(١).

ونال هذا التعريف اهتمام اللغويين العرب المحدثـــين (٢) ؛ لأنه ضـــم أكبر قدر من الحقائق المهمـــة عن اللغـــة: (الطبيعة الصوتية، الطبيعة الاجتماعية ..).

وتعريف "اللغة" فى علم اللغة الحديث ـــ على تنوع مدارسه ـــ يلتقى مع تعريف ابن جنى لها حول هذه الحقائق الهامة، لكنه أضـــاف إليها حقائق أخرى كانت ثمرة لتطور هذا العلم من خلال الدراسة العلمية.

ومن بين التعريفات الحديثة للغـــة نختـــار هذين التعريفـــين:

أ – تعريف اللغوى الســـويسرى (دى ســـوســـير):

" نظام من الرموز الصوتية الاصطلاحية فى أذهان الجماعة اللغوية، يحقق التواصل

---

(١) ابن جني: الخصائص: ١/٣٣.

(٢) من أبرز هؤلاء: أستاذنا الدكتور عبد الصبور شاهين ، فى: علم اللغة العام ، وأستاذنا الدكتور محمـــود فهمى حجازى ، في: مدخل إلى علم اللغة، والأستاذ الدكتور حـــلمى خليل، في: مقدمة لدراسة علم اللغة.

بينهم، ويكتسبها الفرد سماعًا من جماعته " [1] .

ب- تعريف روى. سى. هجمـــان:

" اللغة قدرة ذهنية مكتسبة يمثلهـــا نسق يتكون من رموز اعتباطية منطوقة يتواصل بـــها أفراد مجتمع مـــا " [2] .

ومن خلال التعريفات السابقة يمكن الوقوف على أهم الملامـــح المـــميزة للغـــة:

١- الطبيعة الصوتية للغة.

٢- الطبيعة الاجتماعية للغة.

٣- اللغة متغـــيرة.

٤- اللغة مكتســـبة.

٥- اللغة نســـق.

---

(1) *De Saussure: Courses in General Linguistics PP.* 7 - 150.

(٢) انظـــر: روى. سى. هجمـــان: اللغـــة والحـــياة والطبيعة البشريـــة، ترجـــمة: د. داود حلمى أحمد السيد (مقدمة المترجم): ص ١٥.

أهم خصائص اللغة

أولاً: الطبيعة الصوتية للغة:

من الحقائق الأساسية التى أكدها علم اللغة الحديث: الطبيعة الصوتية للغة فالصوت اللغوى هو الصورة الحية للغة، واللغة التى لا تُنطَق لغة ميتة، ولا تغنى الكتابة عن الواقع الصوتى للغة، وبشأن اللغة العربية فلقد كان للقدماء بصرٌ باللغة وحِسٌ مرهف، فقد أدركوا الحقيقة الصوتية للغة؛ ونلمح ذلك واضحًا من تعريف ابن جنى السابق ؛ حيث يُعرِّف ابن جنى اللغة بأنها "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم".

ولما كانت اللغة ظاهرة إنسانية، فالأصوات المقصودة هنا هى الصوت اللغوى حيث يصدر من الإنسان نوعان من الأصوات:

الأول: صوت غريزى فطرى، كالبكاء والضحك.

الثانى: صوت عرفى اصطلاحى مكتسب، وهو الصوت اللغوى.

فالطفل ينزل من بطن أمه يبكى بفطرته، لا يحتاج لأحد أن يعلمه البكاء أو الضحك، بينما يحتاج إلى تعلُّم أصوات اللغة حسب لغة الجماعة التى ولد فيها.

ولقد جاء القرآن الكريم بالصورة الصوتية المثلى لما كانت عليه اللغة العربية فى العصر الجاهلى، وظلت هذه الصورة تنتقل بالرواية الشفوية حتى العصر الحاضر بمستوى من الدقة لم يحظ به نص لغوى آخر، مما أدى إلى استقرار أصوات اللغة العربية، إلى حد كبير، وأصبح التطور الصوتى بها ضئيلاً إذا ما قورن بالتطور الصوتى الذى لحق باللغات الأخرى.

يضاف إلى هذا أن للصوت فى اللغة العربية - فى رحاب القرآن الكريم - قيمة فنية، فضلاً عن المعايير الدقيقة والضوابط المحددة لهذا الصوت.

يتحلى هذا فى اهتمام العلماء العرب[1] بعلم الأداء لآيات القرآن الكريم، حيث وضعوا معايير لسرعة نطق الصوت اللغوى، فصنفوا تلاوة آيات القرآن من الناحية الصوتية باعتبار الزمن المستغرق فى النطق إلى مستويات:

١- التحقيق. ٢- الترتيل.

٣- الحـَـدْر. ٤- التدوير.

ولقد سبق العرب المسلمون العصر الحديث فى محاولة التغلب على قصور الكتابة عند تسجيل الواقع الصوتى بأمانة دون زيادة أو نقص، فكانت عنايتهم بعلم الرسم والضبط، فوضعوا من اصطلاحات الضبط للفظ القرآنى ما يشير إلى مواضع الإخفاء أو الإظهار أو القلقلة، وغير ذلك، وقام علم كامل لخدمة هذا المجال هو "علم الرسم والضبط" [2] .

هذه الرعاية للجانب الصوتى كان للعرب المسلمين السبق والرِّيادة فيها، ومن الأمانة العلمية أن نذكر لهم هذا، ولذلك لا نغالى هنا حين نوضح حقيقة هامة ترتبط بها حياة اللغة العربية: وهى أن حياة اللسان العربى مرتبطة بالقرآن الكريم.

---

(١) الاهتمام بالأداء القرآنى أمر تعبدى، فضلاً عن كونه أمرًا لغويًّا، حيث إن تعلم القرآن قائم على التلقى والمتابعة الشفوية، قال تعالى: ﴿ **فإذا قرأناه فاتبع قرآنه** ﴾ القيامة/١٨.

(٢) راجع فى هذا : إبراهيم بن أحمد المارغنى التونسى: دليل الحيران (شرح مورد الظمآن فى رسم وضبط القرآن).

الشيخ على محمد الضباع: سمير الطالبين فى رسم وضبط الكتاب المبين.

قدرى غانم: دراسة لغوية فى رسم المصحف.

الصـــوت الإنســـانى

طاقة تعبيرية بلا حـــدود

انتهى البحث اللغوى إلى تأكيد الطبيعة الصوتية للغة، واهتم فى هذا الإطار بظواهر تسهم فى الكشف عن معـــانٍ ودلالات متنوعةٍ؛ كاستخدام التنغيم للدلالة على معانٍ مختلفة كالاستفهام والطلب والأمر، وحـــالات الغضـــب والرضـــا، والدهشـــة، والتعجب، ونحو ذلك من دلالات، مثل تنغيم التحية ودلالاتـــها المختلفة؛ فقـــد تقال بأســـلوب ونمط يظهر منه السخرية أو العتاب لموظف تأخر، وقد تقال بأسلوب ونمط جاد يظهر منه الاحترام والتقدير، وقد تقال بنمط فيه رِقّـــة وعذوبة، للتعبير عن المودة والمحبة، ونحو ذلك من دلالات.

وبالإضافة إلى هذه الدلالات فإننا نلتقى بدلالات أخرى للصوت الإنسانى فإذا نظرنا للصوت الإنسانى من زاوية نفســـية، تظهر لنا دلالات يحســـها الإنسان؛ فمن صوت المتحدث يمكنك أن تشـــعر به وأن تدرك فرحه أو حزنه أو مرضه أو صحته، أو أنه حديث عهد باليقظة من نومه، أو أنه لم يدخل حياة اليقظة بعد، ويمكنك أن تدرك من صوت الإنسان عتابه ولومه، ومن الصوت أيضًا يمكن أن تدرك مدى استقراره وثباته فى موقفه، ومدى اهتزازه وتوتره وعدم ثقته بنفسه أثناء الحديث،كما يظهر من نبرة الصوت كِبْر المتحدث أو تواضعه وغضـــبه وحنقـــه، أو خوفه واضطرابه، ومن صوت المتحدث يمكن أن تدرك مدى اقتناعه بما يقول، ومدى حماسه لذلك.

ومن الدلالات الاجتماعية للصوت الإنسانى: إمكانية تصنيف المتحدثين إلى بيئاتـــهم الاجتماعية من خلال طريقة النطق للصوت اللغوى؛ فأنت تحكم على

المتحدث بأنه مصرى أو مغربى أو سعودى من خلال لـــهجته، ويمكنك داخل إطار ضيق أن تميز بين بيئتـــين داخل دولة واحدة، فأنت تستطيع أن تدرك الفرق بين القاهرى والصعيدى من طريقة النطق بالكلمات لدى كل منهما.

ومن الصوت الإنسانى يمكنك التمـــييز بين لغـــات طبقات اجتماعية مختلفة وذلك من خلال ارتفاع الصوت بأداء جهورى فى بعض البيئات، مثل أصحاب بعض الحِرف، فى مقابل انخفاض الصوت وخروجه بدرجة هادئة عند مستويات أخرى أرقى تعليمـــاً وأكثر حظـــاً من الثقافة.

ومن درجة الصوت يمكنك التمييز بين الذكر والأنثى، والطفل والشاب والشـــيخ الـــهرم، هذا فضلاً عن استخدام البصمة الصوتية فى العلم الحديث لتحديد صاحبها فى المعمل الجنائى، أو لطلب الرقم فى التليفون، أو للإملاء على الكمبيوتر ليتولى الكتابة مباشرة عن طريق البصمة الصوتية.

ثانيـــاً: الطبيعة الاجتماعية للغة:

وظيفة اللغة والطبيعة الاجتماعية لها:

من القضايا اللغوية المهمـــة التى اختلف العلماء فيها وتباينت فيها آراؤهم: وظيفة اللغة والأغراض التى تؤديها، ولما كانت اللغة وسيلة وأداة تستعين بـــها العلوم الأخرى كالفلسفة والمنطق وعلم النفس وعلم الاجتماع ، فقد أدى هذا إلى اهتمام أهل هذه العلوم باللغة ؛ ولذلك ظلت فترة من الزمن فى رحاب ميادين الفلسفة والمنطق وعلم النفس، وكانت مبادئ اللغة تسير وفق معايير هذه العلوم.

ويرى أصحاب المدرسة العقلية- من أصحاب الفلسفة والمنطق- أن الوظيفة الأساسية للغة هى التعبير عن الأفكار ونقل الخبرات الإنسانية، وأن الإنسان لايستطيع التفكير بدون اللغة.

ويحلل جيفونز *jevones* وظيفة اللغة إلى ثلاثة أغراض، هى:

١- كونـــها وسيلة للتفاهم والتواصل.

٢- كونـــها أداة مســـاعدة للتفكـــير.

٣- كونـــها أداة لتسجيل الأفكار والرجوع إليهـــا [١] .

وبتأمل هذه الأغراض التى ذكرها جيفونز للغة، نراها تخص المفكرين فحسب ولا تشمل الجماعة اللغوية كلها، والواقع اللغوى ينفى أن الناس تتكلم للتعبير عن فكر فقط.

ولا يختلف السلوكيون- من علماء النفس- عن الفلاســفة فى قصر وظـــيفة اللغة على مجالـــهم، حيث رأوا أن الوظيفة الأساسية للغـــة هى التأثـــير والإقنـــاع

---

(١) أ. يسبرسن: اللغة بين الفرد والمجتمع (الترجمة العربية)، ص ٨.

والتعــبير عن العواطف، ومن أبرز اللغويين تأثرًا بهذه المدرسة السلوكية: بلومفيلد الذى تأثر بآراء فايس ***Weiss***.

وفى مقابل المدرسة العقلية هناك مدرسة أخرى، هى المدرسة الاجتماعية التى ركزت على الطبيعة الاجتماعية للغة ، فاللغة مرآة المجتمع ؛ ترتبط بالجماعة فى تقدمــها وتخلفــها، أى أن اللغـــة تتأثـــر بأهلـــها، ففى قوتهم قوة لها وفى ضعفهم ضعف لها!!.

ومن أبرز أنصار هذه المدرسة اللغوى الفذ يسبرسن ***Yespersen***، الذى يقرر أن اللغة لا تستخدم للتعبير عن الأفكار، بقدر ما تستخدم للتواصل الاجتماعى والتعاون بين أفراد الجماعة[1].

فعبارات التحية والاعتذار والتهنئة فى المناسبات الاجتماعية، تؤدَّى احترامًا للتقاليد الاجتماعية، بل ويختار الإنسان منها ما يناسب كل بيئة رعاية للجماعة!! وأيضًا العبارات الخاصة بتوزيع الأعمال، وطلب المساعدة، وطلب العمل .. إلخ، كل هذه العبارات لا تحمل فكرًا جديدًا كان يجهله السامع، بل هى للترابط الاجتماعى والتعاون الجماعى.

وتؤمن هذه المدرسة باستقلال علم اللغة عن الاعتماد على معايير ومبادئ العلوم الأخرى، وأنه ينبغى أن يقوم علم اللغة على حقائق اللغة ذاتــها؛ كى نصل إلى نتائج صحيحة؛ لأن الخلط بين اللغة ومبادئ العلوم الأخرى يؤدى بنا ـــ فى الأعم الأغلب- إلى نتائج مضللة بعيدة عن الصواب.

---

(١) المرجع السابق، ص ٥٦ .

تعقيب على وظيفة اللغة:

أرى أن اختلاف اللغويين حول وظيفة اللغة إلى مدارس متعددة (العقلية، والسلوكية، والاجتماعية) ناشئ عن اختلاف المنطق الذى تبدأ منه كل مدرسة معالجة هذه القضية؛ فاهتمام الفلاسفة والنفسيين بجوانب المنطق والباعث والدافع والتفكير، وأهمية اللغة للتعبير عن كل ذلك، جعلهم يذهبون إلى أساسية وظيفة اللغة كمُعبِّر عن الفكر والمشاعر، فهذه نقطة اهتمامهم، وكان من حق من خالفهم الرأى أن يطارحهم السؤال:

إن كانت وظيفة اللغة بهذه الصورة تنطبق تمامًا على لغة المفكرين وعلماء النفس والفلسفة، فماذا عن جموع جماهير الجماعة اللغوية متنوعى الثقافة والوعى؟ إن فى هذا تضييقًا لوظيفة اللغة، ولعل هذا هو الذى دفع أصحاب المدرسة الاجتماعية- وهم يهتمون بأفراد الجماعة اللغوية جميعًا- أن يذهبوا إلى أن الوظيفة الأساسية للغة هى التواصل والتعاون والترابط الاجتماعى.

وبالتأمل غير المضغوط بأدلة إحدى المدرستين (العقلية، والاجتماعية)، ومع مراعاة الحقائق التى أشارت إليها كل مدرسة، يمكن أن نلمح- بوضوح- أن وظيفة اللغة تؤدى الجانب العقلى والجانب الاجتماعى. فالتواصل والترابط الاجتماعى لا يخلو من منطق وفلسفة، ونرى أن ذلك يتحقق بمستويات مختلفة حسب درجة الثقافة والوعى لدى المتحدث، كما أن التعبير عن الأفكار والمشاعر لا يخلو من جانب اجتماعى، ولما كان الجانب الاجتماعى هو الذى يبرز هنا ويتفوق على غيره من الجوانب؛ لشموله الجماعة اللغوية بأسرها، فإنه يستحق الصدارة، وأن تكون الوظيفة الأساسية للغة هى الوظيفة الاجتماعية، دون إغفال دور اللغة المهم فى التعبير عن الجوانب العقلية والسلوكية.

ثالثــاً: اللغــة متغــيرة :

ترتبط اللغة بالمجتمع ارتباطًا وثيقًا، فهى المرآة التى تعكس كل مظاهر التغير والتحول فى المجتمع: رقيًّا كان أو انحطاطًا، تحضــرًا كان أو تخلفًــا .. لذا كان التغير سنة جارية فى سائر اللغات الحية وإن اختلفت نســبته.

ويقع التغير اللغوى فى المستويات اللغوية كلها: من أصوات وصرف وتراكيب ودلالة، ويُدرس كلٌّ فى بابه، ويهتم الباحثون بدراسة دوافع وأسباب هذا التغير ومظاهره ونتائجه ... إلخ.

ومن الأمثلة على هذا التغير:

(١) **التغير الصوتى** : وهو التغير الذى يقع فى مستوى الصوت المفرد (الحرف) أو الحركة، ومن أمثلته التغير الصوتى للأصــوات الأسنانية فى الفصحى فى مصر " ذ ث ظ ":

ذ ← ز، فى مثل / ذكر : زكر ــ الذين : اللزين.

ث ← س، فى مثل / ثورة: سورة ــ ثُمَّ : سُمَّ.

ظ ← إلى صوت بين الظاء والزاى المفخمة.

ويزداد التغير لــهذه الحروف فى العامية المصرية المعاصرة، فنلاحظ التالى:

ذ ← د، فى مثل / الذئب: الديب ــ ذيل: ديل.

ث ← ت، فى مثل/ الثوم: التوم ــ ثلاثة : تلاتة.

ظ ← ض، فى مثل/الظل: الضل ــ الظهر: الضهر.

(٢) **التغير الصرفى** : وهو التغير الذى يقع فى مستوى الكلمة، ومن أمثلته:

اسم الفاعل من الفعل قرأ : قارئ، لكن المعاصرين ينطقونه (مقرئ). واسم المفعول من الفعل الأجوف (دان): مدين، لكن المعاصرين ينطقونه: مديون.

ومما ينبغى أن يشار إليه هنا الخلط الواضح فى ضبط عين المضارع[١] ، فلا يهتم بها فى حديثه ولا يراعيها إلا قليل، ومن أمثلة ذلك:

الماضى	المضـــــارع	
	الخطأ الشائع	الصـــــواب
نَقَـــلَ	ينقِـــل	ينقُـــل؛ لأنها من باب: نصَرَ ينصُـــرُ
هَـــدَفَ	يَهـــدِف	يهـــدُف؛ لأنـــها من باب: نَصرَ يَنْصُـــرُ
كَسَـــبَ	يكسَـــب	يكسِـــبُ؛ لأنـــها من باب: ضَرَبَ، يَضْرِبُ

(٣) **التغير التركيبى** : وهو التغير الذى يقع فى مستوى الجملة:

وله وجوه كثيرة وأنماط متباينة، فقد لا يكون التغيير فيه خروجًا عن قواعد اللغة العربية، ولكن المعنى المعبر عنه بـــهذا التركيب أو ذاك معنى مستحدث، ومن أمثلة ذلك ما يلى [٢]:

(١) يلعب دورًا هـــامًّا، ويقابله بالإنجليزية:

- *He plays an important part* … …

---

(١) راجع: د.محمد محمد داود: الصـــوائت والمعنى فى العربيـــة (دراسة دلالية ومعجم)، ص ٤٨.

(٢) د. كمال بشر: دراسات فى علم اللغة، القسم الثانى، ط ٢، ١٩٧١، ص ٢٦١ .

(٢) كلام للاستهلاك المحلى، ويقابله بالإنجليزية:

- For local consumption.

وهنا نمط آخر من التغير التركيبى، يكون التغير فيه مخالفًا لقواعد اللغة العربية من ذلك ما كان تأثرًا باللغة الأجنبية؛ كما نلاحظه فى الأمثلة التالية:

- أنا كمصرى، أنا كمسلم ... إلخ. وهذا النمط مصـــوغ على نمط التعبير الإنجليزى(١) :

(I am) as an Egyptian ، (I am) as a Moslem.

ومن أمثلته أيضًا:

- كلما اجتهدت كلما حصلت على مال أكثر، فهى مصوغة على نمط:

The more you work, the more you get more money.

- دخل علىَّ بينما كنت أقرأ، مصوغة على نمط:

He came in while I was reading.

- دعنى أنظر فى الأمر

Let me look.

وهناك نمط آخر فيه تغير للموقعية وترتيب الكلمات والأدوات، من ذلك العـــبارة: سوف لا أســـافر ، بدلاً من : لن أسافر، قد لا يجوز، بدلاً من: ربمـــا لا يجوز.

وهناك أنماط أخرى خاصة بتعدى الفعل ولزومه، ومن ذلك:

الفعل " أكد " يتعدى بدون حرف جر، ويكثر استعماله فى العربية المعاصرة متعديًا

---

(٢) المرجع السابق، ص ١٤٣.

بحرف الجر "على"، فى مثل قولهم:

- أكد على الحقيقة ، أكد على الأمر .

والصواب : أكد الحقيقة، وأكد الأمر.

(٤) التغير الدلالى :

وأكثر ما يقع من تغير فى اللغة يكون فى المستوى الدلالى، وذلك بسبب التوسع فى استعمال الألفاظ لمعانٍ جديدة ودلالات مستحدثة، وللتغير الدلالى أسبابه ودوافعه، ومظاهره ونتائجه، ومِنْ أمثلة التغير الدلالى ما يلـــى:

(١) كلمة (جيل – أجيال)، كان استعمالها فى القديم[١] فى مجال الأحياء: نباتية أو حيوانية أو بشرية، فى حين أصبحت الكلمة فى العربية المعاصرة تستعمل فى مجال الجمادات فى عالم الكمبيوتر، فى مثل الشاهد التالى:

- تم تطوير أجيال حديثة من الكمبيوتر تستوعب كل المعطيات [٢].

- الأجيال التالية من القطارات اليابانـــية الفائقة السرعة المعروفة باسم القطار الرصاصة، ليس الهدف منها أن تكون أسرع بل أن تكون أكثر راحة [٣].

(٢) ربـــت[٤]: ورد فى القديم بمعنى التربية، وتطورت دلالته فى المعاصر إلى الدلالة الحركية التى تتم بواسطة اليد ويصاحبها شيء من مشاعر الود والحنان والعطف.

---

(١) د. إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، ص ٧٦.

(٢) الأهرام ١٩٩٩/٦/١٢، العدد ٤١٠٩٥، السنة ١٢٣، ص ٥.

(٣) الأهرام ١٩٩٩/٦/١٢، العدد ٤١٠٩٥، السنة ١٢٣، ص ٥.

(٤) راجع بتوسع: د. محمد محمد داود: ألفاظ الحركة فى العربية المعاصرة، (دراسة دلالية ومعجم).

(٣) زفَّ [١]: حدث التطور الدلالى لهذا الفعل من خلال تثبيت الدلالة المجازية وغياب الدلالة الأصلية؛ فالدلالة الأصلية للمادة " زَفَّ" هى السرعة، ثم استعير لحركة العروس لما فيها من خفة وفرح (سرعة معنوية)، وقد عملت العربية المعاصرة على تثبيت هذه الاستعارة، وتغييب الدلالة الأصلية، ولم يرد الفعل (زفَّ) فى العربية المعاصرة إلا مقترنًا بملمح الفرح المصاحب للحدث (الحركة).

والعربية المعاصرة غاب فيها تمامًا الاستعمال الأصلى للكلمة، وبقى الاستعمال المجازى ثابتًا وتحول إلى حقيقة؛ حتى أصبح الذهن- عند إطلاق الكلمة- لا ينصرف إلا إليه.

(٤) نهش: تطورت دلالته فى المعاصر من العض دون الجرح (الدلالة القديمة) إلى معنى: حركة الأنياب والأسنان فى جسد آخر للأخذ من لحمه أو تجريحه.

(٥) هرش : تطورت من معنى المهارشة وتقاتل الكلاب إلى معنى: حك الجلد باليد أو الأظفار.

(٦) وثب : تطورت دلالته فى المعاصر من الهبوط، والقيام إلى معنى القفز.

(٧) القناعة: استعمالها فى القديم كان فى مجال الرضا النفسى، فى حين أصبحت تستعمل فى العربية المعاصرة بمعنى الاقتناع، وهو من مجال الرضا العقلى، من ذلك الشاهد التالى:

وإنى لأعتقد الآن بعد أن سرت معك على درجة واحدة من القناعة بصدق القاعدة التى أسلفناها [٢].

---

(١) المرجع السابق نفسه.

(٢) د. طه الدسوقى: الهجرة بين سنن الله الجارية وسننه الخارقة: ص ٣٨٧.

رابعًا: اللغـــة مكتســـبة:

لا يولد الإنسان متكلمًا بفطرته، بل يكتسب لغة المجتمع الذى نشأ فيه؛ فمن نشأ فى مجتمع عربى يكتسب العربية، ومن نشأ فى مجتمع إنجليزى يكتسب الإنجليزية، وهكذا.

وهناك جانبان أساســيان لعملية اكتساب اللغة عند الإنسان؛ هما:

(١) الجانب الفطرى (اللا إرادى):

وهو القدرة الذهنية، ويطلق عليها (الملكة اللغوية)، ونعنى بـــها القدرة التى أودعها الله فى الإنسان فجعلته مهــيأ لاكتساب اللغة، فجعل له أعضاء النطق والسمع، سواء فى ذلك ما كان ظاهرًا مباشرًا منها كالحنجرة واللسان والشفتين للنطق، والأذنين للسمع ... إلخ، أو ما كان غير ظاهر كالأجزاء المسئولة عن النطق فى المخ والأعصاب، ونحو ذلك، ووجود هذا الجانب أساسى ومهم فى العملية اللغوية [١].

(٢) الجانب المكتسب (الإرادى):

وهو جانب مرتبط بالبيئة؛ حيث يكتسب الطفل لغة من نشأ بينهم؛ فمن نشأ بين عرب يتحدث العربية، ومن نشأ بين أهل الإنجليزية يتحدث الإنجليزية، وهكذا، ويدخل جانب التقليد بقدر كبير فى عملية الاكتساب؛ حيث يتم اكتساب اللغة من الجماعة اللغوية بكل سمات وملامح الواقع اللغوى لـــهذه الجماعة من صحة أو خطأ، وما بينهما من درجات التفاوت والتباين.

---

(١) انظر: د. مصطفى فهمى: أمراض الكلام، ص ٩ - ٢٨.

خامسًا: اللغـــة نســـق :

لكل لغة نسقها الخاص على المستوى الصوتى، والصرفى، والتركيبى، والدلالى.

فعلى المستوى الصوتي: نجد أن هناك تباينًا واضحًا بين أصوات كل لغة وأخرى فلكل لغة نسقها الصوتى الخاص بـــها، من نطق كل صوت (فونيم) بصورة محددة، بالإضافة إلى وجود صور صوتية للصوت الواحد (فونيم)، مثل التفخيم والترقيق فى العربية ودرجاهما المختلفة للصوت الواحد.

ومن الأمثلة الواضحة على ذلك الصور الصوتية الخاصة بدرجات التفخيم لصوت الخاء فى العربية، على النحو التالى:

١- خَـــا (خالدين) مفتوح وبعده ألف، (أعلى درجات التفخيم).

٢- خَ (خَـــير) مفتوح وليس بعده ألف، (الدرجة الثانية).

٣- خُ (خُلود) مضموم، (الدرجة الثالثة).

٤- خْ (أخْبارها) ساكن، (الدرجة الرابعة).

٥- خِ (خيانة) مكسور، (أدنى الدرجات).

والفرق بين صورتين صوتيتين لصوت واحد بين التفخيم والترقيق، على نحو ما نجد فى حرف الراء فى العربية:

١- (رَ) مفخم، كما فى كلمة: رَبّ.

٢- (رِ) مرقق، كما فى كلمة: رِجال.

وتأليف الأصوات (فونيميًّا) مع بعضها لتكوين الكلمات يتحكم فيه أيضًا النسق الصوتى الخاص بكل لغة، على نحو ما نجد فى العربية من تنافر بعض الحروف وصعوبة اجتماعها متوالية فى كلمة واحدة؛ مثل: ذ، ظ، ث.

وعلى المستوى الصرفى: من حيث بنية الكلمة، نجد لكل لغة نظامها الخاص فى بناء الكلمات؛ فالعربية مثلاً تميل إلى الاشتقاق، على نحو ما نجد فى المشتقات التى يمكن اشتقاقها من مـــادة (ك ت ب)، فيكون منها: كاتب، مكتوب، مكتب، مكتـــبة... إلخ، فى حين تميل الإنجليزية إلى الإلصاق فى اشتقاق الكلمات عن طريق إضافة السوابق، مثل: *un, re* أو إضافة اللواحق مثل: *s, ed, ly, ing*.

وعلى المستوى التركيبى: فكل لغة لـــها نسقها الخاص فى ارتباط الكلمات ببعضها لتكوين جمل تؤدى معنى؛ فالعربية مثلاً تعرف نوعين من الجمل: الفعلية والاسمية، فى حين تقتصر الإنجليزية على الجملة الاسمية فقط، وتتميز العربية بخاصية الإعراب. أيضًا فى أدوات الربط بين الكلمات والجمل، نجد أداة العطف (و) تستخدمها العربية قبل كل معطوف عند تكرار العطف، مثل: " أحب محمدًا وأحمد وإمامًا "، فى حين تقتصر الإنجليزية على وضع أداة العطف *and* قبل المعطوف الأخير فقط، مثل: *I love Mohamed, Ahmed and Emam.*

وعلى مستوى التراكيب الصغرى: مثل التركيب الإضافى، والصفة والموصوف؛ فكل لغة لها نسقها الخاص بـــها، كما يظهر من المثالين التاليين:

نوع التركيب	العربيـــــــة	الإنجليزيـــــــــة
التركيب الإضافى	جامعة القاهرة	Cairo University
الصفة والموصوف	الموضـــوع الأول	The First Subject

وعلى المستوى الدلالي: نجد لكل لغة نسقها الخاص بها؛ فالتعبير بالفعل المضارع فى العربية يفيد التجدد والاستمرار، والتعبير بالماضى لتأكيد وقوع الحدث، والتعبير بالجملة الاسمية يفيد الثبوت للمعنى، فهو أقوى فى الدلالة.

أيضًا ترتبط المعانى بثقافة المجتمع التى تشكل نمط تفكيره وسلوكه. وما يُعَبَّر عنه من المعانى فى لغة بكلمة واحدة، قد يعبر عنه فى لغة أخرى بأكثر من كلمة وذلك على نحو ما يظهر من الأمثلة التالية:

فى العربية	فى الإنجليزية
هيهات	*It is too far*
هو قوى كالأسد	*He is as strong as a lion*
لن أقابله	*I will never meet him*
عَمَّ ؟	*What about ?*

الفصل الثالث

اللغة واللهجة واللحن

اللغـــــة واللهـــجة

لعل أقدم معنى لكلمة اللهجة هو ما ذكره ابن منظور فى لسان العرب: الولوع بالشيء واعتياده[١] . وتتعدد دلالات الكلمة، ومن بينها دلالتها على جرس الكلام، وبين المعنيين صلة: وهى دلالة اعتياد الشيء.

اللهجة اصطلاحًا:

المتأمل لجمهور المتحدثين للغة واحدة- كالعربية أو الإنجليزية مثلاً- يرى أنماطًا متباينة من الاستخدام اللغوى داخل اللغة الواحدة بين أبناء هذه اللغة، وكل نمط له خصائصه اللغوية **الخاصة** التى تميزه عن غيره من الأنماط داخل اللغة الواحدة، مع اشتراك جميع هذه الأنماط فى جملة من الخصائص اللغوية **العامة** التى تجمع بينها.

فعلى مستوى اللغة العربية نجد أن النمط اللغوى المصرى يختلف عن السودانى عن المغربى ... إلخ، وإن كانت كل هذه الأنماط تجمع بينها صفات وخصائص لغوية عامة تجعلها فى إطار لغة واحدة متميزة عن غيرها.

فالمصرى يقول: تليفون، والخليجى يقول: هاتف، للدلالة على الآلة المعروفة.
والمصرى يقول: بطيخ، والليبـــى يقول: حَبْحَـــب، للدلالة على الثمرة المعروفة.
والمصرى يقول: ما اعرفش، والسعودى يقول: ما ادرى، للدلالة على نفى العلم.
والمصرى يقول: ماشى ، والعراقى يقول: صـــارْ، للتعبـــير عن الموافقة.

والمصرى يقول: كويس ، والعراقى يقول: خوش، للدلالة على جودة الشيء والرضا عنه.

---

(١) لسان العرب: مادة (ل هـــ ج) .

بالإضافة إلى الاختلافات الصوتية الواضحة بين قطر وآخر بل داخل القطر الواحد، من ذلك تحول القاف إلى الجيم القاهرية فى صعيد مصر: قال : جـــال.

وعلى مستوى اللغة الإنجليزية تجد النمط اللغوى الأوربى يختلف عن الأمريكى[1].

وهذا التمايز والتغاير بين الأنماط داخل اللغة الواحدة دعا اللغويين إلى التعرف على الخصائص اللغوية (صوتية، صرفية، تركيبية، دلالية) لكل نمط من الأنماط التى تتباين داخل اللغة الواحدة.

ومجموع الخصائص اللغوية لكل نمط تمثل: "اللهجة" *Dialect*؛ فاللهجة يمكن تعريفها بأنـــها: نمط من الاستخدام اللغوى داخل اللغة الواحدة، يتميز عن غيره من الأنماط داخل نفس اللغة بجملة من الخصائص اللغوية الخاصة، ويشترك معها فى جملة من الخصائص اللغوية العامة.

ويلتـــقى هذا التعريف مع تعريف الدكـــتور إبراهـــيم أنيس للهجة بأنـــها: "مجموعة من الصفات اللغوية تنتمى إلى بيئة خاصة، ويشترك فى هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة" .

---

(١) يظهر فى الكتب الدراسية التى تتناول الإنجليزية- التمييز بين الإنجليزية الأمريكية والإنجليزية البريطانية، والإنجليزية الهندية، والإنجليزية الإسترالية؛ فعلى المستوى الصوتى وضعت مؤلفات لتمييز النمط الأمريكى فى النطق، من ذلك: *Sounds of American "Accent English Speech*"، وهو كتاب مدعم بأشرطة صوتية ويهتم ببيان النظام الصوتى للإنجليزية الأمريكية، وفى الكتب الخاصة بقواعد اللغة الإنجليزية نجد ملحقات لبيان الاختلافات بين الإنجليزية الأمريكية والإنجليزية البريطانية، من ذلك: القائمة الموجودة بكتاب *Fundamentals of English Grammer*، كذلك نجد فصلاً كاملاً فى كتاب:

Language: its structure and use

بعنوان: *.British and American varieties p, 404*

وتتعرض اللـــهجات للمؤثرات الاجتماعية والسياسية والدينية والحضارية وغيرها من مؤثرات الحياة المختلفة، وترتبط بأهلها: تضعف بضعفهم، وتموت باندثارهم وتوزعهم وتشتتهم، وفى المقابل تقوى اللهجة ويكون لها سيطرة ملحوظة حين يرقى أهلها ويصبحون فى موقع التأثير فى غيرهم فكرًا وعلمًا ولغة لدرجة تستقل فيها اللهجة عن أخواتـــها من اللهجات حتى تصير لغة قائمة بذاتها، لـــها خصائصها اللغوية التى تميزها حتى عن اللغة التى انحدرت عنها.

إن اختلاف الألسنة إلى لغات ولـــهجات ورد فى القرآن الكريم على أنه من آيات الله الجارية بين الناس، قال الله تعالى:

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ﴾ الروم/٢٢ .

ويمتد مدلول اختلاف الألسنة فى الآية ليشمل اللغـــات المخـــتلفة، كما يشـــمل- أيضًا- اللهجات المتباينة، فهو من قبيل اختلاف الألسنة.

ومن اهتمامات علم اللغة الحديث دراسة اللهجات المختلفة مع ربطها بالمناطق الجغرافية، وأثمرت هذه الدراسات وضع أطالس لغوية [(١)]، على نحو ما أنجـــزه فى ألمانيا *George wenker*، وفى فرنسا *jules Gillieron*، وفى إيطاليا: *Jud*، وفى انجلترا *Hons Kurath*.

يضاف إلى دراسات اللهجات جغرافيًّا دراستها اجتماعيًّا؛ لبحث علاقة اللهجات بالعمر والجنس والمهنة.

---

(١) د. عبده الراجحى: فصول فى علم اللغة، ص ١٢١.

لهجة الفرد *Idiolect*:

كما تتنوع اللغة حسب المجتمعات إلى لـــهجات، يتنوع- أيضًا- الأداء اللغوى بين الأفراد الذين ينتمون إلى لـــهجة واحدة؛ فهناك فروق فردية فى الأداء اللغوى بين فرد وفرد، وإن كانت هذه الفروق تأتى غير واضحة لغير المتخصص وتعود هذه الفروق الفردية- فى الأداء اللغوى- إلى عوامل عديدة، منها ما هو عضوى يتصل بجهاز النطق عند الإنسان؛ حيث تتباين قدرات جهاز النطق بين إنسان وآخر، ومن هذه العوامل ما هو اجتماعى، ومنها ما هو نفسى.

بل يصل الأمر فى الدقة إلى ملاحظة اختلاف أداء الفرد للنص الواحد بين مرة وأخرى؛ استجابة لمؤثرات داخلية فى نفسه وجسده، أو لمؤثرات خارجية فى البيئة التى حوله؛ فلو قام رجل بأداء كلمة فى حفل مهيب، وبعد أن انفض الحفل قام الرجل نفسه بأداء نفس الكلمة فى حجرة مغلقة بدون جمهور، فإن الأداء يختلف.

ويلحظ هذا فى أكثر النصوص تقنية من حيث الأداء الصوتى، وهو القرآن الكريم، فقارئ القرآن حين يتلو آيات فى محفل، ثم يكرر الآيات نفسها فى ظروف أخرى تجد أن الأداء به فروق وإن كانت طفيفة، إلا أن الحاذق من المتخصصين يلمح هذه الفروق.

العلاقة بين اللغة واللهجة:

هى علاقة عموم وخصوص، حيث تشمل اللغة الواحدة عدة لـــهجات متباينة فى خصائصها اللغوية، مع اشتراكها فى صفات لغوية أخرى تجمع بينها؛ فنجد فى العربية قديمًا لـــهجات خاصة بالقبائل: تميم، طيىء، الحجاز، هذيل ...إلخ، وكلها تنتمى إلى العربية.

ويقع الترادف فى الاستعمال اللغوى بين اللفظتين: اللغة، واللهجة؛ من ذلك ما أورده ابن جنى فى "الخصائص" عنوانًا لأحد أبواب الكتاب، قال فيه:

" باب اختلافات اللغات وكلها حجة " [١].

وكذلك ابن فارس فى كتابه " الصاحبى " أورد بابًا بعنوان: " اختلاف لغات العرب من وجوه "[٢].

وكثيرًا ما يشير أصحاب المعاجم إلى لغات القبائل: لغة تميم، لغة هذيل، لغة الحجاز، لغة طيئ، ويقصدون باللغة فى مثل هذه المواضع: "اللهجة".

أيضًا روى الزُّبيدى: قال ابن نوفل: سمعت أبي يقول لأبى عمرو بن العلاء:

أخبرنى عما وضعت مما سـميته عربية، أيدخل فيه كلام العرب كله؟ فقال: لا. فقلت: كيف تصنع فيما خالفتك فيه العرب وهم حجة؟ فقال: أعمل على الأكثر، وأسمى ما خالفنى لغات[٣] . يريد باللغات هنا: اللهجات.

وامتد استعمال اللغة بمعنى اللهجة خلال القرون، فنجد من تراث القرن الثامن الهجرى عند ابن جماعة (ت ٧٣٣هـ) فى كتابه "كشف المعانى" يقول: " قد علم أن القرآن نزل بأفصح لغات العرب وكلامها "[٤] . ويريد بـ " لغـات العرب": لـهجاتـها.

---

(١) ابن جنى: الخصائص، ج٢ / ص١٢.

(٢) ابن فارس: الصاحبى فى فقه اللغة، القاهرة: المكتبة السلفية، ١٩١٠م .

(٣) الزبيدى، طبقات النحويين واللغويين ، ص ٣٤ .

(١) ابن جماعة: كشف المعانى، تحقيق د. محمد محمد داود ، ص ٥٠ .

اللهـــجة واللحـــن:

وكما يقع الترادف بين اللغة واللهجة، فإنه يقع ـــ أيضًا ـــ بين اللحن واللهجة. واللحن فى الاستعمال اللغوى له دلالات متعددة: فيرد بمعنى "إمالة الشيء عن جهته"[(١)]، وهى الدلالة العامة للكلمة، ثم تحددت هذه الدلالة من خلال السياقات المختلفة، فكانت للكلمة الدلالات التالية [(٢)]: الغناء وترجيع الصوت والتطريب، التورية، الخطأ فى اللغة، الفطنة، معنى القول وفحواه، اللهجة الخاصة.

والدلالة الأخيرة هى المقصودة هنا، وبينها وبين المعنى العام للكلمة صلة، وهو معنى الميل؛ فاختلاف اللهجة عن اللغة يعد ميلاً عنها بوجه ما من وجوه استعمالـــها فى كلام العرب؛ ومن شواهد هذه الدلالة قول الأعرابية الكلبية[(٣)]:

وقومٌ لهم لحنٌ ســـوى لحن قومنا وشكلٌ وبيتِ اللهِ لسنا نشاكلُهْ

وقول أبى مهدى: " ليس هذا من لحنى ولا من لحن قومى " [(٤)].

اهتمام القدماء بجمع اللهجات المختلفة:

نالت اللهجات عناية القدماء، فبذلوا جهدًا دؤوبًا فى جمعها وتدوينها، ولا سيما تلك اللهجـــات التى وردت بالقرآن الكريم، ويذكر ابن النديم فى "الفهرست"[(٥)] ما ألف تحت عنوان: لغات القرآن، ومن ذلك:

---

(١) لسان العرب: مادة (ل ح ن).

(٢) عبدالعزيز مطر: لحن العامة، ص ١٧.

(٣) لسان العرب: مادة (ل ح ن).

(٤) لسان العرب: مادة (ل ح ن) ، الزجاجى: مجالس العلماء: ص٣.

(٥) ابن النديم، الفهرست، ص ٥٣، ١٠٠، ١٤١.

لغات القرآن لأبي زكريا الفراء (ت ٢٠٧هـ)، ولغات القرآن لأبي زيد الأنصارى (ت٢١٥هـ)، ولغات القرآن للأصمعى (ت٢١٦هـ)، ولغات القرآن لابن دريد (ت٣٢١هـ)، وغيرهم.

ويذكر أيضًا صاحب "الفهرست" ما ألف تحت عنوان: " كتاب اللغات" [1]، ومن أشهر هذه المؤلفات:

"كتاب اللغات"لكل من: يونس بن حبيب (ت ١٨٢هـ)، والفراء(ت ٢٠٧هـ)، أبي عبيدة (ت ٢١٠هـ)، وأبي زيد الأنصارى، الأصمعى ... وغيرهم.

هذا بالإضافة إلى كتب النوادر [2]، مثل كتاب "النوادر" لكل من: يونس بن حبيب، البصرى (ت ١٨٢هـ)، والكسائى (ت ١٨٩هـ)، وقطرب (ت ٢٠٦هـ)، وأبي عبيدة وغيرهم.

أيضًا تم جمع لهجات قبائل بعينها، من ذلك: لغات هذيل، لابن الأشعث النحوى.

واقتصر جهد القدماء على الجمع والتدوين دون توفر لدراسة اللهجات لغويًّا، وينبغي الإشارة هنا إلى أننا فى العربية أمام نوعين من اللهجات:

أولاً: لهجات ماتت واندثرت: لأنه كان ينظر إليها على أنها لهجات مذمومة؛ لذا كان الشعراء والأدباء يترفّعون عنها [1]، وأصدق دليل على هذا هو قلة شواهد هذه اللهجات فى الشعر الجاهلى قلة تصل إلى حد الندرة، يقول الدكتور إبراهيم أنيس:

" كان لا بد لأولئك الشعراء الذين جاءوا من بيئات متباينة أن ينظموا شعرهم بلغة

---

(١) ابن النديم، الفهرست:ص ٥٣، ٦٣، السيوطى: بغية الوعاة :٣٣٣/٢، المزهر: ٩٦/١.

(٢) السيوطى، بغية الوعاة ٢٣٦/٢، ابن النديم، الفهرست: ص ٦٣، ٦٨، ٩٨.

(٣) محمد محمد يوسف الطحلاوى:الشعر الجاهلى وأثره فى تفسير معانى القرآن الكريم، ص٤٠.

خالية من عنعنة أو عجعجة أو كشكشة؛ لينالوا إعجاب سامعيهم ولا يكونوا موضع سخريتهم وهزئهم، وإلا فكيف كان من الممكن أن يفضّل شاعر على شاعر فى تلك المناظرات إذا كان القياس مختلفًا وأداة القول متباينة " [1].

وأهم هذه اللهجات المذمومة، هى:

١- الكشكشة: وهى إبدال الكاف شينًا، فيقولون: عليش، بدلاً من عليك، وأشهر من تكلم بها: قبيلة تميم.

٢- الكسكسة: وهى زيادة سين بعد كاف المؤنث فى حال الوقف، فيقولون: مِنكِسْ، بدل: مِنكِ، وأشهر من تكلم بـــها: تميم وربيعة وهوازن ومضر.

٣- الشنشنة: وهى إبدال الكاف شينًا مطلقًا، فيقولون: لَبَّيْشَ بدلاً من لبيك، وتنسب إلى اليمن.

٤- العنعنة: وهى إبدال الهمزة عينًا، وتنسب إلى تميم وقيس وأسد، ومثالـــها: عن، بدلاً من: أن.

٥- الفحفحة: وهى إبدال الحاء عينًا، فيقولون: عتَّى، بدل حتى، وتنسب إلى هذيل وثقيف.

٦- التلتلة: وهى كسر حرف المضارعة بالفعل المضارع، فيقولون: نِعلم، يِشهد، ونسبتها إلى تميم وقضاعة وقريش.

٧- الطمطمانية: وهى إبدال لام التعريف ميمًا، فيقولون: امصيام، بدلاً من الصيام، وتنسب إلى تميم ودوس واليمن وحمير.

وغير ذلك من اللهجات التى عرفتها الحياة العامة فى الجاهلية، بعيدًا عن لغة الأدب.

---

(١) د. إبراهيم أنيس: فى اللهجات العربية، ص ٣٩.

ثانيًا: لـــهجات حفظها القرآن من الاندثار:

نالت اللهجات العربية فى القرآن الكريم اهتمامات اللغويين والباحثين فى علوم القرآن؛ لاعتبارين هما:

١- قوة الصلة بين اللهجات العربية والقراءات القرآنية[١] ؛ حيث كانت القراءات تيسيراً على القبائل المختلفة فى عاداتـــها النطقية، ويؤكد هذه الحقيقة حديث رسول الله ﷺ :

"إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فأى ذلك قرأتم أصبتم، فلا تماروا" [٢].

٢- إن من أوثق الشواهد التى يمكن الاعتماد عليها فى دراسة اللهجات هى القراءات القرآنية، المشهور منها والشاذ؛ لأنـــها تعبر عن الواقع الحى للظواهر الصوتية والصرفية والنحوية للهجات العربية.

لـــهذا كانت القراءات القرآنية خير مرجع يصور الاختلافات بين اللهجات؛ فمثلاً: قوله تعالى : ﴿ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾ البقرة/٢٨٠ .

قرأ الجمهور : (**نَظِـــرة**) بكسر الظاء، وهى لغة قريش.

وقرأ مجاهد والضحاك : (**نَظْـــرة**) بسكون الظاء، وهى لغة تميم[٣].

وقوله تعالى : ﴿ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ التوبة/٧٢ .

---

(١) راجع: د. إبراهيم أنيس: فى اللهجات القرآنية، د. عبده الراجحى: اللهجات العربية فى القراءات القرآنية.

(٢) مسند أحمد: ٤٠٠٢٤/١٢.

(٣) أبو حيان: البحر المحيط، تفسير الآية، ٣٤٠/٢.

قرئ: (رِضوان) بكسر الراء، وهى لغة الحجازيين، وقرئ بضمها وهى لغة تميم[1].

وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ ﴾ النساء/١٤٢ .

قرأ الجمهور : (كُسالى) بضم الكاف وهى لغة الحجازيين، وقرأها الأعرج بالفتحة، وهى لغة تميم وأسد [2].

نشأة اللهجات:

ارتباط اللغة بالمجتمع يجعلها تتأثر بما يمر به المجتمع من أحداث وظروف، فالظروف الاجتماعية، والسياسية، والحضارية، والجغرافية، كلها تؤثر فى اللغة.

فالعوامل السياسية تؤثر فى اللغة؛ لأن اختيار اللغة الرسمية فى البلاد من أقوى العوامل المؤثرة على اللغة، فالنظام اللغوى الذى تفرضه حكومة أى دولة على الشعب كلغة رسمية للتعامل بها فى مجالات الثقافة والعلوم والأدب، يجعل هذا النظام اللغوى هو النظام الفصيح، فى حين يعتبر النظام اللغوى الذى يقتصر استخدامه على الحياة اليومية لهجة أو عامية[3]، وإن كانت اللغة العربية لها خصوصية فى هذا المقام، فارتباطها بالقرآن الكريم جعلها مصونة من مثل هذه التأثيرات.

والعوامل الاجتماعية لها دور بارز أيضًا فى نشأة اللهجات؛ فالناس داخل المجتمع الواحد متفاوتون فى أمور كثيرة، فقد توجد الطبقات الأرستقراطية، والطبقات الصناعية الحرفية، والطبقات التجارية، والطبقات العلمية، ويتنوع الأداء اللغوى ويتميز بخصائص لغوية تتباين من طبقة إلى أخرى.

---

(١) محمد فهد خاروف: الميسر فى القراءات الأربعة عشر، ط١، دار ابن كثير ١٩٩٥، ص١٩٨.

(٢) أبو حيان، البحر المحيط: ٣/ ٣٧٧.

(٣) راجع: د. محمود فهمى حجازى: مقدمة فى علم اللغة، ص ١٤.

والعوامل الجغرافية لـــها دور أيضًا فى نشأة اللهجات وبخاصة فى القديم؛ فالحضرى تختلف بيئته عن الريفى، والمناطق المعزولة تظل محافظة على لـــهجتها، فى حين تكون المناطق المتواصلة مع غيرها عرضة للتأثير؛ على نحو ما نجد عند سكان السواحل مثلاً، مثل مدن القناة، والإسكندرية، نجد عندهم ما يمـــيز لـــهجتهم عن لـــهجة القاهرة مثلاً.

والعوامل الحضارية لـــها دور مؤثر كذلك، فلا شك أن العلم والثقافة لـــهما دور بارز فى تكوين الشخصية وتشكيلها عقليًا ونفسيًا، ويكون لـــهذا التشكيل أثره على لغة الإنسان.

الفصل الرابع

علم اللغـــة

النشأة والملامح والمناهج والصلة بالعلوم الأخرى

تاريخ الدرس اللغوى

تساؤلات حول النشأة:

لما كانت اللغة قديمة قدم الإنسان، فالاهتمام بـــها موغل فى القدم أيضًا، فلقد شغل العلماء تفكيرهم لعدة قرون بالبحث عن نشأة اللغة الإنسانية، وما أقدم لغة فى العالم؟ وهل نشأت جميع اللغات من مصدر واحد (اللغة الأم)؟ وما اللغة المستخدمة فى الجنة، وكيف تتابعت الكلمات منذ البـــدء ؟

تساؤلات عديدة مرت بالتجارب والنقاش الذى يعود إلى ما يقرب من ثلاثة آلاف عام مضت، ولم يتوصل أحد للإجابة الشافية عن هذه التساؤلات الحائرة حول نشأة اللغة.

وأخذت الأجيال المتعاقبة تطرح التساؤلات نفسها دون الوصول إلى إجابة يقينية.

وفى القرن التاسع عشر - فى عام ١٨٦٦م - أصدرت الجمعية اللغوية بباريس قانونًا يمنع مناقشة هذا الموضوع فى الندوات واللقاءات العلمية التى تقام بشأن اللغة؛ وذلك لأن علم اللغة الحديث يتناول اللغة تناولاً علميًّا، يقوم على المنهجية والدقة والتعامل مع الواقع اللغوى الحى (المنطوق)، أما المسائل التى هى فى علم الغيب وبخاصة تلك اللغات التى اندثرت ؛ فالكلام فيها من قبيل الظن فهو احتمالى وليس يقينيًّا.

لذلك عدل علم اللغة الحديث عن البحث فى نشأة اللغة إلى دراسة اللغة فى واقعها الحى المنطوق.

لكن مع ذلك استمرت المحاولات، وعاد الاهتمام – فى العصر الحاضر - بالتعرف على نشأة اللغة، وذلك فى ضوء اكتشافات الآثار والتقنيات الحديثة للتحليل، التى توحى إلينا ببعض الملامح عن موضوع نشأة اللغة.

البداية الجـــادة للدرس اللغـــوى:

أ- فى الغرب:

ظهرت فى الغرب مدرستان أساسيتان هما: اليونانية واللاتينية، وكان اليونانيون هم أصحاب السبق فى العمل اللغوى، كما ارتبط عملهم بالفلسفة، دون ارتباط بالواقع اللغوى الحى على ألسنة الناس عامة، وربما كان الدافع لـــهم وراء ذلك هو الاتجاه الفلسفى لفكرة المثال أو الأنموذج، ومازال تأثير الفكر الفلسفى على الدرس اللغوى واضحًا فى أعمالهم أو فى ما نقل عنهم حتى الآن.

أما بشأن اللاتينيين فقد حذوا حذو اليونانيين بداية، ثم انصرفوا للغتهم وعدُّوها مثالاً يُحتذى، فحاولوا الوصول إلى معايير وقواعد عامة يمكن أن تطبـــق على كل اللغات، فحاولوا وضع ما يسمى بالقواعد العالمية.

وانطلقت كل هذه الأفكار فى أنحاء أوربا، فكان لها الأثر الواضح فى الدرس اللغوى، ومازال بعضها جاريًا فى مدارس العلم هناك حتى الآن.

ب- فى الشـــرق:

وإذا نظرنا إلى الشرق وجدنا مدرستين بارزتين، ارتبط فيهما الدرس اللغوى بالدين وكتبه المقدسة، وهما:

الهـــنود: وارتبط الدرس اللغوى عندهم بكتابـــهم المقدس.

والعرب: وارتبط الدرس اللغوى عندهم بالقرآن الكريم.

ولقد تفوق الهنود على اليونانيين واللاتينيين فى مجال الدراسة اللغوية، بفضل الدراسة الوصفية للغة السنسكريتية (لغة الدين والأدب عند الـــهنود) [1]، واعتبر

---

(١) د. أحمد مختار عمر: البحث اللغوى عند الهنود، ص ٨٤ .

كتاب بانينى *Panini* (القرن الرابع ق. م): " القوانين الصوتية والنحوية للغة السنسكريتية " طفرة فى الدرس اللغوى، وبداية جادة لدراسة اللغة دراسة وصفية حتى اعتبره علماء اللغة المحدثون رائدًا للنحاة الوصفيين القدماء [1].

أما بشأن العرب؛ فمن الأمانة العلمية أن نلفت الانتباه إلى حقيقة هامة، وهى أن جهود العرب فى الدرس اللغوى ــ فى الفترة من القرن السابع حتى القرن العاشر الميلادى ــ تمثل فترة سخية فى نشأة علوم اللغة[2] عند العرب، التى نشأت تحت تأثير دافعين واضحين همـــا:

(١) خدمة الإسلام والمحافظة على القرآن الكريم من اللحن، وتيسير سبل فهمه وقراءته على غير العرب ممن دخلوا فى الإسلام من الأعاجم. ويذكر الإمام السيوطى أنه قد نشأ أكثر من خمسين نوعًا[3] من علوم اللغة التى قامت لخدمة القرآن الكريم.

(٢) خدمة اللغة العربية؛ للتغلب على الثنائية الموجودة فى الواقع اللغوى الحى على ألسنة العرب، المتمثل فى تياريـــن:

أ ــ الفصـــحى: وهى النموذج الذى يمثل اللغة العامة أو المشتركة، التى يمكن أن تتعامل بها كل القبائل فى إطار معايير محددة من القواعد الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية.

---

(1) *Robins, A short History of Language, P. 205.*

(٢) أهمل الأوروبيون عند تسجيل تاريخ علم اللغة جهود العرب فى هذه الفترة، فى حين أنـــهم أشاروا إلى جهود اليهود مثلاً فى وصفهم لقواعد النحو العبرى.

انظر: *Robins: A short History of Linguistics*

(٣) انظر: السيوطى، الإتقان، مكتبة نزار الباز: مكة المكرمة، ط١، ١٩٩٦، ص:٤، ٥.

ب ـــ اللهجات المختلفة: التى تختلف باختلاف البيئات والقبائل العربية، فنشطت همة العلماء العرب لجمع المادة اللغوية للغة العربية، عن طريق الرواية الشفوية، من أهل اللغة الأصليين ووضعوا حدودًا لعملية جمع المادة؛ فحددوا البيئة المكانية وكذلك الزمانية، وحددوا القبائل التى يصح الأخذ عنها.

ومع أواخر القرن الثامن عشر الميلادى وبدايات القرن التاسع عشر انتقلت الدراسات اللغوية إلى عهد جديد، وكان من أبرز هذه الجهود التى تمثل نقطة تحول فى الدرس اللغوى جهود اللغوى الألمانى جريم *Jacob Grimm* (١٧٨٧- ١٨٦٣م)، الذى نظر فى اللهجات معتمدًا على اللسان الحى المنطوق، بعد أن كان البحث اللغوى يعتمد على اللغة المكتوبة فى القديم، وكان المنهج فيها خليطًا من الأفكار: معيارى وتاريخى، ووصفى، دون تفريق بينها.

ثم سيطرت الدراسات اللغوية المقارنة على الفكر الأوربى فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، وظل البحث فى الدرس اللغوى على هذا النحو يعانى الخلط المنهجى، حتى جاء اللغوى السويسرى دى سوسير(ت ١٩١٣م)، الذى يعد فى نظر معظم اللغويين الرائد الأول لعلم اللغة الحديث، ولا يعنى هذا أنه المبدع لكل الأفكار اللغوية، فقد سبقه اللغويون الذين جاءوا قبله بأفكار لغوية، لكنها جاءت متناثرة فى بطون الكتب أو غير واضحة المنهج.

وقد ظهرت أفكار دى سوسير فى كتاب جمع مادته تلامذته، وتم نشره فى عام ١٩١٦ تحت عنوان: " محاضرات فى علم اللغة العام" *Cours de Linguistique generale* "، وهو كتاب يتسم بالصعوبة والتعقيد، ويُلاحظ فيه تجاوزات غير قليلة فى استخدام المصطلحات؛ فهناك اضطراب فى استخدامها بالكتاب يصل إلى حد التضارب.

وتدور أفكار دى سوسير ومبادؤه اللغوية - فى عمومها - حول هدفين:

الأول: تصحيح بعض الآراء الزائفة التى كانت تشيع عند التقليديين من اللغويين.

الثانى: محاولة تخليص البحث اللغوى من تبعيته للعلوم الأخرى.

ويتلخص فكر دى سوسير فى أن اللغة حقيقة اجتماعية *Social Fact* تخضع للتحليل العلمى، على أنها نظام بنيوى تتحدد قيمة كل عنصر فيه بالإشارة إلى وظيفته، أى إلى علاقته بالعناصر الأخرى فى هذا النظام، بالإشارة إلى خواصه اللغوية فيزيائية كانت أو سيكولوجية، ولذلك يعود الفضل لكتاب دى سوسير فى إرساء أربعة أسس، هى:

١- التفريق بين المنهج الوصفى والتاريخى تفريقًا محددًا وواضحًا؛ فقد ميز بين البعدين الأساسيين للدراسة اللغوية:

البعد الأول: الدراسة التزامنية *Synchronic*.

البعد الثانى: هو الدراسة التاريخية *Diachronic*، التى تعالج فيها تاريخيًّا عوامل التغير التى تخضع لـــها اللغات فى مسيرة الزمن.

٢- التفريق بين اللغة *Lingua* والكلام *Parole*، بوصف اللغة نظامًا مجردًا مختزنًا فى ذهن الجماعة اللغوية ، فى حين أن الكلام نشاط فردى تطبيقى للنظام اللغوى.

٣- تحديد العلاقة بين الدالّ والمدلول (فكرة الاعتباطية والعرفية فى اللغة).

٤- التركيز على اللغة المعينة فى إطار النظرة البنائية (التركيبية).

علم اللغـــة

يطلق مصطلح علم اللغة على العلم الذى يدرس اللغة دراسة علمية تعتمد على الدقة والوضوح والشمول والمنهجية، ويدرس اللغة لذاتها. وله مسميات أخرى عديدة أشهرهـــا وأهمها: علم اللســـان، واللسانيات، والألسنية ،والألسنيات، واللغويات، محاكـــاة للفظ الإنجلـــيزى *Linguistics*[(١)].

أســـباب تعدد التعريفات:

يمكن إجمال أهم أسباب تعدد تعريفات علم اللغة فيما يلى:

١- تعدد مصادر وضع المصطلح:

حيث يسهم فى وضع المصطلح: أفراد الباحثين، والمجامع اللغوية، وكذا الهيئات التى تقوم على خدمة اللغة، كالجمعيات اللغوية المختلفة، كلٌ له دوره فى هذا، لكن دون تنسيق بين هذه المصادر أو اتفاق فيما بينها. ومن هنا تتعدد المصطلحات اللغوية تعددًا يصل بنا إلى مشكلات خطيرة مثل الغموض واللبس والتداخل بين المصطلحات.

٢- تعدد الترجمات للمصطلح الأجنبى الواحـــد:

لولا ذكر المقابل الأجنبى أمام الترجمة- فى حالات كثيرة- لما أمكن تحديد المعنى المطلوب، ولعل ما أورده الدكتور أحمـــد مختـــار عمر من تتبع للمقابلات العربية-فى المؤلفات اللغوية- لثلاثة من المصطلحات اللغوية الإنجليزية.

---

(١) د. كمال بشر: دراسات فى علم المعنى (السيمانتيك)، ص ٨٣.

د. أحمد مختار عمر، محاضرات فى علم اللغة الحديث، راجع: الفصل الأول: ضبط منهجية مصطلح الألسنية، وفيه مناقشة للقضية برمتها.

(*Phoneme- Phone - Allophone*) خير شاهد على تعدد الترجمات للمصطلح الواحد، كما يظهر من الجدول التالى(١):

م	**Phoneme**	**Allophone**	**Phone**	المصـــــدر
١	فونـــيم	ألو فـــون	فـــون	دراسة الصوت اللغوى
٢	صوتم	صوتم تعاملى	صـــوت	قاموس اللسانيات
٣	صوت / صوتم	—	—	دروس فى علم أصوات العربية
٤	فونيم / فونيمية/ صوتيم/ صوت مجرد/	ألوفون/ متغيرصوتى	صوت لغوى / صوت كلامى	معجم علم اللغة النظرى
٥	فونيـــم	ألوفـــون	صـــوت كلامى	معجم مصطلحات علم اللغة الحديث
٦	صوتيـــة	يد صوتيـــة	—	المصطلح اللسانى
٧	صوتـــم	—	—	مفاتيح الألســـنية
٨	مستصوت / فونيم / لافظ	—	—	مجلة الفكر العربى

٣- اســـتخدام مصطلحات قديمـــة بمعـــنى جديـــــد:

إعـــادة استخدام مصطلحات قديمة استقر معناها وثبت بدلالة محـــددة فى القديم فاستخدامها بمعنى جديد فى المعاصر يؤدى إلى اللبس بين المعنيين القديم والجديد، على

---

(١) د. أحمد مختار عمر، محاضرات فى علم اللغة الحديث، ص ٣٣.

نحو ما نجـــد فى مصطلح "فقـــه اللغـــة" مثلاً، فهو فى التراث العربى القديم يستخدم بمعنى معرفة الألفاظ العربية ودلالاتها، على نحو ما جاء عند ابن فارس فى كتابه "الصاحبى فى فقـــه اللغـــة"، وعند الثعالـــبى فى كتابه "فقه اللغة وســـر العربية"[1]. فى حين يُعدّ مصطلح "فقه اللغة" فى البحث المعاصـــر ناقصًا.

وكذلك يقع اللبس فى مصطلح " علم اللغة "، الذى يستخدم فى التراث العربى بمعـــنى دراسة الألفـــاظ ومدلولاتـــها وتصـــنيفهـــا فى معجمات وكتب، فهو يقابل مصطلح "علم التصريف" الخاص بدراسة بنيـــة الألفاظ كما أشار ابن خلدون وغيـــره ، فى حـــين يطلق المصـــطلح فى المعاصـــر على دراسة اللغة بكل مستوياتها دراسة علمية.

ويحتل مصطلح "علم اللغة" فى الدراسات اللغوية المعاصرة مكان الصدارة؛ لشيوع استعماله ووضوح مدلوله لدى الباحثين، وإن كانت هنالك ملاحظات لبعض الباحثين حول استخدامه، منهـــا: اختلاطه مع مصطلح "فقه اللغة"، وعدم التحديد الدقيق لمجالـــه، حيث تتعدد أوصافه؛ فهنـــاك علم اللغة الحديث، علم اللغة العـــام... [2] إلخ.

على أن هذه الملاحظات يمكن استدراكها، ولا تنال من استقرار المصطلح وشيوعه بين اللغويين والدارسين فى الوقت الحاضر.

---

(١) ابن فارس: الصاحبى فى فقه اللغة، الثعالبى: فقه اللغة وسر العربية، السيوطى: المزهر،١٠/٨ .

(٢) د. أحمد مختار عمر: محاضرات فى علم اللغة الحديث، ص ٢٥.

ملامح البحث اللغوى فى ضوء علم اللغة الحديث

فى البحث اللغوى الحديث تدرس اللغة دراسة علمية تعتمد على الواقع الحى المنطوق، وهو لا يخص لغة بعينها بل يهتم باللغات كلها، ويدرس اللغة لذاتـــها؛ من أجل تقديم وصف كامل ومحـــدد وواضح يكون وسيلة لغاية أبعد، هى الحصول على معلومات عن اللغة بشكل عام، وبيان وظائفها المختلفة على أساس اشتراك جميع اللغات فى جملة من الحقائق فى أولـــها الحقيقة الصوتية للغـــة، والطبيعة الاجتماعية لـــها، وأن أى لغة لا بد لـــها من نظام تتابع من خلال الأصوات لتكوين كلمات، وتتابع الكلمات من خلال هذا النظام لتكوين جمل تفيد معنى.

وعلم اللغة الحديث يبحث اللغة بوصفها ظاهرة صوتية، والكتابة تابعة، ولا يمكن بحث الكتابة بمعزل عن الواقع اللغوى المنطوق.

والبحث اللغوى بحث علمى وليس انطباعيًّا أو إبداعيـــًّا فنيـــًّا[1]؛ ولا مجال للخيـــال هنـــا، والباحث مطالب بالدقة فى تحديد المصطلحات المستخدمة فى بحثه: (مصطلحـــات الأصوات، ومصطلحـــات الصـــرف، ومصطلحـــات النحـــو ومصطلحـــات الدلالة)، بالإضافة إلى المصطلحـــات الجديـــدة.

كذلك ينبغى الحـــذر من استخدام مصطلح قديـــم وإطلاقـــه على معـــانٍ جديـــدة مغايـــرة لمعنـــاه القديـــم.

كما تطلب الدقة فى التعـــبير عن الحقائـــق والظواهـــر محل الدراســـة، بعـــيدًا عن اللغة الأدبية، حتى لا ندخل إلى مجـــال التأويـــل.

---

(١) فى الأعمال الإبداعية الفنية يكون للقيم الجمالية حضور واضح، ويكون الأسلوب اللغـــوى المســـتخدم معتمـــدًا على المجـــاز بفروعـــه المختلفـــة، ولا يميـــل إلى التصريح بل يستخدم التلميح لمـــا يريـــد.. على عكس الأسلوب العلمى.

كما تعنى العلمية أيضًـــا: وضوح المنهـــج، وتحديـــد المـــادة.

وعلى الباحث أن يحـــذر خلط المناهـــج؛ لأنه يؤدى به إلى نتائج مضللة. وكذلك عدم تحديد المـــادة وبيئتها المكانية والزمانية يصل بنا إلى نتائج لا تعبر عن الواقع اللغوى.

والبحث اللغوى يبحث كل مستويات اللغة بلا حـــدود: اللغة الفصيحة، واللهجات، واللغة القديمـــة، واللغة المعاصرة، واللغة العلمية، واللغة الأدبية .. إلخ. فالبحث اللغوى الحديث يشمل جميع أساليب اللغة وكل مستويات الاستعمال فيها، ولا يقتصر على الأساليب الأدبية والفنية فقط.

ولما كان البحث اللغوى من مجالات البحث العلمى[1]؛ فإنه يتوجه إلى الموضوع الجديد الذى يسجل إضافة فقط، وذلك لتفادى تكرار الجهود دون طائل، مع التركيز على المشكلات والتحديات التى تواجه اللغة بسبب تطور الحياة؛ كى تواكب اللغة تطور الحياة ونموها فى شتى نواحيها.

ومن السمات العلمية فى البحث اللغوى : التماسك، وذلك أن يكون البحث كُلاًّ متكاملاً، تتكامل أجزاؤه ويتصل بعضها ببعض، وأن يكون بعيدًا عن التكرار، بل يكون بنـــية متماســـكة، بحيث إذا حذفت منه كلمة أو فقرة سقط البحث وانـــهار.

ومن دواعى العلمـــية فى البحث اللغوى أيضًـــا: ألاّ يدخل الباحث بحثـــه بأحكام مســـبقة، بل يدخل بحثه معتمداً على الملاحظة الدقيقة لواقع اللغة، وما تعطيه من نتائج ينبغى أن تتوفر فيها صفة الاطراد، أى على الباحث أن يكون موضوعيًّا،

---

(١) د. أحمد مختار عمر: محاضرات فى علم اللغة الحديث، ص ٥٥.

غير متأثر بركام الأفكار الخاطئة حول اللغة، ولا ينبغى للباحث أن يتناول موضوعًا لغويًّا بالبحث بأدوات ناقصة، أو مادة غير كاملة .. ونحو ذلك، أو أن يكمل ناقصًا بظنـه، فالعـلم حقائق، ومن هنا استبعد كثير من الدراسات اللغوية من البحث اللغوى الحديث، مثل بحث: هل اللغة توقيفية أم اصطلاحية؟ والعلاقة بين اللفظ والمعنى، وموضوع نشأة اللغة: متى نشأت؟ وهل هى توقيف أم اصطلاح؟ وما إلى ذلك من موضوعات هى إلى المنطق والفلسفة أقرب؛ لأنـها فى حكم الغيب بالنسـبة لنا، ولا قدرة للباحث على الإلمام بجوانبهـا المختلفة، فالله أعلم بحقيقتها.

ومن دواعى العلمية فى البحث اللغوى الحديث: عدم اللجوء إلى التعليلات المنطقية لتفسير الظواهر اللغوية، بل ينبغى الاعتماد على سلوك اللغة نفسـها كما تكلم بها أهلهـا واستقرت على ألسنتهم، فالباحث اللغوى مهمـته وصف الحقائق وتحليلها والاستنباط منها، وليس من مهمته فرض القواعد أو محاكمة الواقع اللغوى.

ومن سمات العلمية فى البحث: ألاّ يبحث الدارس عن دليل يوافق رأيه فقط، بل يبحث أيضًا عن الدليل الذى يعارض فكرته.

ولقد أنجز البحث اللغوى الحديث تقدمًا ملحوظًا؛ لأنه نجح فى صياغة منهج إيجابى، ونجح فى معرفة طبيعة الحقائق التى يخضعها للتحليل [(١)].

وفى النهاية: لعله من المفيد التركيز على صـفتين أسـاسيتين للدراسة العلمية للغـة، وهمـا: التجريـد، والتعمـيم أو الشـمول[(٢)]؛ حيث تمثل هاتان الصفتان جوهر المنـهج العلمى فى دراسة الظواهر؛ من أجل الوصول إلى المعايير والضوابط التى تحكم الظاهرة موضوع البحث.

---

(١) د. محمود فهمى حجازى: أصول البنيوية فى علم اللغة: مقال فى مجلة عالم الفكر، المجلد الثالث، العدد الأول، ص٨٩.

(٢) د. حلمى خليل: مقدمة لدراسة علم اللغة، ص ٧.

علم اللغة والعلوم الأخرى

ظلت النظرة إلى اللغة فى الماضى على أنها من علوم الأدوات والوسائل، وليست من علوم الغايات، حتى بدايات القرن التاسع عشر. وفى رحاب البحث اللغوى الحديث ارتقت اللغة درجة أعلى، وصارت من علوم الغايات، بالإضافة إلى كونها من علوم الوسائل، وصار علم اللغة من أهم العلوم الاجتماعية التى تـــهتم بالسلوك الإنسانى – على تنوعـــه – أثناء اتصالـــه بالآخريـــن.

ولما كانت اللغة نقطة التقاء بين علم اللغة وشتى فروع المعرفة، فقد أدى هذا إلى التعاون المتبادل بينهما، وصارت البحوث اللغوية الحديثة تستعين بالعلوم الأخرى؛ رغبة فى الكشف عن أسرار النظام اللغوى بكل مستوياته، على نحو ما يظهر فى استعانة اللغويين بعلم التشريح وعلم الفيزياء فى دراسة نطق الصوت اللغوى وصفات الصوت اللغوى الفيزيائية، وأثرها فى السمع، ووضوح الصوت اللغوى، والعوامل المؤثرة فى ذلك.

ومن جانب آخر فإن فروع المعرفة الأخرى، تستعين باللغة كوسيلة ووعاء لـــهذه العلوم، فنشأت فروع معرفية حديثة عند نقطة الالتقاء بين هذه العلوم واللغة وفاءً بحاجة هذه العلوم من اللغـــة، وكل علم يركـــز على زوايا اهتمامـــه بالقدر الذى يكفيه، ومن خلال البحث العلمى الحديث الذى يعتمد على المنهجية والموضوعية والتجريد والشمول- تقدمت هذه العلوم التى تقع فى المجال المشترك بين اللغة وفروع المعرفة الأخرى.

ولتعدد وتنوع فروع المعرفة بصورة قد تضـــيق عن الحصـــر؛ فقـــد تعـــددت هذه العـــلوم إلى الدرجة التى جعلت أحد مؤتمرات علم اللغة التطبيقى يتفق على أهم

فروع هذا العلم على نحو ما ذكره الأستاذ الدكتور أحمد مختار عمر، وفيما يلى بيانٌ بأهم الفروع كما وردت فى كتابه[1]:

١- تعليم اللغة الأم واللغات الأجنبية.	٢- الاختيارات اللغوية.
٣- التخطيط اللغــوى.	٤- علم اللغة التقابلى.
٥- صناعة المعجم.	٦- محاولة وضع لغة عالمية.
٧- التحليل الأسلوبى.	٨- الإلقاء وعيوب النطق.
٩- أنظمة الكتابة.	١٠- علم اللغة الإحصائى.
١١- علم اللغة الاجتماعى.	١٢- علم اللغة النفسى.

ومهما يكن من أمر، فإن من المفيد أن تكون لدينا رؤية شاملة لرؤوس المعارف والعلوم التى تـــهتم بعلم اللغة، ويهـــتم بـــها.

وقد جرت عادة اللغويين على تصنيف علم اللغة إلى قسمين كبيرين هما:

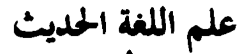
علم اللغة النظرى، وعلم اللغة التطبيقى، ولكل قسم فروع متعـــددة، وتحت كل فرع تفريعات جزئية، وهكذا، وفيما يلى رسم توضيحى لهـــذا التصنيف.

(١) د. أحمد مختار عمر: محاضرات فى علم اللغة الحديث، ص٥٥.

علم اللغة الحديث

النظـــــرى

باعتبار المــادة



أصوات - صرف - تراكيب - دلالة

باعتبار المنهــج

وصــفى - تاريخــى

مقــارن - تقابلــى

معيــارى - بنيوى

تصــنيفى .... إلخ

التطبيقى (ويتناول شتى فروع المعرفة)

١ - علم اللغة الاجتماعى

٢- علم اللغة النفسى

٣- علم اللغة الجغرافى

٤- علم اللغة الإعلامى

٥- علم اللغة السياسى

٦- علم اللغة الآلى

٧- علم اللغة الطبى

٨- علم اللغة العسكرى

٩- علم اللغة التعليمى (طرق تدريس، تحليل أخطاء)

١٠- علم اللغة والترجمة (تقابلى، تصحيح المناهج)

١١- علم اللغة الأنثروبولوجى.

وفيما يلىْ تعريف ببعض هذه الفروع، وبخاصة فى جانب علم اللغة التطبيقى؛ لصلتها الوثيقة باللغة من جانب، وقدمها بين الفروع الأخرى من جانب آخر.

وأهـــم هـــذه العـــلوم:

١) علم اللغة الاجتماعى *Sociolinguistics*.

٢) علم اللغة النفسى *Psycholinguistics*.

٣) علم اللغة الأنثروبولوجى *Anthropological Linguistics*.

٤) علم اللغة الجغرافى *Geo linguistics*.

٥) علم اللغة السياســـى *Institutional Linguistics*.

(١) علم اللغة الاجتماعى *Sociolinguistics*:

اللغة مرآة المجتمع، تعكس كل مظاهره: من حضارة ورقىّ، أو تخلف وتأخر فهى شديدة الصلة بكل نواحى المجتمع، لذلك نالت اللغة اهتمام اللغويين من زاوية أنــها ظاهـــرة اجتماعية، وأصبح لها علم يبحث مسائلها وعلاقاتـــها بالمجتمع ويعرف هذا العلم بعلم اللغة الاجتماعى *Sociolinguistics* ، ويدرس اللغة فى علاقاتـــها بالمجتمع، إنه ينتظم كل جوانب بنية اللغة، وطرائق استعمالـــها التى ترتبط بوظائفها الاجتماعية والثقافية [١] .

وقد أحرز علم اللغة الاجتماعى إنجازات لـــها قيمتها فى الدراسات اللغوية الحديثة، من خلال دراســـته للغة فى ســـياقها الاجتماعى، وطرق تفاعل اللغة مع المجتمع، والطرق التى تتغير بها البنية اللغوية استجابة لمؤثرات اجتماعية [٢] .

وأما عن قضايـــا هذا العلم فهى كثـــيرة ومتنوعة، يأتـــى فى قمتهـــا

---

(١) د. كمال بشر: علم اللغة الاجتماعى، ص ٤١.

(٢) *Crystal, Linguistics, P. 252*.

اللهجات *Dialects* المختلفة، والفروق الاجتماعية بين الطبقات، التي تؤدى إلى تباين اللهجات، وربما زاد هذا التباين حتى أصبحت كل لـــهجة لغة مستقلة وأوضح مثال على هـــذا؛ اللغـــات: الإيطالية، والفرنسية، والإسبانية، والبرتغالية والرومانية، فقد كانت فى الأصل لـــهجات مختلفة للغة اللاتينيـــة.

كذلك يهـــتم علم اللغـــة الاجتماعى بدراسة المحظور من الكلام *Tabooed words* [1].

كذلك من اهتمامات علم اللغة الاجتماعى دراسة اللغة والجنس [2]، ودراسة الخصائص اللغوية للغة الرجال والخصائص اللغوية للغـــة النســـاء ، سواء من حيث درجة حـــدة الصـــوت، أو ارتفاعـــه، أو نوع الكلمات المحظـــورة على كل منهما ... إلخ.

(٢) علم اللغة النفســـى *Psycholinguistics*:

من نتائج أفكار تشـــومســـكى اللغوية: إنـــها نقلت البحث اللغوى من الاقتصار على الوصف والتحليل دون التفسير، إلى محاولة تفسير الظواهر، وتفرقته بين القدرة اللغوية *Competence* ، والأداء *Performance*. واهتم العلماء بدراسة العقل البشرى ودوره فى العملية اللغوية، لمحاولة تفســـير الظواهـــر اللغوية من خلال علم النفس الإدراكى، ومن أهم موضوعات هذا العلم محاولة التعرف على قدرة الطفل على اكتساب اللغة: متى، وكيف؟

كذلك من اهتمامات علم اللغة النفسى[3] : دراسة العلاقة بين اللغة والفكر ودراسة عيوب الكلام وسبل التغلب عليها.

---

(١) د. كريـــم حســـام الدين: المحظورات اللغوية.

(٢) د. أحمد مختار عمر: اللغـــة واختلاف الجنسين.

(٣) اقرأ فى هذا العلم: د. داود عبده: دراسات فى علم اللغة النفسى.

من اهتمامات هذا العلم أيضًا: بحث كيفية فهم الجمل والكلمات، وسرعة الفهم، وخطوات الفهم، وعوامل صعوبة الفهم، ومن اهتماماته أيضًا: تركيب الذاكرة من الناحية اللغوية، وطبيعة التذكُّر، وأسلوب استدعاء المخزون اللغوى من الذاكرة، أو ما يعبر عنه بالمعجم الذهنى. وهكذا يشمل هذا العلم كل العمليات العقلية عند المتحدث قبل صدور اللغة، وعند المتلقى عقب صدور اللغة.

(٣) علم اللغة الأنثروبولوجى *Anthropological Linguistic*:

العلاقة بين اللغة والثقافة من أهم الموضوعات التى نالت اهتمام علماء اللغة الأنثروبولوجيين، ومجال الأنثروبولوجيا هو دراسة المجتمعات والثقافة للكشف عن سلوكيات الناس المتأثرة بالأشكال الثقافية المختلفة، فالثقافة فى نظرهم أسلوب حياة.

ومن هنا فإن للغة مكانًا بارزًا فى الدرس الثقافى، فإلى جانب كونها وعاء للمعرفة والفكر والثقافة فهى - أيضًا - مرآة لثقافة المجتمع، ترقى برقيِّه وتنحدر بانحداره؛ فللغة اتصال وعلاقة بالمستوى الثقافى للجماعة.

أيضًا للغة دور فى تشكيل ثقافة المجتمع وأسلوب تفكيره؛ حيث إن الثقافة واللغة[١] كلتيهما تلعبان دورًا مهمًا فى تكوين المجتمعات الإنسانية أو التجمعات العرقية المتميزة *Ethnic Groups*.

(٤) علم اللغة الجغرافى *Geo linguistics*:

علم اللغة الجغرافى يدرس اللغة من زاوية المكان دون اعتبار لعنصرى الزمن، والعائلة اللغوية، وإنما يربط هذا العلم "علم اللغة الجغرافى" الدراسة التى تختص بالتوزيع اللغوى فى المكان (الأطالس اللغوية) بالظروف الاجتماعية والثقافية.

---

(١) اقرأ فى هذا الموضوع: د. كريم زكى حسام الدين: القرابة، مكتبة الأنجلو ، ط١، ١٩٩٠.

وعليه، فعلم اللغة الجغرافى يدرس توزيع اللغات البشرية على المواقع المختلفة من الكرة الأرضية، ويدرس كذلك نوع المتحدثين لكل لغة وعددهم ومستواهم الاجتماعى والثقافى، وتحديد مجالات النفوذ اللغوى للغات التى لـــها سيطرة على لغات أخرى بسبب التفوق الحضارى لأهلهـــا، كالإنجليزية مثلاً فى الوقت الحاضر، كذلك يدرس مكانة كل لغة اجتماعيًّا، وعليه فيمكن تحديد: اللغة الرسمية واللغة الأم، واللهجة المحلية، واللهجة الحرفية ... إلخ.

(٥) علم اللغة السياســـى *Instituional Linguistics*:

علم اللغة السياسى أحد فروع علم اللغة الاجتماعى التى نالت اهتمامًا ملحوظًا فى العصر الحديث، ويهتم هذا العلم بدراسة جوانب الخطاب السياسى[١] والتعرف على خصائصة اللغوية، وذلك للوقوف على أهم العناصر والخصائص اللغوية التى تدعم هذا الخطاب، فيهتم بدراسة أسلوب التحريض والإثارة وأهم سمات الخطاب السياسى- حيث تفيد الدراسات اللغوية أنه: ذو عبارات قصيرة، ويتجنب التطويل، ويستخدم الألفاظ المؤثرة والواضحة، ويتجنب الألفاظ الغامضة، ويلجأ أيضًا إلى التضاد والمفارقة.

كما يدرس علم اللغة السياسى وسائل التأثير على المستمع من حيث اللغة مثل: التكرار، واستعماله الفنى فى التحريض، وكيف تصنع الشعارات؟ وكيف نستطيع- عن طريق اللغة- تعمية المسائل وتضليل الأفكار؟ وطرائق التضليل المختلفة، والسمات والملامح الأسلوبية الخاصة بكل مجتمع وبكل شريحة داخل المجتمع الواحد.

---

(١) راجع: جورج كلاوس، لغة السياسة، ترجمة: ميشيل كيلو، دار الحقيقة، بيروت، ط٢، ١٩٩٠، ص٢١.

المناهج الحديثة لدراسة اللغة

المنهج من أهم سمات الدراسة العلمية كما سبق أن أشرنا. وقد أنجز علم اللغة الحديث تقنين مجموعة من المناهج لدراسة اللغة، وكل منهج من هذه المناهج يسد حاجة يتطلبها الواقع اللغوى؛ فبعضها يكشف عن أسرار النظام اللغوى للغة موضوع الدرس، وبعضها يرصد حركة التغير اللغوى عبر الزمن، والبعض الآخر ينهض بـــهدف التأصيل اللغوى وتصنيف اللغات إلى أُسرات لغوية، وبعضها يأتى لتحقيق غايات تربوية فى مجال تعليم اللغات.

وعلم اللغة الحديث يستخدم المناهج الأربعة التالية:

١- المنهج الوصفى *Descriptive Method*.

٢- المنهج التاريخى *Historical Method*.

٣- المنهج المقارن *Comperative Method*.

٤- المنهج التقابلى *Contrastive Method*.

وفيما يلى موجز عن كل منهج من المناهج السابقة:

(١) المنهج الوصفى:

يقوم هذا المنهج على وصف اللغة " لغة محددة " فى زمن محدد ومكان محدد ودون اعتبار للخطأ والصواب فيها، فالمنهج الوصفى يصف الحقائق ويناقشها دون فلسفة، أو محاكمة لـــها أو إقحام المنطق فى تفسير وتأويل الظواهر اللغوية. وعلى الباحث هنا أن يحدد المستوى اللغوى المقصود بالدراسة لظاهرة لغوية محددة صوتيًّا أو صرفيًّا أو تركيبيًّا أو دلاليًّا؛ وذلك لأن عدم تحديد زمن الدراسة أو مكانها أو المستوى اللغوى المدروس، كل ذلك يؤدى إلى الخلط ويصل بالباحث إلى نتائج مضللة؛ فهذا التحديد من دواعى الدقة التى تتطلبها الدراسة العلمـــية.

فالمنهج الوصفى- إذن - يسجل الواقع اللغوى تسجيلاً أمينًا؛ بهدف الكشف عن حقائق النظام اللغوى بمستوياته المختلفة.

وتمثل الدراسة الوصفية للغة خطًّا أفقيًّا تظهر فيه العلاقات بين العناصر اللغوية، متميزة عن حقائق النظام اللغوى بمستوياته المختلفة.

إذا أراد الباحث دراسة ظاهرة محددة فى العربية المعاصرة مثل: ظاهرة الغموض فى العربية المعاصرة مثلاً، فعليه أن يحدد مستوى الدراسة من بين المستويات التالية:

١- الغموض فى المستوى الصوتى.

٢- الغموض فى المستوى الصرفى.

٣- الغموض فى المستوى التركيبى.

٤- الغموض فى المستوى الدلالى.

أيضًا يدخل ضمن إطار تحديد المستوى: تحديد المستوى اللغوى للبحث (الفصحى أم العامية)، والخطوة التالية هى تحديد زمن الدراسة: (خمس سنوات-عشر سنوات ...إلخ)، حسب المدة التى يراها كافية للوفاء بحاجة البحث.

ثم عليه أن يحدد مكان الدراسة: فى مصر، أم فى الوطن العربى كله... إلخ.

ثم عليه أن يحدد مصادر المادة من اختيار الشرائح التى تمثل العربية المعاصرة تمثيلاً صادقًا: (جرائد ـ روايات ... إلخ).

ثم يبدأ فى جمع المادة حتى يتأكد من جمع مادة كافية لدراسة الظاهرة موضوع البحث، بشرط الالتزام أثناء الجمع بالحدود الزمانية والمكانية والمستوى اللغوى للبحث.

ثم يبدأ بعد ذلك فى التحليل، من واقع المادة التى بين يديه؛ فلا يسجل أحكامًا مسبقة، ولا يتأثر بأحكام قديمة عن اللغة أو عن الظاهرة، ويستخدم فى ذلك

نظريات البحث الحديثة، فمثلاً فى المستوى الدلالى هنالك نظريات للتحليل الدلالى أهمهـــا:

- المجـــال الدلالـــى *Semantic Field*.
- الســـياق *Context*.
- التحليـــل التكويـــنى *Compenential analysis*.

وبعد التحليل يصل إلى وصف دقيق يعبر عن سلوك هذه الظاهرة، ويخرج بنتائج بحثـــه.

(٢) المنهـــج التاريخـــى *Historical Method*:

يقوم هذا المنهج على دراسة لغة محـــددة عبر الزمن، للكشف عن التغـــير اللغـــوى على المستويات الصوتية والصـــرفية والتركيبية والدلالية.

ويعتمد المنهج التاريخى على المنهج الوصفى الذى يأتى ممهـــداً للدراسة التاريخية، فعلى سبيل المثـــال يمكن لنا تناول ظاهرة لغوية بالبحث التاريخى بين العصر الجاهلى والعصر الإسلامى (فترتين متقاربـــتين) ، أو بين العصر الجاهلى والعصر الحديث (فترتين متباعدتـــين) ، أو تناول الظاهرة من العصر الجاهلى، مروراً بكل العصور حتى العصر الحديث (فترات متعاقبة)؛ فتأتى الدراسة الوصفية بكل أبعادهـــا: (تحديد الزمن، تحديد المكان، تحديد المستوى، تحديد الظاهرة اللغوية، التزام المنهج العلمى وما يتطلبه من دقة وموضوعية)؛ لإنجاز وصف الواقع اللغوى لكل عصر من العصور، ثم يأتى بعد ذلك دور الدراسة التاريخية التى ترصد التغير اللغوى.

ويطمح اللغويون العرب المعاصرون إلى إنجاز معجم تاريخى للغة العربية يؤرخ لألفاظها، على أساس من الشواهد الموثقة، وذلك بدءًا بأقدم نص وردت فيه الكلمة، حتى أحدث استخدام لها، كما فى معجم أكسفورد التاريخى فى اللغة الإنجليزية.

ولنضرب لذلك مثلاً:

فى دراسة للباحث حول كلمة (المغفـــرة) ــ باستخدام المنهج التاريخى ــ قام الباحث بالخطوات الآتية:

البدء بالدراسة الوصفية الكاملة لاستعمالاتها فى العصر الجاهلى من خلال نصوص الشعر الجاهلى وكذلك النثر الجاهـــلى، وتحديد الدلالات الحسية والدلالات المعنوية، ثم تعيين أقدم دلالة للكلمة من بين الدلالات الحسية، ثم ملاحظة العلاقة بين هذه الدلالة وبين جميع الدلالات الأخرى للكلمة، مع اعتبار الدلالات الأكثر شيوعًا.

وأسفر بحث دلالة المغفرة عن تعيين أقـــدم دلالة حسية لدلالة المغفرة، وهى "الســـتر والتغطـــية"، ثم انتقل البحث إلى العصر الإسلامى والدراسة الوصفية الكاملة للنصوص اللغوية خلال هذا العصر، وبخاصة القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف والشعر الإسلامى، وتم تحديد دلالات الكلمة من خلال تلك النصوص وظهر من البحث أن معنى "العفو والصفح" استقر وثبت بفضل شيوع استعماله فى القرآن الكريم.

ثم أتى دور الدراســـة التاريخـــية بالمقارنة بين دلالات الكلمة فى العصـــرين الجاهلى، والإسلامى ؛ لرصد التغير الدلالى بكل وجوهـــه.

وأســـفر البحث عن تعيين التغير الدلالى للكلمة، حيث تحول معنى الستر والتغطية إلى معنى العفو والصفح، وقد مهد المعنى القديم للدلالة الجديدة، ثم امـــتد البحث بالكلمة إلى العربية المعاصرة [١] .

---

(١) راجع: د. محمـــد محمـــد داود: المغفرة (دراسة دلالية)، مجلة علوم اللغة، العدد الأول - المجلد الثالث، س٣- ص١٥٥ : ٢٠٤.

(٣) المنهـــج المقـــارن[1] *Comparative Method*:

يقوم المنهج المقارن على المقارنة بين لغتين أو أكثر بشرط انتمـــاء هاتـــين اللغـــتين أو تلك اللغـــات إلى أســـرة لغويـــة واحـــدة، لمعرفـــة أوجـــه التشابه والاختلاف، وتحديد صلات القرابة بين هذه اللغات موضع المقارنة؛ وذلك رغبة فى تصنيف اللغات إلى أُسر وفروع لغويـــة، ويقوم هذا التصنيف على أوجه التشابه فى المستويات اللغوية (صوتية، صرفية، تركيبية، دلالية) بين اللغات موضع التصنيف.

كـــما تـــهدف الدراســـة المقارنـــة إلى التوصـــل إلى اللغـــة الأم *Language-Proto* لكل أسرة لغوية، وهى لغة من صنع الباحثين ولا وجود لها فى الواقع.

أيضًا تـــهدف الدراسة المقارنة إلى تأصيل المواد اللغويـــة فى المعاجم، على نحو ما أنجـــزه الأوربيون، ذلك مثل معجم فالد ــ بوركونى *Walde Porkony* لأسرة اللغات الهـــندوأوروبية، وهو معجم بالألمانـــية، ومعجم المترادفات فى اللغات الهندوأوروبية، الذى صـــنفه بك *Buck* طبقًا للمعانى:

A dictionary of selected synonyms in the priniciples into European Language.

(٤) المنهـــج التقابـــلى *Contrastive Method*:

فى إطار المدرســـة الوصـــفية لدراسة اللغة نشأ حديثًا المنهج التقابلى، لخدمة أهداف تربوية فى جانب علم اللغة التطبيقى فى مجالات متعددة: أهمها مجال تعليم اللغات، فثمة صعوبات تصادف من يتعلمون لغة أخرى (لغة ثانية) بالإضافة إلى لغتهم الأم، وهذه الصعوبات ناتجـــة عن الاختـــلاف الموجـــود بين نظـــام اللغـــة الأم ونظـــام اللغـــة الثانـــية.

---

(١) راجع: د. محمـــود فهـــمى حجـــازى: مدخل إلى علم اللغـــة، ص ٢١ .

فمن المهم أن يؤخذ فى الاعتبار أن اكتساب لغة جديدة لا يتم بمعزلٍ عن العادات اللغوية للغة الأم التى استقرت فى ذهن المتعلم؛ وذلك لأن أعضاء النطق- وكذلك الجزء الخاص باللغة فى العقل- حدث لها أمران:

أ – تكيف كل منها على النظام الخاص باللغة الأم بمستوياته كلها (صوتية، وصرفية، وتركيبية، ودلالية).

ب – حدث بين العقل وأعضاء النطق ما يسمى بالتوافق الذهنى العضلى فى القدرة على أداء اللغة الأم.

ولنضرب بعض الأمثلة للدراسة التقابلية فى مجال تعليم اللغات فيما بين العربية والإنجليزية:

١- على المستوى الصوتى: هنالك فرق بين صوت الراء فى العربية وبين صوت "R" فى الإنجليزية، والعادة اللغوية للعربى فى نطق الراء العربية التى تتسم بالتكرار تغلبه حين ينطق بـ "R" الإنجليزية.

صوت الباء فى العربية صوت واحد (فونيم واحد)، على حين نجد له فى الإنجليزية صوتين مختلفين: "B – P" ولكل منهما فونيم له خصائصه النطقية. وفى المقابل فإن الأصوات (ض، ع، خ، ق) تمثل صعوبة أمام الإنجليزى حين يتعلم العربية.

٢- وعلى المستوى التركيبى: نجد أن الإنجليزى حين يتعلم العربية يتأثر بنسق الإنجليزية فى تركيب الصفة والموصوف؛ فالتعبير العربى " جميل جدًّا " بالإنجليزية هو: *Very nice*، وقد تعود ذهنه على تقديم الصفة، فيقول:

"جدًّا جميل" ، " جدًّا عظيم"، وفى التركيب الإضافى نجد أن العربى تغلبه عادته اللغوية فى تقديم المضاف على المضاف إليه فى مثل (جامعة القاهرة)، فيقال بالإنجليزية: *Cairo university* فى حين أن العربى يخطئ وينطق : *University Cairo*.

وعلى الدارس أن يفرق بين المنهج التقابلى وبين المنهج المقارن، فإن كان المنهج المقارن يقارن بين لغتين أو أكثر، فإنه يضع شرطًا أساسيًا لـــهذه الدراسة المقارنة وهو انتماء هذه اللغات المقارن بينها إلى أسرة لغوية واحدة، فى حين أن المنهج التقابلى يقابل بين لغتين، سواء أكانت اللغتان من أسرة واحدة أم من أسرتين مختلفتين، فيمكن القيام بدراسة تقابلية بين العربية والإنجليزية (أسرتان مختلفتان) أو بين العربية والعبرية (أســـرة واحـــدة).

أيضًا يشمل المنهج التقابلى دراسة لهجة محلية واللغة الفصحى داخل لغة واحدة[١] ؛ بـــهدف تيسير تعلم الفصحى وتذليل الصعوبات التى تواجه من يتعلمون الفصحى من أبناء هذه اللهجة.

يضاف إلى هـــذا إمكانية الإفادة من المنهج التقابـــلى فى مجـــال الترجـــمة، وتقديـــم أهـــم أوجـــه الشـــبه والاخـــتلاف، وأيضًا أهم الخصائص لكل من اللغتين موضوع الترجمة، مما يســـاعد فى إيجاد المكافئ فى حالة الترجمة [٢] .

كما يمـــد المنـــهج التقابلى المجالات التطبيقية للفنون بمادة على درجة كبيرة من الأهمية فى المسرح والقصة والتمثيلـــية .. ونحو ذلك .

وظهرت فى الآونة الأخيرة دراسات فى العربية[٣] تعتبر بدايات مهمة فى الدراسات التطبيقية الخاصة بالمنهج التقابـــلى، وتشـــير البوادر إلى مستقبل عظيم لـــهذا المنهـــج؛ وفاءً بحاجة الواقع فى التغلب على صعوبات تعلم اللغات فى إطار المنافسة اللاهـــبة بين لغات الحضارة كالإنجليزية والفرنسية والألمانيـــة... وغيرها.

---

(١) راجع : د. محمود فهمى حجازى: مدخل إلى علم اللغة ، ص ٣٦.

(٢) يوجين . اى. نيـــدا: نحو علم الترجمة، ترجمة: ماجد النجار، ص ٧٦.

(٣) انظر: د. البدراوى زهـــران: علم اللغة التطبيقى فى المجال التقابلى.

مســـتويات البحث اللغوى

يتناول البحث اللغوى الحديث كل المستويات اللغوية: الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية. وهذا التقسيم لتيسير الدراسة والفهم لجوانب اللغة، أما واقع اللغة المنطوق فلا يعرف هذا التقسيم، فالكلام المنطوق تتكامل فيه كل هذه المستويات، وتأتى دفعة واحدة. وفيما يلى شيء من التوضيح لكل مستوى من مستويات البحث اللغوى:

(١) المستوى الصوتى :

يتناول البحـــث اللغوى فى هذا المستوى الأصوات- التى يتكون منها الكلام- باعتبارات مختلفة:

الاعتبار الأول: أنـــها وحدات صوتية مجردة منعزلة عن سياقها، وهو ما يهتم به علم"*Phonetics*"، ويهتم هذا العلم ببيان مخرج كل صوت وطريقة نطقه وصفة الصوت، وذلك دون ربطه بالمعنى، ويشمل هذا العلم ثلاثة أنواع[١]من دراسة الصوت اللغوى:

أ ـــ علم الأصوات النطقى:

الاهتمام هنا بالعنصر الأول لعملية النطق، وهو المتحدث، فيتم دراسة المخارج. وهذا الفرع هو أقدم فروع الدراسة الصوتية، وقد سجل هذا الجانب تقدمًا ملحوظًا بفضل العلوم الطبية الحديثة، التى أدت إلى الكشف عن طبيعة أعضاء النطق، وإن كان تصوير المخرج ساعة نطق الصوت بوساطة الأشعة، ورغم هذا التقدم يعترض البحثَ- فى هذا العلم- بعض المحاذير، حيث إنه لا يمكن التجريب على الإنسان.

---

(١) د. محمود فهمى حجازى: مدخل إلى علم اللغة، ص ٣٨.

ب ـــ علم الأصوات الفيزيائى:

والاهتمام هنا ينصبُّ على الوسَط الذى ينتقل فيه الصوت، وطبيعة الأصوات نفسها. والتقدم فى هذا الجانب كبير، ولا تقف فى طريقه عقبات أو محاذير كالجانب الأول.

ج ـــ علم الأصوات السمعى:

يتوجه الاهتمام فى هذا العلم إلى العنصر الثالث فى عملية الكلام، وهو السامع أثناء تلقى الأصوات، وتحديد أى الأصوات أكثر إسماعًا وأيها أقل، وهكذا...

الاعتبار الثانى: هو دراسة الصوت باعتباره وحدة فى نسق صوتى، ويهتم به علم "*Phonology*"؛ حيث يربط بين الصوت وطرق تشكيله ووظائفه، فربط الصوت بالمعنى من أهم سمات هذا العلم، ويهدف البحث الفونولوجى إلى تحديد العناصر الصوتية المكونة للكلمة، فى ضوء التمييز الموضوعى بين الوحدة الصوتية ***Phneme*** ، والصورة الصرفية *Allophone* على أساس التقابل الدلالى؛ فالفرق بين (نال) و (قال) فرق صوتى متمثل فى الوحدة الصوتية "ن" والوحدة الصوتية "ق"، وهو فرق يؤثر فى المعنى، فى حين أن تعدد درجات الاختلاف فى وحدة صوتية مثل: "اللام" بين درجات التفخيم والترقيق فى السياقات الصوتية المختلفة كل هذه الدرجات تعد صورًا صوتية *Allophone* لا تؤثر فى المعنى.

وكلا العلمين "*Phonetics*"، و "*Phonology*" يتكاملان.

ومن ثمرات علم اللغة الحديث دراسة أسلوب تتابع الأصوات المفردة لتكوين المقاطع *Sylables*، فكل لغة لـــها نسقها الخاص فى تكوين المقطع، ويرتبط بدراسة المقطع دراسة النبر *Stress*، ويقصد به درجات ارتفاع الصوت؛ حيث تتباين المقاطع

فى درجة ارتفاع الصوت، ويأخذ التنغيم الصوتى *Inotnation* للكلمات وأثره فى المعنى دورًا بارزًا فى الدراسة الصوتية الحديثة.

كما يهتم الدرس الصوتى الحديث بدراسة التغيرات الصوتية، على تنوعها وتصنيفها؛ لمعرفة نسق كل لغة فى هذه التغيرات الصوتية.

أهم اتجاهات البحث الصوتى
فى علم اللغــة الحديث

فيما يلى إشارة موجزة لأهم اتجاهات البحث الصوتى فى علم اللغة الحديث:

(١) علم الأصوات الوصفى:

ومن أهم قضاياه: البحوث الخاصة باللهجـــات العربية الحديثة، وقد أنجزت عدة رسائل فى هذا الشأن، بالجامعة الأمريكية.

(٢) علم الأصوات التاريـــخى:

ومن أهم قضاياه: بحث التغير الصوتى فى لغة بعينها، فى أزمنة مختلفة.

ويُصنَّف التغير الصوتى وفق معايير متنوعة:

أ- التغير فى الصوت المفرد: مثل التغير الذى حدث فى صوتى "الطاء" و"القاف" فىالعربية [1].

ويدخل فى هذا القسم: الصوامت، والحركات (قصيرة وطويلة).

ب- التغيرات الصوتية المقيدة (المشروطة) سياقيًّا، ومنها:

١- المماثلة: كما فى صيغة (افتعل):

---

(١) راجع: ص٧١ من هذه الدراسة.

اضترب ← اضطرب

اصتنع ← اصطنع

تحولت التاء إلى طاء لمماثلة الحرف المجاور لها (الضاد والصاد) فى صفة التفخيم.

٢- المغايــرة: كما فى: كبَّل ← كعبل.

٣- القلب المكانى: نحو: مسرح ← مرسح.

أرانب ← أنارب.

مع مراعاة أن يكون التصنيف للأصوات وفق مجموعات صوتية واحدة: أسنانية- لثوية ... إلخ، ومراعاة الخصائص الصوتية: مهموس- مجهور...إلخ.

ثم فى داخل كل هذه التصنيفات ينبغىتحديد موقع التغير الصوتى الحادث فى الكلمة: هل هو فى أول الكلمة، أم فى وسطها، أم فى آخرها؟

أيضًا من الأمور التى يجب مراعاتها: مراعاة سياق التغير: هل حدث بتأثير الصوت السابق، أم بتأثير الصوت اللاحق؟

(٣) علم الأصوات المقارن:

ومن أهم قضاياه بحث الأصوات فى إطار أسرة لغوية واحدة، وما كتبه بروكلمان عن "علم اللغات المقارن فى اللغات السامية" يعد مثالاً واضحًا ودقيقًا فى هذا الصدد.

(٤) علم الأصوات التقابلى وتحليل الأخطاء:

ومن أهم قضايا هذا العلم: الدراسة الصوتية للهجة العامية فى مقابل اللهجة الفصيحة.والدراسة الصوتية للغة ما فى مقابل لغة ثانية يراد تعليمها لأبناء اللغة الأم، ومن الجوانب التطبيقية فى الدراسة الصوتية: دراسة عيوب النطق التى تعود لسبب

لغوى، مع وضع الحلول للتغلب عليها. كذلك ما يخص جوانب الأداء الصوتى، بوجوهه المختلفة، والأمر هنا خاص بالأصـــوات المفــردة، ومواضع النبر، والتنغيم، والوقف ...إلخ.

(٢) المستوى الصرفى:

يتناول البحث اللغوى فى هذا المستوى الكلمة خارج التركيب، فيدرس صيغ الكلمات من حيث بناؤها، والتغيرات التى تطرأ عليها من نقص أو زيادة، وأثر ذلك فى المعنى. والبحث اللغوى الحديث يتعامل مع مسائل الصرف على أساس صوتى بدلاً من اعتماد القدماء على الكتابة فى تحديد الكلمة؛ فكل مجموعة من الحروف تكتب مجتمعة وتأخذ شكلاً مستقلاً فى الكتابة اعتبرها القدماء كلمة، فى حين يتعامل البحث اللغوى الحديث مع الوحدة الصرفية *Morpheme* .

أيضًا من الحقائق التى أنجزها علم اللغة الحديث تحليل الأنماط الصرفية الخاصة بكل لغة أو لهجة، بقصد الوصول إلى أسلوب كل لغة فى بناء كلماتها. كما يهتم علم اللغة الحديث بدراسة التغيرات الصرفية التى تطرأ على بناء الكلمة لاعتبارات صوتية.

(٣) المستوى التركيبى :

يتناول البحث اللغوى فى هذا المستوى دراسة نظام بناء الجملة، ودور كل جزء فى هذا البناء، وعلاقة أجزاء الجملة بعضها ببعض، وأثر كل جزء فى الآخر مع العناية بالعلامة الإعرابية.

يضاف إلى هذا عناية البحث اللغوى الحديث على مستوى التركيب ***Syntactic*** بدراسة التراكيب الصغرى، مثل: المضاف والمضاف إليه، النعت والمنعوت، تركيب الفعل مع حرف الجر أو الظرف، التعبيرات السياقية، التعبيرات الاصطلاحية.

وأهم فرق فى بحث الجملة بين القدماء والمحدثين هو تخلص المحدثين من التأثر بنظرية العامل، واتجاههم إلى دراسة الوصفية لعناصر الجملة، التى تعتمد على الواقع المنطوق، ومعرفة دور هذه العناصر فى المعنى؛ ومن هنا أصبح تفسير الظواهر النحوية يقوم على أساس وصفى بدلاً من الاعتماد على المنطق والتأويلات التى تخرج باللغة من إطارها إلى علوم ومجالات أخرى.

(٤) المستوى الدلالى :

يتناول البحث اللغوى فى هذا المستوى دراسة المعنى بكل جوانبه: (المعنى الصوتى وما يتصل به من نبر وتنغيم، والمعنى الصرفى، والمعنى النحوى، والمعنى المعجمى، والمعنى السياقى)؛ وذلك لأن المعنى اللغوى هو حصيلة هذه المستويات كلها.

ومع دراسة المعنى وجوانبه يهتم البحث الدلالى بالقضايا التالية:

تغير المعنى، وأسباب هذا التغير، ومظاهر هذا التغير، ودراسة العلاقات الدلالية بين الألفاظ، وصناعة المعجمات بأنواعها.

العلاقة بين المستويات عند القدماء والمحدثين:

أ ــ عند القدمـــاء:

حدث خلط واضح عند القدماء بين المستويات اللغوية[١]، بالإضافة إلى أنه لم تتوفر لديهم نظرة متكاملة للعلاقة بين المستويات اللغوية، اللهم إلا هذه المسائل المتفرقة التى تبدو فيها بعض ملامح الربط بين المستويات، من ذلك ما نجـــده عند ســـيبويه حين فسر ظاهرة الإدغام تفسيرًا صوتيًّا، لكن الإدغام صورة واحدة من صور الإبدال.

ولقد أطلق القدماء وبخاصة فى القرون الأولى من الهجرة، وبالتحديد مع بداية القرن

---

(١) راجع فى هذا المعنى بتوسع: د. كمال بشر: التفكير اللغوى بين القديم والجديد، ص ١٤٩.

الثانى الـــهجرى، على المستويات اللغوية اسمين اثنين هما: النحو، وعلوم العربية[1]، والنحو - كما فى تعريف ابن جنى - هو: " انتحاء سمت كلام العرب فى تصرفه من إعراب وغيره، كالتثنية والجمع والتصغير والتكسير والإضافة والنسب والتركيب وغير ذلك، ليلحق من ليس من أهل العربية بأهلها فى الفصاحة "[2].

ورغم جمع العلمين (النحو والصرف) فى كتاب واحد، ورغم اختلاط مسائل دراسة الصرف والنحو فى القديم، إلا أن الحقيقة التى ينبغى تأكيدها: هى عدم إقامة القدماء علاقة واضحة بين العلمين، بحيث تفيد المستويات اللغوية بعضها من بعض مما يساعد على تحليل كثير من الظواهر اللغوية المختلفة.

وميَّـــز المتأخرون بين المستويين: المستوى النحوى، والمستوى الصرفى، وظهر مصطلح "الصرف" عند السكاكى (ت ٦٢٦هـــ) عند حديثه عن الأحكام الخاصة ببنية الكلمة فى كتابه "مفتاح العلوم"[3].

ب ـــ عند المحدثـــين:

يتعامل البحث اللغوى الحديث مع المستويات اللغوية، على أنـــها تتكامل؛ فكل مستوى يرتبط بالآخر ويفيد منه، ولا يجوز الفصل بينها أو الاكتفاء بواحد منها فى معالجة أى قضية لغوية، وذلك لأن النص اللغوى كلٌّ لا يتجزأ[4]. فالصرف يعتمد على الأصوات فى كثير من مسائله، ومن أظهر الأمثلة على ذلك: ظاهـــــرة الإعلال والإبدال. والنحو يعتمد على الأصوات والصرف معًا، وتعمل المستويات كلها لخدمة المعنى؛ إذ هو الهدف الأساسى من النص.

---

(١) د. محمود فهمى حجازى: علم اللغة العربية: ص ٦٠.

(٢) ابن جنى : الخصائص ١/٣٤.

(٣) د. محمود فهمى حجازى: علم اللغة العربية، ص ٦٤.

(٤) راجع: د. كمال بشر: التفكير اللغوى بين القديم والجديد، ص ١٤٩.

الفصل الخامس

أصوات العربيـــة

بين النظرية والتطبيق

الأصـــوات اللغوية فى العربيـــــة

يمـــيز العلماء قديمـــًا وحديثـــًا بين نوعين من الأصوات:

١- **الصوائت:** وتعرف فى العربية بالحركات القصيرة (الفتحة والكسرة والضمة)، بالإضافة إلى أصوات المد (ألف المد، وياء المد، وواو المد)، ويطلق عليها حديثـــًا "الحركات الطويلة".

٢- **الصوامت:** وأطلق عليها العرب مصطلح (الحروف الأصول)، وعددها فى العربية ثمانية وعشرون صوتـــًا، يدخل فيها الواو غير المـــدة، والياء غير المـــدة.

أولاً : الصـــوائت:

للقدماء حس مرهف بـــهذا التمييز، حيث أطلقوا على مخارج حروف المد: المخرج المقدَّر، أو الجوفية، أو الـــهوائية، والذى أضافه المعاصرون هو تحديد ملامح إضافية تميز مخرج كل حركة من الحركات (الفتحة، والضمة، والكسرة) من خلال تحديد موضع اللسان وموضع الشفتين أثناء النطق بكل حركة، ويلحق بذلك: ألف المـــد، وياء المد، وواو المد.

فالفتحة، وألف المد: يكون وسط اللسان هو الجزء الأعلى.

والضمة، وواو المد: يكون آخر اللسان هو الجزء الأعلى مع أخذ الشفتين شكل الاستدارة تقريبـــًا.

والكسرة، وياء المد: يكون أول اللسان هو الجزء الأعلى.

والحق أن هذه الملامح التى أضافـــها المعاصرون لم تكن خافية على القدماء، بل هى حاضرة فى الجانب الشفهى عندهم، ولعلهم اكتفوا بجانب التلقى دون الكتابة،

بسبب أن القرآن الكريم قائـــم على التلقى الصوتى والمتابعة الحية من لحظة نزولـــه على رسول الله ﷺ .

قال الله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَـٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ القيامة /١٨ .

ثانيـــاً: الصــــوامت:

هى الحروف (الأصوات) الصامتة، وهى التى تقبل حركة من الحركات، ويرجع اختلاف المحدثين عن القدماء فى وصف هذه الأصوات إلى تقدم علم التشريح وعلم الأصوات التجريـــبى ، مما أتاح للمحدثين تفاصيل أكثر دقة، فمـــيّزوا بين الحلق والحنجرة واللهـــاة، وقد سجل القدماء حسهم الدقيق بـــهذه التفرقة حيـــث مَـــيَّزوا بين أقصى الحلق ووسط الحلق وأدنى الحلق.

السمع

يشترك فى إنجاز عملية السمع أعضاء عديدة، مثل: الأذن الخارجية والأذن الوسطى، والأذن الداخلية، كذلك الجزء الخاص بعملية السمع[1] فى المخ.

رسم جهاز السمع

١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨

- الأذن الخارجية
- القناة السمعية
- العظام السمعية
- القنوات الهلالية
- الحلزون
- عصب السمع
- غشاء الطبلة
- قناة استاكيوس .

ويعتبر السمع[2] أم الملكات الإنسانية لعظيم تأثيره فى اكتساب المعارف الإنسانية وقد جاء فى القرآن الكريم فى مقدمة الحواس الإدراكية، قال تعالى:

﴿ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ﴾ الملك/٢٣.

---

(١) راجع: د. وفاء البيه: أطلس أصوات اللغة العربية، ص ١٦٣.

(٢) المتأمل لأهمية السمع يرى أن كثيرًا من المعارف والثقافات وعمليات الفهم والإدراك، يلعب السمع فيها دورًا بارزًا، وبخاصة الغيبيات. =

مجـــال إدارك الصـــوت:

استطاعت التقنية الحديثة قياس الشدة والتردد وغيرهما من الخصائص الفيزيائية فى الموجات الصوتية، كذلك قياس إدراك الصوت.

ويتحدد مجال إدراك الصـــوت بالأذن البشرية بين حد أدنى للتردد يقـــدر بحوالى (٢٠) عشرين ذبذبة فى الثانية، وبحد أعلى للتردد يقدر بحوالى (٢٠٠٠٠) عشرين ألف ذبذبة فى الثانية، والأصوات التى يكون ترددها أقل من الحد الأدنى لا تدركها الأذن البشرية، والأصوات التى يكون ترددها أعلى من الحد الأعلى لا تميزها الأذن.

مع تأثر مدى إدراك الصوت بالأذن بعوامل عديدة مثل: المرض، والشيخوخة والعوامل النفسية؛ كالخوف الشديد، ونحو ذلك.

=كما أن الســـمع أسبق نشأةً من الكلام، وتتمتع حاسة السمع بمميزات لا تتـــأتى للحواس الأخرى: (البصر، واللمس، والشـــم .. إلخ)، حيث تعمل حاسة الســـمع فى الليل والنـــهار، وعبر المسافات البعيدة.

ولإدراك خطورة حاسة السمع وأهميتها يكفى المقارنة بين إنسان أعمى وآخر أصم؛ فالنبوغ عند فاقدى البصر كثير، بينما نراه نادرًا جدًّا بين الصُّمِّ، حتى وإن كانوا مبصرين.

والعملية الكلامية تدين للسمع فى كثير من جوانبها:

- فبدون السمع لن يستطيع الإنسان أن يكتسب الأصوات اللغوية، فالأصم لا يكتسب مهارة الكلام كمن هو متمـــتع بســـمعٍ جيد.
- وبدون السمع لن نستطيع أن نحدد صحة الصوت اللغوى عند النطق به وأنه استوفى صفاته من التفخيم أو الترقيق ، والـــهمس أو الجهر ... إلخ.
- وبدون السمع لن نستطيع أن نحدد الدرجة المناسبة لارتفاع الصوت أثناء الكلام حتى لا يكون الكلام خفيضـــًا لا يسمع بوضوح، وحتى لا يكون الكلام صياحـــًا يؤذى الأذن ويسبب الإزعاج والتشويش.

تصنيف الأصوات حسب قوة الإسماع

كما صنف العلماء الأصوات اللغوية على حسب المخرج، هناك فريق من العلمـــاء صنفوا الأصوات اللغوية حسب قوة الإسماع.

فبدراسة ملمح قوة الإسماع للأصوات اللغوية المختلفة، يوصف الصوت الذى يسمع من أبعد مسافة بأنه أقوى الأصوات إسماعـــًا، فى حين أن الصوت الذى لا يسمع إلا من أقصر مسافة من المتكلم يكون أضعف الأصوات إسماعـــًا.

وفى العربية تأتى الحركات القصيرة (الفتحة، والكسرة، والضمة)، والحركات الطويلة- التى يطلق عليها القدماء مصطلح حروف المد (ا، و، ى)- فى قمة المنحنى لقوة الإسماع، فى حين أن الصوت الصامت (الحرف الذى يقبل حركة) يظل صامتـــًا ولا يخرج إلى حيز الوضوح السمعى إلا بواسطة (حركة)، ومن هنا سميت الحركة بالصائت، أى: التى تجعل الصامت يصوِّت ويكون له قوة الوضوح السمعى. والخصائص السماعية لأصوات العربية[1]، يمكن تركيزها فى الخلاصة التالية:

(١) **أصوات عديمة الإسماع**: وهى الأصوات الانفجارية المهموسة، مثل: صوت الكاف وصوت التاء، فى العربية.

(٢) **أصوات قوة إسماعها درجة واحدة**: وهى الأصوات الانفجارية المجهورة مثل: أصوات: الجيم، والطاء، والـــهمزة، والباء والدال، فى العربية.

(٣) **أصوات قوة إسماعـــها درجتان**: وهى الأصوات الاحتكاكية المهموسة وتتفاوت قوة إسماعها حسب قوة الكلام، مثل: صوت السين، وصوت الفاء وصوت الـــهاء، فى العربية.

---

(١) راجع: د. عبدالرحمن أيوب: أصوات اللغة، ص ١٣٤،
د. سعد مصلوح: السمع والكلام، ص ٣١٣، ٣١٤.

(٤) **أصوات قوة إسماعـــها ثلاث درجات:** وهى الأصوات الاحتكاكية، مثل: صوت الزاى، وصوت الذال، وصوت الضاد، وصوت الغين، فى العربية.

(٥) **أصوات قوة إسماعها أربع درجات:** وهى الأصوات الأنفية والجانبية والمجهورة، مثل: صوت المـــيم، وصوت النون، وصوت الراء فى العربية.

(٦) **أقوى الأصوات إسماعـــًا:** وهى أصوات الحركات وحروف المد، ولذلك سميت صوائت، كما سبقت الإشارة.

والذى ينبغى الإشارة إليـــه هنا فى هذه الخلاصة التى تميل إلى جانب التطبيق أكثر من ميلها إلى الجانب النظرى هو أن مهارة الأداء الصوتى تبدأ بالسماع الجيد، الذى يدرك صفات أصوات الحروف المنطوقة بدقة ووضوح، ويستطيع أيضًا أن يميز الفروق الصوتية الدقيقة بين أصوات الحروف متقاربة المخرج متشابـــهة الصفات، مثل: التمـــييز بين: (ق ـــ ك)، (ت ـــ ط)، (ث ـــ س)، (ز ـــ ذ).

وهذا يدفعنا إلى الوعى بأهمية وجود نماذج تُتخَذ أسوة وقدوة كمصادر للسماع الجيد؛ كى يتربى عند المستمع الحس السمعى المرهف، ويحدث اختزان فى المخ للملامح المميزة لصوت كل حرف من الحروف، فإذا ما حاول الإنسان التكلم كان فى الذهن نموذج ناجح يتخذه مثالاً يحتذيـــه، فتأتى محاولة النطق قريبة من هذا المثال قربـــًا يضمن لـــها النجاح، أو تأتى مطابقة لـــه؛ فيـــكون لـــها التفوق والانطلاق، وقد تتجـــاوزه بملامح جمالية فوق مستوى الصحة المطلوب.

وبشأن أصوات اللغة العربية، فإننا نتمتع بوجود نموذج مثال له القمة فى الصحة والجمال والإبداع، بل والإعجاز، إنه القرآن الكريم، حيث يتم تلقى القرآن من جيل إلى جيل عن طريق المشافهة، مع وجود المعايير والضوابط التى تضمن صحة النطق وتحفظها فى إطار متناسق، ومجال أحكام التلاوة القرآنية يقوم بـــهذه المهمة.

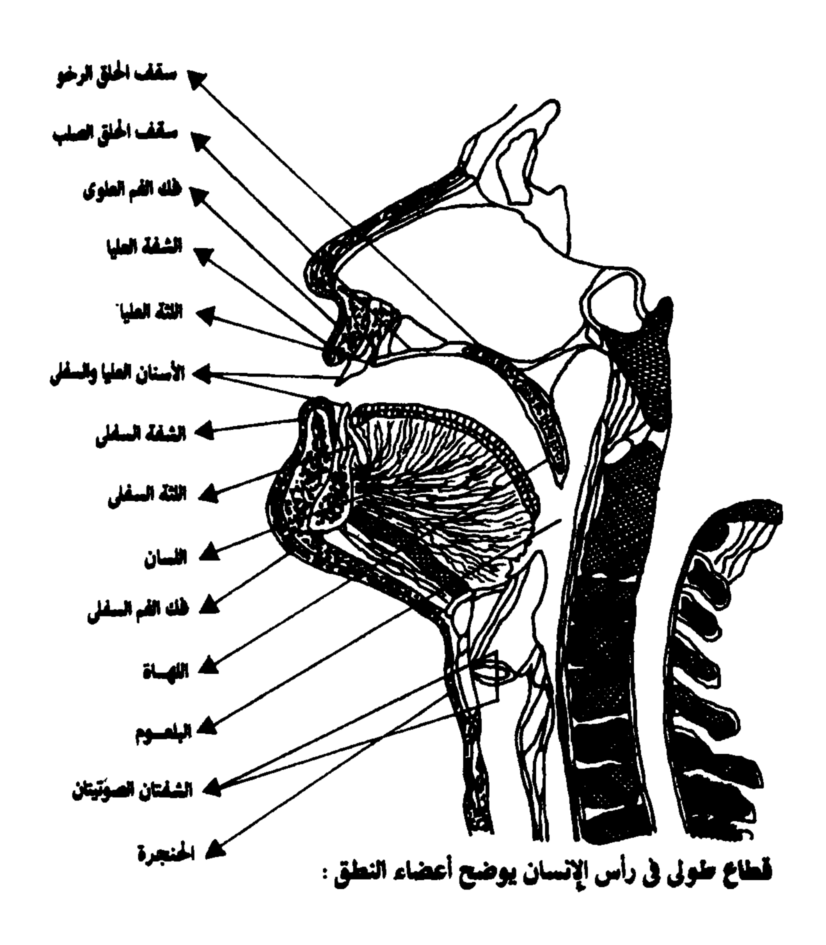
وبالإضافة إلى هذه القمة والمثال المعجز، هناك فى كل عصر متحدثون فصحاء نبهاء يُشهد لـــهم من أهل اللغة والأداء بكفاءتـــهم الصوتية المتمـــيزة، فليتخذ الطالب من هؤلاء الأفـــذاذ مثالاً يُحتـــذى، يســـتمع إليهم، ويحاول أن يتلمس هديـــهم فى نسق النطق الصحيح، حتى تتحقق له مهارة الأداء.

جهـــاز النطـــق:

يشترك فى إنتاج الصوت اللغوى أعضاء عديدة من جسم الإنسان: (الرئتان لإنتاج تيار الـــهواء، والحنجرة، والحلق، واللهـــاة، وتجويف الفم، واللـــثة والأســـنان، والشـــفتان، والخيشوم)، وقبل هذا كله؛ هناك المخ حيث يوجد مركز السيطرة الذى ينظم عملية النطق ويحـــدد درجة الصوت المطلوب، وكل ما يتصل به من صفات، وهذه الأعضاء منها الثابت؛ مثل الأعضاء التى بالفك العلوى، ومنها المتحرك؛ مثل الأعضاء التى بالفك السفلى، وعضلة اللسان، واللهاة التى عند الحنجرة.

انظر الشكل التوضيحى لجهاز النطق فى الصفحة التالية:

جهــاز النطــق*



قطاع طولى فى رأس الإنسان يوضح أعضاء النطق :

---

* الرسم مأخوذ من: د. وفاء البيه، أطلس أصـــوات اللغـــة العربيـــة: ص ١١١٢.

مخـــارج الأصوات الصامتة:

ومخارج الأصوات الصامتة فى العربية ســـتة عشر، بيانـــها كالآتى:

المخرج العـــام	المخرج الخاص (القدماء)	الصـــوت	المخرج الخاص (المحدثون)
الحلق	أقصى الحلق	ء، هـــ	الحنجـــرة
	وسط الحلق	ع، ح	ـــ [1]
	أدنى الحلق	غ، خ	اللهـــاة
اللسان ويشمل عشرة مخارج خاصة	أقصى اللسان مما يلى الحلق	ق	ـــ
	أسفل أقصى اللسان	ك	ـــ
	وسط اللسان مع الحنك الأعلى	ج، ش، ى	ـــ
	الحافة الخلفية للسان عند محاذاة الأضراس	ض	ـــ
	الحافة الأمامية للسان	ل	ـــ
	ظهر طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا	ت، د، ط	ـــ
	ظهر طرف اللسان مع رؤوس الثنايا العليا والسفلى	ث، ذ، ظ	ـــ

(١) وضع شرطة أفقية فى خانة المحدثين يعنى: نفس المخرج عند القدماء .

تابع اللسان	طرف اللســـان تحت مـــخرج اللام مع ما يحاذيه من لثة الأسنان العليا	ن	—
	طرف اللســـان مائـــلاً إلى ظـــهره مع ما يحاذيه من لثة الأسنان العليا	ر	—
	طرف اللسان مع ما بين الأسنان العليا	ص، ز، س	—
الشـــفتان	بطن الشفة السفلى مع أطراف الثنايا العليا	ف	—
	ما بين الشفتين	ب، و، م	—
الخيشـــوم	التجويف الأنفى	الغنة بمراتبها المختلفة	—

صـــفات الأصـــوات

يقصد بصفات الأصوات: الخواص والملامح المميزة لكل صوت، من همس أو جهر، وشدة أو رخاوة، واستعلاء أو استفال، وإطباق أو انفتاح، وغير ذلك من الصفات التى تحدد الحالة التى يكون عليها الصوت عند النطق به.

ورحم اللـــه القدماء من علماء الأمة الأوائل؛ فقد كان لـــهم بصر وبصيرة بصفات الأصوات العربية، وبحسهم اللغوى المرهف استطاعوا تحديد معظم صفات الأصوات العربية بدقة ووضوح.

ومع القفزات الواسعة للعلم التجريبى فى المجال الصوتى أتيح لعلماء العربية فى العصر الحديث الإفادة من علم الأصوات التجريبى ***Experimental Phonetics*** فى تحديد صفات الأصوات بصورة دقيقة وواضحة؛ مما يعطينا ضوابط ومعايير تساعدنا على نطق صوت كل حرف نطقـــاً صحيحـــاً، كما يصون اللسان من الخلط بين أصوات الحروف المتشابـــهة لتقاربـــها فى المخرج.

أولاً: الصفات التى لها ضـــد:

(١) الـــهمس والجهـــر:

صفتان متخالفتان بحسب اهتزاز الأوتار الصوتية، فالجهر صفة ناتجة عن تذبذب واهتزاز الأوتار الصوتية خلال النطق بصوت معين، فى حين أن الـــهمس صفة ناتجة عن عدم اهتزاز الأوتار الصوتية عند النطق بالصوت.

ويمكن إدراك الفرق بين الصوت المهموس والمجهور عند النطق، بوضع اليد على مقدم الرقبة أو الجبهة، أو وضع أصبعين، كل أصبع فى أذن، حيث نسمع صدى واضحـــاً لاهتزاز الأوتار الصوتية فى الأصوات المجهورة، كما فى صوت (ز) مثلاً، فى حين أننا لانسمع هذا الصدى ولا الطنين فى حالة الأصوات المهموسة، كما فى صوت (س) مثلاً.

وتتوزع حروف الهجاء العربية بين الهمس والجهر على النحو التالى:

(أ) **الأصوات المهموسة**: ثلاثة عشر صوتـــاً؛ هى: (ء، ت، ث، ح، خ، س، ش، ص، ط، ف، ق، ك، هـــ).

وتجمع فى قولنا: (أقط، فحثه، شَخص، سكت).

ويلاحظ هنا زيادة ثلاثة أحرف على ما ذكـــره القدمـــاء، هى: (ء، ق، ط)،

وتفسير ذلك يكون بأحد احتمالين:

الأول: تطور صوتى: القاف والطاء فى النطق العربى مع توالى القرون.

الثانى: عدم دقة القدماء فى تحديد صفة الـــهمس والجهر بسبب عدم معرفتهم بالوترين الصوتيين، ويتأكد لنا ذلك بتأمل تعريف سيبويه وابن الجزرى للصوت المهموس بأنه: كل حرف جرى معه النفس بسبب ضعف الاعتماد على المخرج[1]، وعلى هذا المعيار (معيار جريان النفَس) تكون الحركات (الصوائت) فى مقدمة الأصوات المهموسة، لخروجها مع تيار هواء طليق لا يعترضه شيء.

لكن الحركات (الصوائت) أصوات مجهورة عند سيبويه وابن الجزرى وسائر القدماء والمحدثين أيضـــًا.

أما **صوت الـــهمزة** فلم تكن صفاته واضحة لدى القدماء بسبب نقص معرفتهم التشريحية للحنجرة والحلق وغيرهـــما.

(ب) **الأصوات المجهورة:** وتضم خمسة عشر صوتًا، هى باقى أصوات العربية بعد استبعاد الأصوات المهموسة:

(ب، ج، د، ذ، ر، ز، ض، ظ، ع، غ، ل، م، ن، و، ى).

(٢) الشـــدة والرخاوة والتوسط والتركيب:

معيار الشدة والرخاوة يرجع إلى درجة الاعتراض لتيار هواء الزفير.

ومعيار التوسط خروج الصوت دون انفجار أو احتكاك.

ومعيار التركيب المزج بين صوتين. وفيما يلى تفصيل لهذه الصفات:

---

(١) سيبويه، الكتاب: ٢٨٤/٢، ابن الجزرى: النشر فى القراءات العشر: ٢٠٢/١.

(أ) الشدة (الانفجارية):

يقصد بـــها خروج الصوت فجأة فى صورة انفجار للهواء عقب احتباسه عند المخرج، أى أن اعتراض هواء الزفير هنا يكون اعتراضـــاً تامـــاً، وحروف الشدة ثمانية، هى: (ء، ب، ت، د، ض، ط، ق، ك)، وتجمع فى قولنا: (أطق ضد بكت)، والقدماء يضمون إلى هذه الأصوات الشديدة صوت "الجيم المعطشة"، والصواب أنـــها صوت مزجى مركب من انفجارى واحتكاكى، أى هو صوت مزدوج.

(ب) الرخاوة (الاحتكاكية):

يقصد بـــها خروج الصوت مستمرًا فى صورة تسرب للهواء محتكـــاً بالمخرج، أى أن اعتراض هواء الزفير هنا يكون اعتراضـــاً متوسطـــاً، وحروف الرخاوة هى: (ث، ذ، ظ، ح، ع، م، هـــ، خ، غ، ش، س، ز، ص).

(ج) التوســـط:

يقصد به خروج الصوت دون انفجار أو احتكاك عند المخرج، ولذلك أطلق عليها الأصوات المائعة، وهى: (الراء، اللام، الميم، النون) وتجمع فى قولنا: (لن مر).

والقدماء يضمون إلى الأصوات المتوسطة حرف العين (لن عمر)، فى حين أن النطق المعاصر لـــها يجعلـــها ضمن الأصوات الرخوة؛ لاحتكاك الـــهواء بأقصى الحلق، فهى (أى العين) تماثـــل صوت الحاء فى الرخاوة، والصفة المميزة بينهما هى الـــهمس أو الجهر، فالعين مجهورة فى حين أن الخاء مهموسة.

(د) التركيب:

ويقصد به أن يكون الصوت مزيجـًا من الشدة والرخاوة (من الانفجار والاحتكاك)، وهى صفة خاصة بحرف "الجيم المعطشة"، كما تنطق فى تلاوة القرآن الكريم.

والتعطيش يعنى أن يبدأ الصوت باحتباس الـهواء بين وسط اللسان وما يوازيه من الحنك الأعلى (الغار)، ثم ينفرج فجأة، ولما كانت المساحة التى يشغلها اللسان من الحنك الأعلى كبيرة نسبيـًا، إذا قيست بالاحتباس عند اللثة مثلاً، فإن انفصال ظهر اللسان عن الحنك الأعلى لا يحدث متزامنـًا؛ وبذلك يتخلف أثر احتكاكى يقويه الناطق بعض التقوية لتكون الجيم مركبة من بعض الشدة وبعض الرخاوة، ولذلك جرى رسم هذه الجيم فى الكتابات الأجنبية برمزين هما: (*dj*)، فالرمز (*d*) لقيمة الشدة، والرمز (*j*) لقيمة الرخاوة[1].

---

(١) برتيل مالمبرج: علم الأصوات، ترجمة ودراسة د. عبدالصبور شاهين، ص ١١٤.

(٣) الإطباق والانفتاح:

معيار الإطباق والانفتاح هو وضع اللسان عند النطق بالصوت.

أ-الإطــباق:

يُقصد بالإطباق وضع اللسان عند نطق بعض الأصوات، حيث ينطبق اللسان على الحنك الأعلى، آخذاً شكلاً مقعرًا، بحيث تكون النقطة الخلفية هى مصدر الصوت فى حالة الإطباق، وحروفه هى: الصاد، والضاد، والطاء، والظاء.

ويتولد عن الإطباق صفة التفخيم لصوت الحرف المطبق.

ب- الانفتاح:

هــو أيضــــاً وضع اللسان عند نطق بعض الأصوات، حيث ينفتح ما بين اللسان والحنك الأعلى ويخرج الــهواء من بينهما، وتكون النقطة الأمامــية من اللسان هى مخرج الصوت.

وحروف الانفتاح هى باقى حروف الهجاء، بعد إسقاط حروف الإطباق الأربعة.

(٤) الاســـتعلاء والاســـتفال :

معيــار الاســتعلاء والاســتفال هو نفس معيار الإطباق والانفتاح ، والفرق بين الإطباق والاستعلاء هو وضع اللسان، فيكون الإطباق بارتفاع اللسان حتى ينطبق على الحنك الأعلى، فى حين أن الاستعلاء يحدث بارتفاع اللسان إلى أعلى، لكن دون انطباق على الحنك الأعلى.

والعلاقة بين الإطباق والاستعلاء علاقة عموم وخصوص، فكل مطبق مستعلٍ وليس العكس.

أ ــ الاستعلاء:

صفة لبعض الأصوات الحلقية، وهى: "القاف والغين والخاء"، حيث يرتفع اللسان بجزئـه الخلفى نحو اللهاة ليخرج الصوت غليظًا مفخمًا.

وحروف الاستعلاء هى: "خص ضغط قظ"، وهذه الحروف تشمل حروف الإطباق الأربعة: " ص، ض، ط، ظ "، فبين الاستعلاء والإطباق علاقة عموم وخصوص، وإن كان المحدثون يميزون بينهما، فالعلاقة علاقة تمايـز وتبايـن ويتولد عن صفة الاستعلاء صفة التفخيم.

ب ــ الاستفال:

وفيه يكون وضع اللسان أسفل فى قاع الفم، وذلك فى بقية أصوات الحروف العربية بعد استبعاد أصوات الاستعلاء.

(٥) التفخيم والترقيق:

صفتان متخالفتان بحسب غلظ الصوت، فالصوت الغليظ هو الصوت المفخَّم وهى صفة متولدة عن صفتى الاستعلاء والإطباق، فجميع أصوات الاستعلاء والإطباق مفخَّمة دائمًا فى العربية، وهى: (خ، ص، ض، ط، ظ، غ، ق).

وقد يأخذ التفخيم درجات من القوة على حسب السياق الصوتى الذى يـرد فيـه، وهنـاك أصوات أخرى فى العربية تفخَّـم فى سـياقات صوتية وترَقَّـق فى سـياقات أخرى، وهـذه الأصـوات هى: اللام والـراء.

مواضع تفخيم الراء وترقيقها:

الراء مفخمة فى أغلب سياقاتـــها، وذلك إذا كانت مفتوحة، أو مضمومة، أو ساكنة بعد فتح أو ضم، كما فى: (رَبٌّ، رُوح، بَرْد، قُرْط)، أما الراء المكسورة أو الساكنة بعد كسر فترقق؛ كما فى: (رِسالة، فِرْعون).

مواضع تفخيم اللام وترقيقها:

اللام مرققة دائمـــاً إلا فى لفظ الجلالة فإنـــها تُفَخَّم إذا ســـبقها مفتوح أو مضموم؛ كما فى: (مِنَ اللهِ، فضلُ الله)، فإذا سبقها مكســـور رققت؛ كمـــا فى: (باللهِ).

الأصوات المرققة:

بعد استبعاد الأصوات المفخمة (الإطباق، والاستعلاء) وحالات تفخيم اللام والراء، فإن باقى أصوات العربية مرققة.

(٦) الإذلاق والإصمات:

الإذلاق من الذَّلق، ومعناه: الطرف، ومنه أطلق مصطلح الإذلاق على الأحرف التى تخرج من طرف اللســـان: (ل، ن، ر)، والتى تـــخرج من طرف الشفـــة: (ب، ف، م). وتتميز أصوات هذه الأحرف بخروجها فى سهولة ويســـر.

والإصمات لغةً: هو المنع، واصطلاحـــاً: ثقل نسبى فى النطق بحروف العربية المتبقية بعد استبعاد أحرف الذلاقة.

وللقدماء ملاحظتان بشأن صفتى الإذلاق والإصمات:

الأولى: شيوع أحرف الذلاقة بدرجة أكبر من شيوع حروف الإصمات فى كلمات العربية.

الثانية: منع انفراد حروف الإصمات فى كلمة من كلمات العربية الرباعية أو الخماسية، فكل كلمة عربية على أربعة أو خمسة أحرف لا بد أن يكون فيها مع الأحرف المصمتة حرف أو أكثر من حروف الذلاقة.

ومن هنا قال اللغويون بأعجمية كلمة (عسجد)[1]؛ لأنها رباعية وخلت من أحرف الذلاقة.

ثانيًا: الصفات التى لا ضد لها:

١- الصفّير:

يقصد به شدة وضوح الصوت فى السمع، بسبب الاحتكاك الشديد فى المخرج، فيخرج الصوت مصحوبًا بدرجة من الصفير، وأصواته ثلاثة: (الصاد، الزاى، السين).

٢- التكرير:

صفة خاصة بالراء، وينبغى الحذر من المبالغة فى تكرار الراء بتوالى ضربات اللسان مما ينشأ عنه راء مكررة، وليس صوت الراء المطلوب ظهوره.

٣- التفشى:

هو صفة ناتجة عن وضع اللسان عند النطق بالشين، حيث يشغل مخرجها مساحة كبيرة ينتج عنه انتشار الهواء فى الفم، فلا ينحصر مرور الهواء فى مخرج الشين فقط، ولولا هذا التفشى لصارت الشين سينًا.

---

(١) عسجد بمعنى: ذهب.

٤- اللـــين:

اللين صفة لصوتى الواو والياء حال سكونـــهما، ويكون ما قبلهما مفتوحـــاً؛ كما فى: (خَـــوْف، بَيْت).

٥- القلقـــلة:

وهى صفـــة خاصـــة بتـــلاوة القرآن الكـــريم، وتكون فى أصـــوات: (ب، ج، د، ط، ق)، المجموعة فى كلمتى: (قطب جد)، بشرط أن تكون هذه الأصوات ساكنة، ولـــها مراتب ثلاث.

٦- الاستطالة:

وهى صفة خاصة بصوت الضاد، والمراد بـــها استطالة المخرج واتصاله بمخرج اللام الجانبية، ويتبع استطالة المخرج استطالة الصوت، حيث يستغرق زمنًا أكبر.

ظواهـــر صوتـــية

المقـــطع *Syllable*:

هو وحدة صوتية مكونة من عدد من الحروف والحركات تتصف بالتماســـك النطقى، ويصنف المقطع بحسب اعتبارين، هما:

(١) طول المقطع:

- **فالمقطع القصير:** لا يزيد على صوتين؛ مثل: المقاطع الثلاثة: (كَ، تَ، بَ) فى الكلمة: كتب.
- **والمقطع المتوسط:** يشتمل على ثلاثة أصوات فى مثل: (يَـــدٌ، دَمٌ)، أو صوتين، أحدهما حركة طويلة (حرف مد) فى مثل: "فا، دا" من الكلمتين: "فاهم، دارس".

• **والمقطع الطويل:** يشتمل على أربعة أصوات؛ كما فى: "فَجْــر" (ف + فتحة + ج + ر)، "رادّ" (ر + حرف الألف {حركة طويلة} + د + د).

أو يشتمل على ثلاثة أصوات أحدها حركة طويلة (حرف مد)؛ كما فى: "لُوم" من كلمة (معلوم)، " تُوب " من كلمة (مكتوب).

(٢) نــهايــة المقــطع:

• **مقطع مفتوح:** إذا انتهى بحركة قصيرة (الفتحة، الضمة، الكسرة)، كما فى: بَ (لعبَ)، بُ (يكتبُ)، بِ فى حرف الجر (بِـــ).

• **مقطع مغلق:** إذا انتهى بصوت حرف صامت (أى ليس بحركة ولا حرف مد) مثل المقاطع: "فَهْم، عصْر، درس، عِلْم، فَنّ".

أنــواع المقاطــع فى العربيــة:

تعرف العربية إجمـــالاً خمسة أنواع من المقاطع؛ هى:

النوع الأول: مقطع قصير مفتوح، وهو عبارة عن: صامت + حركة قصيرة مثل: " وَ، كَ ".

النوع الثانى: مقطع متوسط مفتوح، وهو عبارة عن: صامت + حركة طويلة (حرف مد) مثل: " يا، فى ".

النوع الثالث: مقطع متوسط مغلق، وهو عبارة عن: صامت + حركة قصيرة + صامت مثل: " بَلْ، هَلْ ".

النوع الرابع: (أ) صامت + حركة طويلة (حرف مد) + صامت، مثل: "عاشْ، حالْ، نامْ ".

(ب) صامت + حركة قصيرة + صامت + صامت، مثل:" أمْرْ ".

النـــبر Stress :

يأتى النبر عند القدماء بمعنى الـــهمز؛ جاء فى اللسان: "النبر همز الحرف"[1].

ويأتى النبر عند المعاصرين بمعنى ارتفاع شدة الصوت ونغمته، مما يؤدى إلى وضوح نسبى لصوت أو مقطع بين الأصوات والمقاطع المجاورة له على مستوى الكلمة، فالصوت المنبور أو المقطع المنبور، يتطلب عند النطق به طاقة أكبر من بقية الأصوات أو المقاطع داخل الكلمة.

ولعل إشارات القدماء بمصطلح "مطل الحركة"[2] الذى ورد عند ابن جنى، وأطلق عليه سيبويه : "إشباع الحركة"، قريب- بوجه ما- من دلالة النبر عند المعاصرين.

وتفيدنا دراسات اللغويين المعاصرين أن النبر فى العربية مرتبط ببنية الكلمة، حيث يرتبط بالمقطع، فالكلمة المكونة من مقطع واحد لا مجال فيها للحديث عن مقطع منبور وآخر غير منبور، فالمقطع الواحد منبور دائمـــًا، ولكن قواعد النبر نحتاجها فى الكلمة التى تحتوى على مقطعين فأكثر.

ويمكن ملاحظة موقع النبر داخل الكلمة من خلال الضوابط التالية[3]:

١- إذا توالت عدة مقاطع مفتوحة يكون الأول فيها منبورًا، ففى كلمة: "كَتَبَ" نجد ثلاثة مقاطع قصيرة مفتوحة، أولـــها منبور.

٢- إذا ضمت الكلمة مقطعـــًا طويلاً واحدًا، يكون النبر على هذا المقطع الطويل؛ كما فى كلمة: "كِتاب"، نجد النبر على المقطع الثانى.

---

(١) لسان العرب: مادة (ن ب ر).

(٢) ابن جنى، الخصائص: ٣ / ١٢٦ / ١٢٧.

(٣) د. محمود فهمى حجازى: مدخل إلى علم اللغة، ص ٤٨ .

٣- إذا ضمت الكلمة مقطعين طويلين، يكون النبر على أولـــهما؛ كما فى كلمة: "كاتب"، نجد مقطعين طويلين، أولـــهما مفتوح، والثانى مغلق، والنبر على المقطع الأول.

أمثلة من القرآن على الأخطاء فى النبر وأثره فى المعنى:

(١) قوله تعالى:

﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ﴾ القصص/٢٤ ، إذا قرئت كلمة "فسقى" بنبـــر الفـــاء، يكـــون الفعـــل مشتقًّـــا من " الفسق " لا من " الســـقى ".

(٢) كذلك قوله تعالى:

﴿ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْۖ ﴾ الحديد /١٦ ، إذا قرئت كلمة "فقست" بدون نبر الفاء صار الفعل مشتقـــًا من "الفقس"، لا من "القسوة" .

(٣) وكذلك قوله تعالى:

﴿ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴾ الزلزلة/٤ .

إذا تحول النبر عن اللام فى "لـــها"، يجعل الكلمتين: " أوحى ، لـــهـــا " كلمة واحدة: " أوحالـــها "، بمعنى "الوحل"، وهذا نـــهاية فساد المعنى.

(٤) وكذلك قوله تعالى:

﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ ﴾ البينة/٨ .

إذا تحول النبر عن الراء فى "رضوا" يصبح الفعل مشتقـــًا من " وَرَضَ "، وليس من " رَضِـــيَ "، وهذا فساد فى المعنى أيضـــًا.

وهناك نبر يختص بفصاحة التلاوة ولا يترتب عليه معنى، مثل: " وما هم ، ولا هم"، فتحول النبر عن الــهاء فى "هم"، يجعل الكلمتين كلمة واحدة فى النطق، وهذا عيب فى فصاحة الأداء.

التنغــيم

يطلق على ارتفاع الصوت وانخفاضه وتلونه بوجوه مختلفة أثناء النطق على مستوى الجملة، وذلك للدلالة على معان مقصودة، مثل: الاستفهام، والطلب، والأمر، والغضب، والرضا، والفرح، والدهشة، والتعجب، واللهفة، والشوق ... إلخ.

ويشير المعاصرون إلى أن القدماء لم يهتموا بظاهرة "التنغيم الصوتى"، ولعل الذى دفع اللغويين المعاصرين لــهذا القول هو عدم تقعيد اللغويين القدماء لظاهرة التنغيم، وإلا فنحن أمام تأمُّلين لأمرين فى غاية الأهمية:

(١) الحديث الوارد عن أبى موسى الأشعرى- رضى الله عنه- عندما علم هذا الصحابى أن رسول الله ﷺ كان يسمعه عند تلاوته للقرآن، فقال: لو كنت أعلم أنك تسمعنى يا رسول الله ﷺ لحبرته لك تحبيرًا [(١)] ؛ والتحبير لون من التجويد والتحسين والتزيين، والتنغيم وسيلة من وسائل ذلك، وقوله ﷺ : "اقرءوا القرآن بِلُحُون العرب"[(٢)].

(٢) المقامات الخاصة بالأداء الفنى عند العرب فى القراءة والغناء من: البياتى، النهاونــد، الصَّــبا، الحجاز، الرَّصــد... إلخ، ولكل مقام طرق عديدة ووجوه متباينة، ألا ينتهى كل ذلك إلى التنغيم؟ إذن فقد عرفت العرب التنغيم، لكنها لم تُقَــعِّد له، واعتمد فيه على السماع.

---

(١) أبو نعيم الأصبهانى: حلية الأولياء- ترجمة أبى موسى الأشعرى: ١/٢٥٨.

(٢) الطبرانى: المعجم الأوسط، برقم (٧٢١٩)، البيهقى: شعب الإيمان، برقم (٢٦٤٩).

ما يســـتفاد من التنغيم هو أن يراعى المتحدث المعانى- التى يتحدث عنها، فما يحتاج إلى الفرح والسرور لا يستوى فى الأداء الصوتى مع ما يقتضى الحزن والأسى، وما يحتاج القوة والشدة لا يستوى فى الأداء مع ما يقتضى الرحمة والعطف، وما يعبر عن الاستفهام لا يستوى مع ما يعبر عن الإخبار والتقرير... وهـــكذا.

الوقـــف

تمهـــيد:

ثمـــة فرق بين اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة فيما يخص الأداء، فعلى مستوى اللغة المكتوبـــة ليس هنالك من ضـــرر إذا طالـــت الجملة وتباعدت الفواصـــل (علامات الترقيم) بين الكلام، وذلك لأن وسيلة إنجاز المكتوب هى اليـــد ووسيلة إدراكه والتعامل معه هى العين، ولا يصيب اليد ولا العين إعياء ولا تعب إذا ما طالت الفواصل بين الكلام، فى حين أن الكلام المنطوق تتأثر فيه أطراف الموقف الكلامى بطول الجملة وقصرها.

فالمتحدث وطول نفَسه أو قصره يتأثر بطول الجملة، وأيضـــًا سَـــمْع المستمع يتأثر بطول الجملة، فالجمل الطويلة ترهق المستمع فى إدراك علاقات الكلام بعضه ببعض، وتصبح الدلالات غير واضحة فى بعض الأحيان.

ولما كانت اللغة المنطوقة تميل إلى تجزئة الكلام، لذلك كان باب الوقف أثناء الكلام من أهم قضايا الأداء الصوتى، واجتهد المهتمون بالكلمة المنطوقة لوضع ضوابط محددة ومعايير علمية للوقف.

يسعفنا فى هذا القرآن الكريم؛ فهو النص اللغوى القائم على التلقى والانتقال من جيل إلى جيل عن طريق الرواية الشفهية.

تعريف الوقف فى الكلام المنطوق:

الوقف فى اللغة: الكفُّ والســـكون، ومنـــه: دلالة توقف الصوت، بمعنى انقطاعه، ويمكن تعريف الوقف بأنه: سكتة عن الكلام يؤخذ معها نفس ومدتـــها فى الحديث العـــادى قـــدر ما يستغرقه النفَس الواحد (ثوان معدودة) وقد تطول

كما فى تجويد القرآن الكريم ترتيلاً، وقد تقصر أثناء الحديث العادى فى الوقف المعلق الشبيه بالسكتة اللطيفة فى تلاوة القرآن الكريم.

وعلى مستوى أعضاء النطق يعد الوقف فرصة للتزود بالـــهواء واستعداد أعضاء النطق لإنتاج الكلام من جديد، كما يأتى الوقف لتنســيق التتابع الصوتى.

وكما يوظف النبر والتنغيم لخدمة المعنى؛ فكذلك الوقف يوظف لخدمة المعنى بوجوه مختلفة.

أهــم أنــــواع الوقف:

وفى إطار التلاوة القرآنية؛ قسَّـــم العلماء الوقف إلى: لازم، وجائز، ومـــمنوع، وذلك باعتبار المعنى، ويمكن الرجوع لقواعده فى آخر المصحف.

وفى إطار الحديث المنثور يمكن تمييز الوقف إلى الأنواع التالية:

١- **الوقف التام**: ويكون عند تمام المعنى، ويأتى فى نـــهاية الجملة فى النثر العادى، وعند آخر البيت فى الشعر (القافية)[1]، ويقع على رؤوس الآى فى القرآن الكريم غالبـــاً، وضابطه فى علامات الترقيم النقطة.

٢- **الوقف المعلق**: وهو أشبه بالسكتة اللطيفة فى القرآن الكريم، إلا أنه يختلس نفســاً قصيرًا هنا فى الوقف المعلق، مع نبر الكلمة التى بعد الوقف لإعطائها بروزًا صوتيــاً لصالح المعنى. يحتاج إلى مهارة فى أدائه كى يتحقق الــهدف منه، وضابطه فى علامات الترقيم الفاصلة المنقوطة (؛).

---

(١) فى بعـــض القوافى قد لا يتم المعنى فى نهاية البيت بل يكون تمام المعنى فى البيت التالى، وهذا هو الذى يسميه العروضيون التضمين، وهو من عيوب القافية. انظر: الخطيب التبريزى: الكافى فى علمى العروض والقوافى، ص ١٦٦.

٣- **الوقف التفسيرى:** ويطلق عليه "وقف القاعدة"، لارتباطه بقواعد اللغة العربية، وأكثره شيوعـــًا الذى يأتى بعد الحالات التالية:

- بعد القول: قال أحمد: الله أكبر.
- بعد النداء: يا محمـــد، اتق الله.
- بعد القسم : والله، لأستسهلن الصعب لإدراك النجاح.
- بعد الشرط: قال بشار بن بُرْد(١):

إذا كنت فى كل الأمور معاتبـــًا صَديقَكَ، لم تَلْقَ الذى لا تعاتبه

- بعد أحرف الجواب: لا، أجل، نعم، بلى.
- لبيان العدد والنوع: مثل: أولاً: ....
- أنواع المعارف: الضمير، العلم ...إلخ.

٤- **الوقف الفـــنى:** وهدفه إثارة السامع ولفت انتباهه، والتشويق ...، ونحو ذلك، ويحتاج إلى مهارة. ويصاحب هذا الوقف النبر والتنغيم، وتوظيفه لرعاية المعنى يحتاج إلى حسٍّ مرهف فى الأداء.

٥- **الوقف القبيح:** وهو الوقف الذى يؤدى إلى خلل فى المعنى، كمن يقف على كلمة الصلاة فى قوله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ ﴾

النساء/٤٣ .

---

(١) البيت فى: الأغانى، ١٩٧/٣، ط. دار الكتب العلمية.

ويشمل الوقف القبيح كل حالة لا يجوز الوقف فيها لشدة الارتباط بين الكلمات؛ كما فى الآتى:

١- لا يجوز الوقف بين الفعل والفاعل.

٢- لا يجوز الوقف بين (الفعل والفاعل) والمفعول به.

٣- لا يجوز الوقف بين المضاف والمضاف إليه.

٤- لا يجوز الوقف بين الصفة والموصوف.

٥- لا يجوز الوقف بين اسم الإشارة وبدلـــه.

٦- لا يجوز الوقف بين أداة الاستثناء والمستثنى.

٧- لا يجوز الوقف بين الأدوات التى تسبق الاسم، والاسم الواقع بعدها.

٨- لا يجوز الوقف بين الأدوات التى تسبق الفعل، والفعل الواقع بعدها.

الجانب التطبيقى فى الوقف:

كى يتحقق للمؤدى مهارة الوقف ينبغى ملاحظة التالى:

١- كن حذرًا من الوقوع فى الوقف القبيح، ولا حتى اضطرارًا بسبب ضيق النفَس، ويتأتى ذلك باللجوء فى التعبير إلى الجملة القصيرة التى لا تجهد النفَس، ولا توقعك فى اضطرار قطع الجملة؛ فيختل المعنى أو تأتى الكلمة الأخيرة مجهدة صوتيـــًا بسبب ضيق النفَس.

٢- اجتهد فى التدريب على الوقف باستخدام التنغيم والنبر بما يتناسب مع المعنى.

٣- أثناء التدريب على الوقف ينبغى التفرقة العملية فى الأداء الصوتى بين أنواع الوقف المختلفة: المعلق، التـــام، الفنى ... إلخ.

فـــن الأداء الصـــوتى

كثيرًا ما ننجـــذب إلى شخصيات محببة إلينا فى أدائهم الصوتى، فى محاضراتـــهم أو أحاديثهم خلال الإذاعة أو المحافل العامة، وتحيا الكلمة على ألسنتهم فيصل المضمون إلينا ونتأثر بـــهم كثيرًا، فى حين أن نفس الكلام قد يلقيه شخص آخر فتموت الكلمة على لسانه، فلا نتأثر به، ولذلك أسباب وعوامل بعضها سيكولوجى (نفسى) وبعضها عضوى .. وغير ذلك.

لكننا هنا نتعرض لنوع معين من تلك الأسباب والعوامل، وهى العوامل اللغوية وإليك أهم هذه الأسباب وراء حياة الكلمة أو موتـــها على لسان المتكلم:

(١) الوضـــوح، ويشمل:

أ- النطق الواضح بالنسبة للحرف: ويقصد به خروج كل حرف من مخرجه وهنا ينبغى الحذر من الخلط بين الثنائيات فى الحروف العربية:

ت	ط	(رَبَتَ ـــ رَبَطَ)
ث	س	(ثم ـــ سم)
د	ض	(بعد ـــ بعض)
ذ	ز	(ذَلَّ ـــ زَلَّ)
ق	ك	(قدر ـــ كدر)

ب- النطق الواضح بالنسبة للكلمة: فتنطق الكلمة كاملة بكل أجزائها، فلا يأتى الحرف الأخير ضعيفـًا أو يغيب بالمرة عن الوضوح الصوتى؛ فيخرج الكلام ناقصـًا أو مبهمـًا.

(٢) سرعة النطق:

فالسرعة الزائدة ترهق المستمع فى المتابعة للمتحدث، وقد ينصرف المستمع بالمرة عن المتحدث؛ لعجزه عن الملاحقة والمتابعة، وتظهر هذه الصورة حين يتكلم المتكلم كلامـًا محفوظـًا كأنه يقرؤه من كتاب، فالتمهُّل مطلوب، لكن دون أن يصل إلى البطء المملّ.

(٣) ارتفاع الصوت:

ارتفاع الصوت لدرجة تتجاوز حدود إسماع المتلقى المقصودَ، يُعدُّ عيبـًا خطيرًا يشوش على المستمع وعلى فهمه واستقباله لـهذا الكلام، حتى عدَّه البعضُ لونـًا من العدوان على الفكرة والمعنى، وعدَّهُ بعض آخر لونـًا من العجز عن الأدلة والبراهين، كما عدَّهُ بعض ثالث تعبيرًا عن عدم الثقة بالنفس، وينبغى أن نفرِّق بين ارتفاع الصوت والصياح، وبين حرارة النطق لتخرج الكلمة محملة بالمشـاعر.

(٤) سـلاسـة اللفظ ووضوحـه:

قد يصادف المتحدث ألفاظـًا غير مألوفة صعبة النطق، وللمتحدث طريقتان فى التعامل معها:

الأولى: استبدالـها بكلمات سهلة مألوفة للمستمع، وهذا سلوك سلكه واصل بن عطاء فى خطبته المشهورة "منـزوعة الراء"، حيث كان لا يستطيع نطق الراء

نطقـاً سليمـاً، فقد كان ينطقها غينـاً، فاستطاع بمهارته أن يخلص منها كلامه[1].

---

(١) خطب يومـاً عند عبد الله بن عمر بن عبد العزيز والى العراق سنة ١٢٦هـ : شبيبُ بن شيبة، وخالد بن صفوان، والفضل بن عيسى، ثم تلاهم واصل، فارتجل هذه الخطبة وعراها من حرف الراء، وهذا نصها: "الحمد لله القديم بلا غاية، والباقى بلا نـهاية، الذى علا فى دُنوّه، ودنا فى عُلُوِّه، فلا يحويه زمان، ولا يحيط به مكان، ولا يؤوده حفظ ما خلق و لم يخلقه على مثال سبق، بل أنشأه ابتداءً ، وعدّله اصطناعـاً، فأحسن كل شىء خلقه، وتمم مشيئته، وأوضح حكمته، فدل على ألوهيته، فسبحانه لا معقب لحكمه، ولا دافع لقضائه تواضع كل شىء لعظمته، وذلّ كل شىء لسلطانه، ووسِع كُلَّ شىء فضلُه، لا يعزُب عنه مثقال حبة، وهو السميع العليم. وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده، إلـهـاً تقدست أسماؤه وعظمت آلاؤه، وعلا عن صفات كل مخلوق، وتـنـزه عن شبه كل مصنوع، فلا تبلغه الأوهام، ولا تحيط به العقول ولا الأفهام، يُعصَى فيحلُم، ويُدعى فيسمع، ويقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن السيئات، ويعلم ماتفعلون. وأشهد شهادة حق، وقول صدق، بإخلاص نية وصحة طوية، أن محمدَ بن عبد الله عبده ونبيه، وخالصته وصفيه، ابتعثه إلى خلقه بالبينات والـهدى ودين الحق، فبلّغ مألُكتَـه، ونصح لأمته، وجاهد فى سبيل الله، لا تأخذه فى الحق لومة لائم، ولا يصده عنه زعم زاعم، ماضياً على سنته، موفياً على قصده، حتى أتاه اليقين. فصلى الله على محمد، وعلى آل محمد أفضل وأزكى، وأتم وأنمى، وأجل وأعلى صلاة صلاها على صفوة أنبيائه، وخالصة ملائكته، وأضعاف ذلك، إنه حميد مجيد.

أوصيكم عباد الله مع نفسى بتقوى الله، والعمل بطاعته، والمجانبة لمعصيته، وأحضكم على ما يُدنيكم منه، ويُزلفكم لديه، فإن تقوى الله أفضل زاد، وأحسن عاقبة فى معاد، ولا تُلهيَنَّكم الحياة الدنيا بزينتها وخُدعها، وفواتن لذاتـها، وشهوات آمالـها، فإنـها متاع قليل، ومدة إلى حين، وكل شىء منها يزول. فكم عاينتم من أعاجيبها، وكم نصبت لكم من حبائلها، وأهلكت من جنح إليها، واعتمد عليها! أذاقتهم حلواً ومزجت لهم سُمَّـاً. أين الملوك الذين بنوا المدائن، وشيدوا المصانع، وأوثقوا الأبواب، وكاثفوا الحجّاب، وأعدوا الجياد، وملكوا البلاد، واستخدموا التِّـلاد؟! قبضتهم بـمخلبها، وطحنتهم بكلكلها، وعضَّتهم بأنيابـها، وعاضتهم من السعة

الثانية: التدريب الكافى على الكلمة الصعبة غير المألوفة، حتى تلين على اللسان مع وضعها فى سياق واضح يساعد فى فهمها واستنباط معناها، وهذا الأسلوب مناسب للكلمات الصعبة التى لا يمكن استبدالـــها، حيث الكلمة أساسية فى الموضوع.

(٥) الرتـــابة:

الرتابة لون من الجمود فى الأداء، بمعنى جريان الصوت على وتيرة واحدة وخلو الكلام من تنوع التنغيم *Intonation* بما يتناسب مع المعنى، فيكون بنغمة واحدة من أوله إلى آخره؛ مما يؤدى إلى المـــلل من جانب، ومن جانب آخر فالرتابة تدفع المستمع إلى السرحان والانصراف والغفلة عن المتحدث.

وفى الممارسة والتدريب على تنوع التنغيم، ما بين نغمات صاعدة وأخرى هابطة، وأخرى مستوية، بما يتناسب مع المعنى، يمكن للمتحدث أن يتخلص من داء الرتابة.

ضيقاً، ومن العز ذلاً، ومن الحياة فناء، فسكنوا اللحود وأكلهم الدود، وأصبحوا لا تُعاين إلا مساكنهم، ولا تجد إلا معالمهم، ولا تُحس منهم من أحد، ولا تسمع لـــهم نبسًـــا. فتزودوا عافاكم الله، فإن أفضل الزاد التقوى، واتقوا الله يا أولى الألباب لعلكم تفلحون. جعلنا الله وإياكم ممن ينتفع بمواعظه، ويعمل لحظّه وسعادته، وممن يستمع القول فيتبع أحسنه، أولئك الذين هداهم الله، وأولئك هم أولو الألباب. إن أحسن قصص المؤمنين، وأبلغ مواعظ المتقين: كتاب الله، الزكية آياته، الواضحة بيناته، فإذا تلى عليكم فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم تـــهتدون. أعوذ بالله القوى، من الشيطان الغوى، إن الله هو السميع العليم. بسم الله الفتاح المنـــان. قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. ثم قال: نفعنا الله وإياكم بالكتاب الحكيم، والوحى المبين، وأعاذنا وإياكم من العذاب الأليم، وأدخلنا وإياكم جنات النعيم". (نوادر المخطوطات، المجموعة الأولى، بتحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الحلبى، ط ٢، ١٩٧٢، ص ١٣٤ـــ ١٣٥).

(٦) البعد عن التكلف فى الأداء:

احذر الوقوع فى فخ الصوت المستعار، فلا تحاول أن تتكلف صوتـــًا غير صوتك، بل حاول أن تتقن الأداء اللغوى، بإمكانات صوتك الطبيعى دون تكلف لأن التكلف فى الأعم الأغلب يكون مرهقًــا لك وغير مقبول لدى المستمع وتكون عالة على غيرك فى الأداء، فى حين أن الانسيابية فى نطق اللفظ تريح الآذان وتجذب المستمع إليك، فكن على طبيعتك، فكل إنسان له مدى وطاقة صوتية ينبغى أن يكون الإلقاء فى إطارهمـــا، والتدريبات الخاصة بجمال الصوت وروعة الأداء السابق بيانـــها كفيلة بالتخلص من التعسف أو التكلف فى الإلقاء، وتحقيق انسيابية الأداء وسلاسته.

(٧) حسن الوقف والوصل:

فإدراك وفهم أنواع الوقف السابق بيانـــها والتدريب عليها عامل أساس فى جودة الأداء وصحة المعنى، مع الحذر من الوقف القبيح الذى يفسد المعنى.

(٨) رعاية قواعد العربية:

ويقوم علم النحو بـــهذه المهمة، والتدريب عليه له سبل مهمة:

الأول: قراءة نصوص مضبوطة مثل القرآن والحديث.

الثانى: سماع من لـــهم مهارة الحديث بالعربية الفصحى، مثـــل فـــاروق شوشة، د. عبد الصبور شاهين، د. محمد الطناحى ... وغيرهم.

الثالث: إعداد الكلام قبل إلقائه.

أيضــًا على مستوى الكلمة تراعى القواعد الصرفية لبناء الكَلمات فى العربية.

عيوب استخدام الصوت

وهى عيوب ناشئة عن الاستخدام الخاطئ للصوت وليست ناتجة عن خطأ فى النطق من حيث المخرج.

(١) **الصوت الضعيف أو الخافت:** فلا يصل صوت المتحدث إلا إلى مدى قصير جدًّا، ويحتاج من السامعين شدة الإنصات والانتباه والتتبع لالتقاط كلامه الذى قد يتناثر فى الـــهواء ويتشتت قبل الوصول إلى الأذن واضحـــًا ومحددًا، ولابد من التدريب لتلافى هذا العيب الخطير.

(٢) **الصوت القوى (الجهورى):** وهو الصوت الذى له وقع شديد على الأذن، لدرجة تجعل المستمع يتأذى من شدته، وقد يتسبب ارتفاع الصوت فى حدوث حشرجة عند المتحدث فلا يفهم كلامه.

(٣) **الصوت المرتعش:** وينشأ هذا العيب عند تقليد صوت آخر، إمكاناته الفنية أعلى وطاقاته التعبيرية أكبـــر، حيث إن إجهاد الصوت يحمله على طبقات لا تلائمه سواء أكانت مرتفعة أم منخفضة.

وفى إطار الأداء الفنى فى مجال التلاوة أو الغناء أو التمثيل، هناك تصنيفات لعيوب الصوت بصوزة مفصلة يرجع إليها فى مراجعها.

عيـــوب النطـــق

تصادف المتحدث بعض العقبات التى ينشأ عنها نطق معيب مشوَّه، وقد توفر العلماء لدراسة هذه العقبات من خلال اتجاهين:

الأول: اتجاه طـــبى:

يهتم أهل هذا العلم بعيوب النطق التى ترجع إلى أسباب عضوية، بسبب وجود علـــة فى الجهـــاز الكلامى أو السمعى أو مركز الكلام فى المخ، أو أســـباب نفسية ...إلخ، وأهل الذكر فى هذا العلم هم الأطباء [1].

الثانى: اتجاه لغـــوى:

ويهتم أهل هذا العلم بعيوب النطق والكلام التى تعود إلى أسباب غير عضوية حيث تنشأ هذه العيوب بسبب عوامل خارجية مثل: العادة الخاطئة، والبيئة اللغوية اللصيقة بالمتحدث، ونقص التعليم فى الصغر، مع غياب المعلم القدوة فى النطق الصحيح... إلخ.

ويتركز جهد اللغويين فى السعى الجاد للوقوف على أسباب ودوافع كل عيب فى النطق، مع بيان أفضل السبل التى تمكننا من التغلب على هذا العيب من خلال الممارسة والتدريب بسبل شتى.

وقد أسهم القدماء بحظ وافر فى هذا العلم، فوضعوا تحديدًا لعيوب النطق، كما أشاروا فى مواضع كثيرة إلى سبل العلاج.

وفيما يلى بيان لأهم هذه العيوب:

---

(١) راجع: مصطفى فهمى: أمراض الكلام، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٧٧، ص ٢٣.

١- **الخمخمة (الخنف)**: والحديث هنا عن الخمخمة الناشئة عن التعلم من شخص أخنف والتقليد له تأثرًا به، ويطلق العرب على المصاب بـــها: الأخنّ؛ لأنه لا يبين الكلام فيخنخن فى خياشيمه[1] .

٢- **الثأثأة**: ويقصد بـــها صعوبة نطق حرف السين، حيث تخرج السين ثاء، أو شينـــًا، أو دالاً. ومنها ما يعـــود إلى أسباب عضوية، مثل خـــلل انتظام الأســـنان، فعلاجهـــا طـــبى.

٣- **اللجلجة**: أسبابـــها معقدة ومتشابكة، وهى ثقل فى اللسان، ونقص فى الكلام، حيث يخرج الكلام متقطعًـــا بلا تتابع، وعلاجها طبى (نفسى) ولغوى بالتدريب.

٤- **الفأفأة**: وهى التردد فى نطق الفاء إذا تكلّم، كما وصفها المبرد، ولـــها وجوه أخرى يجمعها كلها صعوبة نطق الفاء بسبب تردد الشفة السفلى فى الالتقاء بالأسنان العليا[2] ، وبالتمرين المتوالى على معلم حاذق يزول عيب الفأفـــأة.

٥- **التمتـــمة**: عيب فى نطق التاء ناشئ عن صعوبة التقاء اللسان باللثة العليا، وللتمرين المتوالى جانب كبير فى الشفاء منهـــا؛ إلا إن كان السبب طبيـــًا بســـبب ثقل اللسان أو نحو ذلك، فالعـــلاج عند الطبيب.

٦- **الرتلة**: عيب فى نطق حرف الراء، بسبب عدم تمكن اللسان من الالتقاء باللثة العليا التقاءً كاملاً.

---

(١) أبو الحسن على بن سيده: المخصص: ١٢٢/٢.

(٢) مصطفى فهمى: أمراض الكلام: ٢/ ٣٣١.

ولـــهـــذا العيب وجـــوه:

- فالراء قد تتحول صفتها إلى صوت آخر هو اللام، وأحيانـــًا الياء أو الغين، وهذه الصورة تمثـــل أخطر عيب نطق الراء.
- أو تلزم الراء وجهـــًا واحدًا فى كل السياقات الصوتية، والغالب هنـــا هو التفخـــيم، فلا يستطيع المتكلم أن يرققها فى مواضع الترقـــيق فتخرج مفخمة، فتعيب النطق.
- أو تنطق الراء بتوالى وتكرار ضربات اللسان، فيخرج فى النطق ما يشـــبه الراء المتكـــررة (ررر ررر)، وهو عيب ناشئ عن خطأ العادة والتعليم الخاطئ، وللمران على يد معلم حاذق جانب كبير ومهم فى التخلص من عيوب نطق الراء بوجوهها المختلفة.

٧- **الحبسة:** ويعرفها المبرد بقوله: "الحبسة تعذر الكلام عند إرادته"[١]، ووصفها الجاحظ بأنـــها ثقل فى اللسان يمنعه من البيان، قال: "فى لسانه حبسة، إذا كان فى لسانه ثقل يمنعه من البيان"[٢].

ثم بيَّن الجاحظ أن للحبسة وجهـــين:

الأول: شديدة؛ فيطول الصمت، ويتعثر الكلام، ويتحول إلى مقاطع تكاد لا تُفهم.

الثانى: بسيطة؛ وفيها يلتوى اللسان بعض الالتواء عند إرادة الكلام[٣].

الأداء الصوتى وصحة القواعد:

مهارة الأداء عند المتحدث تكتمل برعايته قواعد الصحة اللغوية على مستوى الصرف والنحو والدلالة.

---

(١) المبرد: الكامل: ٢/ ١٢٠ .

(٢) الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم:ص ٢٢١.

(٣) الجاحظ: الحيوان، تحقيق: عبدالسلام هارون: ص ٢١.

التدريب العملى

و

رياضـــة اللســـان

رياضـــة اللســـــان

إن اكتساب المهارة فى الإلقاء لا تكفى فيه المعرفة النظرية؛ بل لابد من التطبيق العملى، وفى هذا المعنى يقول الإمام ابن الجزرى فيما يخص حسن تلاوة القرآن الكريم:

وليس بينه وبين تَــرْكِهِ   إلاّ رياضةُ امرئٍ بفكّــهِ[1]

ونجاح عملية التدريب على صحة النطق ومهارة الأداء يتوقف على عناصر ثلاثة:

١- وجود معلم أُسوة فى صحة النطق، وقدوة فى مهارة الأداء.

٢- حسن الاستماع من الطالب.

٣- المحاولة الجادة للتأسى بالمعلم فى نطقه، مع مواصلة التدريب.

ويمكن إجمال خطوات التدريب العملى فى المراحل التالية:

١- مرحلة التدريب على صحة النطق:

أ- التمرن على إبراز الأصوات: بعد استيعاب ما تقدم من مخارج الحروف وصفاتها، على الطالب أن يتمرن على إبراز أصوات الحروف، وكيفية التمرين: أن ينطق بصوت كل حرف مراعيــاً مخرجه وصفته على صورة ساكنة، أي يضع عليه علامة السكون مستعينــاً بالـــهمزة، فيقول:

(أبْ ــ أتْ ــ أفْ ــ أنْ) .... وهكـــذا.

أما حروف المد (الحركات الطويلة) فيقول: (آآ ... ى ى .... وو)

---

(١) ابن الجزرى: متن الجزرية، ص١٦.طبعة خاصة بالمعاهد الأزهريةــ القاهرة، ١٩٧٧.

أما حرفى اللين (و ، ى) ، فيقول: (أو ، أى).

وينبغى أثناء التمرين أن نضغط على مخرج الحرف ضغطـًا شديدًا يتيح لنا إتقان نطق صوت الحرف مع التمكن منه، وبالتكرار نتعود على النطق الصحيح لكل صوت من أصوات حروف العربية.

ب ـ **التمرن على الحركات:** بعد نطق صوت كل حرف ساكنـًا؛ عليك بالتدرب على نطق صوت كل حـرف من الحركات الثلاث: الفتحـة والكسرة والضمـة (بَ ، بِ، بُ) .. وهكـذا.

ج ـ **التمرن على الكلمات:** وبعد التأكد من إتقان نطق صوت كل حرف نطقـًا صحيحـًا متمكنـًا يأتى الدور على نطق الكلمات، حيث تظهر مشكلة وقوع حرف مرقق بين مفخمين مثلاً أو العكس، والتجاور بين مفخم ومرقق يحتاج إلى تدريب متكرر لتخليص صوت كل حرف من الآخر، وفى هذه الخطوة نـهتم بنطق الكلمة ككتلة صوتية كاملة نطقـًا صحيحـًا، مع التأنى والتؤدة، ثم يصبح النطق الصحيح للكلمات بعد ذلك عادة عندنا.

ولإنجاز هذا التدريب نختار مجموعة من الكلمات التى يتجاور فيها المفخم والمرقق، كما فى الكلمات التالية:

حصحص الحق: فالحاء مرققة، والصاد والقاف مفخمتان.

خـتم: فالخاء مفخمة، والباقى مرقق.

شـيطان: الشين والياء مرققتان والطاء مفخمة والنون مرققة.

استطعتم: فالطاء مفخمة، وبقية حروفها مرققة.

طالوت: فالطاء مفخمة، وبقية الحروف مرققة.

استبق: فالقاف مفخمة، وبقية حروفها مرقفة.

تواصوا: فالصاد مفخمة، وبقية حروفها مرقفة.

مستطيرًا: فالطاء والراء مفخمتان، وبقية حروفها مرقفة.

ظلمات بعضها فوق بعض : فكل كلمة فيها حرف تفخيم وبقية حروفها مرقفة، وتوالى النطق الصحيح بكل صوت من أصوات هذه الجملة يعين على التفرقة الواضحة بين الصفات المختلفة للحروف.

أيضـــًا ينبغى ملاحظة أصوات الحروف التى لـــها درجات التفخيم المختلفة، مثل الخاء، ونطق كل درجة منها فى سياقها الصوتى نطقـــًا صحيحـــًا.

أيضـــًا أصوات الحروف التى لـــها حالات تفخيم وحالات ترقيق على حسب سياقها الصوتى؛ وهما: الراء واللام.

ينبغى التدريب على ذلك جيـــدًا كما فى :

رَب × رِيم.

الله × لِلـــه .

وهكذا. ولنجاح التدريب الصوتى على مستوى الكلمة ينبغى أن تقسم الكلمة إلى مقاطع صوتية والتدريب عليها، ثم ضم مقاطع الكلمة ونطقها مرة واحدة هكذا:

فَـــ | سَـــ | يَـــ | كْـــ | فِـــ | يـــ | كَـــ | هُمُ | الله

د ـ التخلص من التعسف والتكلف فى القراءة:

ما من شك أن المرحلة الأولى من التدريب العملى على إتقان النطق الصحيح لصوت كل حرف يكون فيها شيء من المبالغة، ويُسمح بـــهذه المبالغة فى البداية لكن استمرارها يجعل الأداء معيـــبـــًا، لما فيه من التعسف والتكلف فى النطق وأنجح الطرق للتخلص من التعسف والتكلف هو التكرار.

وما أود أن أشير إليه هنا؛ هو أن فى هذه المرحلة ينبغى أن يتوفر كل الاهتمام والتركيز على الوضوح والصحة عند نطق كل صوت من أصوات حروف العربية، أما جانب الجمال والسلاسة فله تدريب آخر سيأتى دوره لاحقـــًا إن شاء الله تعالى.

٢- كيف تُخرج الهواء كلامـــًا؟

هذه مسألة مهمـــة، بالرغم من أن البعض يراها خارجة عن موضوعنا اللغوى، لكنها من الضرورة بمكان؛ إذ بدونـــها لايتأتى للإنسان أن يصل إلى إتقان ما بعدها من خطوات على طريق صحة النطق وجمال الأداء.

معلوم أن الـــهواء أساس فى إنتاج الأصوات اللغوية، ومن هنا كانت ضرورة توفير كمية من الـــهواء فى جوف الإنسان عن طريق التنفس، كى نستطيع التحكم فى نطقنا وتقطيع الجمل التى نتكلمها حسب قواعد اللغة.

والتنفس عمليتان:

- شـــهيق: باســـتجلاب الـــهواء من خارج الرئتين.
- زفيـــر: بإخراج الـــهواء مع الكلام.

وكى نتمكن من فنية إخراج هواء الزفير كلامـــًا، ينبغى التدريب على تخزين هواء الشهيق فى مكانه الملائم، وهو "الخاصرتان"، وهما اللتان نتَّجـــه بالتدريب إلى

تقويتهما بالاتساع لتكونا قادرتين على استيعاب أكبر كمية من الــهواء، ثم نتدرب على كيفية إخراج هذه الكمية من الــهواء إخراجــًا حكيمــًا عند الكلام، وتمرينات التنفس[1] خير معين على قوة الأداء.

---

(١) تمرينات التنفس : عددها ستة، تؤدى واحداً واحداً بعد أن يكون الذى قبله قد استوفى أغراضه وتحققت نتيجته، وبما أن هذه التمرينات وضعت لتقوية مكان دقيق رقيق من الجسم فيجب مراعاة هذه الشروط عند أدائها:

١- أن تكون فى الــهواء الطلق، وأنسب الأوقات فى الصباح قبل الإفطار.

٢- يراعى ألا يكون هناك ضغط من ملابس أو أحزمة على الصدر والبطن.

٣- لا يجوز أن تكون المعدة ممتلئة بالطعام.

٤- الوقوف باعتدال غير مستند إلى شيء.

٥- يثبت النظر فى نقطة موازية لارتفاع القامة، حتى تكون الرقبة غير مائلة إلى الأمام أو الخلف.

٦- تكون الأعضاء مستريحة غير مشدودة، كشأن التمرينات الرياضية، وخصوصاً الأكتاف والرقبة واللسان.

٧- يكون الشهيق من الأنف، والزفير من الفم.

٨- لا تنتقل من تمرين إلى الذى يليه إلا بعد أن تشعر بالحصول على الفائدة المرجوة من التمرين.

٩- لا تجهد نفسك بتكرار التمرين أكثر من عدد المرات التى سنحددها.

١٠- لا تُحدث صوتاً فى عملية الشهيق.

١١- لا يجوز أن يتغير وضع الأكتاف أو الصدر أو البطن، وذلك بمراعاة دفع هواء الشهيق إلى الخاصرتين فقط.

=التمرين الأول: الشهيق البطيء:

لا يتكرر أكثر من ست مرات متوالية، وثلاث دفعات فى اليوم: قف كما أوضحت لك فى الشروط السابقة. أغلق الفم، تنفس من الأنف ببطء شديد وهدوء تام حتى تشعر بامتلاء الخاصرتين إلى القدر الذى تستطيعه.

أبق الـــهواء مخزنا فى الداخل مدة توازى خمس ثوان، أو عِـــدّ حتى الرقم عشرة فى سرك بسرعة متوسطة.

أخرج الـــهواء بعد ذلك دفعة واحدة من الفم، حاول كل يوم أن تزيد كمية الـــهواء المخزون، وأن تطيل مدة التخزين.

التمرين الثانى: مضاعفة الشهيق البطيء:

أربع مرات متوالية، ثلاث دفعات يومياً، قف حسب الشروط، نفذ التمرين الأول بتمامه، حتى تصل- بتخزين الـــهواء- إلى المدة التى تكون قد وصلت إليها من تكرار التمرين الأول. بدلاً من إخراج الـــهواء بعد مدة التخزين، تنفس كمية إضافية، حاول كل يوم أن تزيد الكمية الإضافية.

التمرين الثالث: الشهيق السريع:

ست مرات ثلاث دفعات يومياً، قف حسب الشروط السابقة، تنفس بسرعة، واحذر من إحداث صوت من الأنف، استبقِ الـــهواء مخزوناً إلى أكبر مدة ممكنة، أخرج الـــهواء دفعة واحدة من الفم.

التمرين الرابع: مضاعفة الشهيق السريع:

قف حسب الشروط السابقة، اعمل التمرين الثالث بالسرعة التى تكون قد وصلت إليها بمزاولة التمرين الثالث بعد انتهاء مدة تخزين الـــهواء، تنفس كمية إضافية سريعة حاول كل يوم أن تزيد كمية الشهيق الإضافية وسرعته.

التمرين الخامس: الشهيق والفم مفتوح:

أعد عمل التمارين الأربعة السابقة والفم مفتوح، واللسان ضاغط بوسطه على سقف الفم ليعـــينك على منع تسرب الـــهواء من الفم. أعد ثانياً التماريـــن الأربعة واللســـان غير ضاغط بل مستريح فى وســـط الفم، مع الاجتهاد فى منع تسرب الـــهواء من الفم، وهى -

٣- تدريب الصوت على جمال الأداء:

ينبغى على كل إنسان أن يكتشف صوته، لمعرفة نواحى جماله ونقاط ضعفه ومراكز قوته، فلكل صوت مدى وطاقة وطبقة، واستخدام الصوت فى إطار طبقته وطاقته يكسبه جمالاً، وكل الأصوات جميلة بالتدريب.

ولكى تتحقق الصورة الكاملة للتدريب والنتيجة المرجوة منه، يؤخذ فى الاعتبار ثلاثة عناصر(١):

أ - أن يظل الصوت مريحـًا للمتكلم بلا إجهاد ولا ضيق.

ب- أن يظل الصوت مريحـًا للمستمع فلا يكون حـادًّا شديد الوقع على الأذن، ولا يكون خافتـًا لايصل إليها.

- عملية صعبة ولكنها تسهل بالمران الطويل وقوة الإرادة. والغرض المطلوب أن تستطيع التنفس بسرعة أثناء الكلام دون الحاجة إلى إغلاق الفم، عدد المرات فى هذا التمرين خاضع لاستعدادك وراحتك، فمتى شعرت بالتعب فاقطع التمرين واسترح، ثم عاود.

التمّرين السادس: الزفـير البطيء:

ستّ مرات ثلاث دَفعات يوميـًا، قم بعملية الشهيق السريع بعد أن تكون قد استوفيت التمرينات السابقة بكل شروطها الموضحة، اختزن الـهواء إلى أكبر مدة وصلت إليها أخرج الـهواء من الفم ببطء وقد مددت شفتيك إلى الأمام كأنك تصفر، حاذر من انتفاخ الأوداج (جانبى الوجه) أو ارتعاش الـهواء.

ملاحظة: تستغرق هذه التمرينات مدة لا تقل عن ستة أشهر، باعتبار شهر كامل لكل تمرين.

(عبد الوارث عسر: فن الإلقاء: ص ٩٣ : ٩٦).

(١) فرحان بلبل: أصول الإلقـاء: ص ٢٧.

ج- أن يحافظ الصوت على طبيعته فلا يخرج إلى الصوت المستعار، وذلك فى كل الدرجات والطبقات المرتفعة.

وأول خطوة لتحقيق التنفس الصحيح وصحة النطق هى إطلاق الـــهواء عبر الحنجرة بارتياح وامتلاء، وتسمى هذه العملية بـــ (الـــهدير بالصوت)، ويتم هذا الـــهدير بإطلاق حرف المد (آ آ آ) من عمق الرئتين الممتلئتين بالـــهواء خلال مسار الصوت حتى الفم.

٤- كيف تصعـــد بصوتك؟

يبدأ الـــهدير هادئـــاً، ثم يعلو بتدرج دون قفز مفاجىء حتى يصل إلى درجة الارتفاع المطلوبة، ويضع الإنسان أثناء هذا التمرين راحة يده على صدره بين الثديين، ثم يجهر بصوته (آ آ آ آ آ ....) ليشعر بالاهتزاز مع الـــهدير، وبمقدار مايكون الـــهدير صحيحـــاً يحس الإنسان بالراحة، فى حين ينتابه التعب والإجهاد حين يكون الـــهدير غير صحيح.

ويتنوع هدير الصوت (آ آ آ آ آ....) بنغمات الحزن، أو الفرح والسرور، أو القوة والجدية .. إلخ.

وتدريب هدير الصوت يمنح صوت الإنسان القوة وحسن الاستخدام للفراغ الرئيسى، ويجعل الحنجرة تقدم كامل قدرتـــها، كما أنـــها تنقى مسالك الصوت[1].

---

(١) فرحان بلبل: أصول الإلقـــاء: ص ٢٩.

الفصل السادس

صرف العربية ونحوها

(١) الصـــرف *Morphology*

يتناول البحـــث اللغوى فى هذا المستوى الكلمة خارج التركيب، ويهتم علم الصرف بدراسة بنية الكلمة من الجوانب التالية:

١- اشتقاق صور مختلفة من جذر واحد، مثل:

(ك ت ب) كتب، كاتب، مكتوب، كتابة، مكتب، مكتبة ..إلخ.

٢- ما يطرأ على الكلمة من تغيرات (نقص أو زيادة):

أ- **تغيرات الزيادة:** ما يلحق الكلمة من إضافات (سوابق *Prefixes*، أو لواحق *Suffixes*، أو دواخل *Infixes*) تؤدى إلى تغير فى المعنى، وهنا يتم التمييز بين الحروف الأصلية والحروف الزائدة، فالسوابق مثل حروف المضارعة فى اللغة العربية والمجموعة فى كلمة (أنيت)، واللواحق مثل: علامة التثنية (عالمين، عالمان) والجمع (عالمون، عالمين) والدواخل مثل: ألف التكسير (رجال)، وتاء الافتعال فى (التزام).

ب- **تغيرات النقص**: ويمكن ملاحظتها فى الإعلال؛ ويكون بحذف حرف من الكلمة، وهو نوعان:

١) حذف سماعى: ويقتصر على كلمات حذفت لامها، وهو منقول عن العرب، وليس له قاعدة، ومن أمثلته: (أبٌ ـــ أخٌ ـــ فمٌ ـــ يدٌ ـــ دمٌ) والأصل الافتراضى لهذه الكلمات: (أبو ـــ أخو ـــ فمو ـــ يدى ـــ دمى).

٢) حذف قياسى: كحذف همزة (أفعلَ) من المضارع، نحو:

أكْرَم ⟵ يُؤكرِم ⟵ يُكْرِم.

ومنه حذف الواو من مضارع الأفعال المبدوءة بها، مثل:

وَعَـــدَ ← يَوْعِـــد ← يَعِـــد

ومنه حذف ياء الاسم المنقوص، نحو:

قاضيُ ← قاضٍ

أشـــكال المادة ووزنها

مادة الكلمة التى هى حروفها الأصلية لا تكون فى العربية أقل من ثلاثة أحرف ولا أكثر من خمسة.

ـــ قرر الصرفيون أن المادة التى ينبنى منها الاسم أو الفعل قد تكون ثلاثية أو رباعية أو خماسية.

ـــ ولما كانت أكثر أحوال المادة فى الأسماء والأفعال ثلاثية؛ فقد اصطلح على وضع ميزان لها تقابل أصواته أصواتها، واختيرت كلمة (فعل) وفى الرباعى تزاد لام وفى الأصل الخماسى تزاد لام ثالثة لتقابل خامس الأصول.

ـــ ما يحدث فى الموزون يحدث مثله فى الميزان سواء أكان زيادة أو نقصًا..

ـــ وإذا حدث قلب فى الموزون حدث كذلك فى الميزان.

ـــ توزن الكلمة على ماهى عليه فعلاً، لا على ما كانت عليه أصلاً.

الوزن الصوتى والوزن الإيقاعى

الصوتى: وهو مقابلة الصوامت بالصوامت ومقابلة الحركات بالحركات.

الإيقاعى: وهو مرتبط بنوع المقطع وتوزيعه داخل الصيغة الموزونة. ولذلك لاينظر فيه إلى المحاذاة اللازمة فى الوزن الصوتى، بل إلى محاذاة المقطع القصير بقصير مثله، والطويل المقفل بمثيله، دون النظر إلى عناصر المقطع الواحد من الأصول أو الزوائد.

ومن الطبيعى أن تشترك عدة أوزان صوتية فى إيقاع واحد يضمها فى مجموعة واحدة، ومن الأمثلة على ذلك صيغ التصغير فهى للثلاثى المزيد بحرف أو الرباعى على وزن (فعيعل) فإذا أردنا وزن المصغر من كلمة : أحمد ، (أفعل). قلنا: أحيمد بوزن : (فعيعل)، وهو وزن إيقاعى لاينظر إلى نسق الأصوات، بل إلى نظام المقاطع، وكذلك مسجد: (مفعل) تصغر على مسيجد: (فعيعل)، وليس : (مفيعل).

ومثلاً: وزن (مفاعل) الإيقاعى له صيغ كثيرة تنضوى تحت هذا الإيقاع مثل:

فعالل ــ فواعل ــ فعائل ــ فعاول ــ فياعل ــ فعالى.

الكلمة بين القدماء وعلم اللغة الحديث:

رغم أن موضوع علم الصرف هو الكلمة، فإن القدماء لم يضعوا تعريفًا جامعًا مانعًا لها، بل اعتبروها من الأمور الواضحة التى لا تحتاج إلى تعريف.

ولعل أقوى الأسباب الدافعة إلى ذلك هو ربط القدماء بين النظام الصرفى والكتابة.

والمتأمل فى كتب النحو والصرف يراها تبدأ بتصنيف الكلمات إلى اسم وفعل وحرف، دون أن تضع تعريفًا للكلمة قبل هذه البداية، والحق أنه من الصعب أن نضع

تعريفًا جامعًا مانعًا لهـــا، ونتبين ذلك من خلال تأمل الاحتمالات التالية:

١- قد يرى بعض اللغويين تعريف الكلمة عن طريق الوصل والفصل فى الكتابة، ويعترض على هذا المنهج بالحروف الجارة والعاطفة.. ونحو ذلك.

٢- قد يرى بعض اللغويين أن يقوم تعريف الكلمة على أساس المعنى، ويُعترض على هذا المنهج بمشكلة تحديد المعنى المقصود:

- هل هو المعنى المعجمى؟
- أم هو المعنى الصرفى؟
- أم هو المعنى السياقى؟

٣- قد يرى بعض اللغويين تصنيف الكلمة إلى قسمين كبيرين، هما:

١) كلمات كاملة: ويقصد بها كل صيغة يمكن أن تستقل بنفسها فى السياقات المختلفة كالأسماء والأفعال والصفات.

٢) الأدوات: ويقصد بها كل وحدة صرفية لا يمكن أن تستعمل وحدها فى السياق، مثل حروف الجر وأدوات الاستفهام، لكن اعترض على هذا المنهج بأمور: أهمهـــا أن هذا التقسيم إن صح فى لغة فلا يصح فى لغة أخرى، ثم إن هناك فى العربية كثيرًا من أدوات الاستفهام تأتى وحدها مستقلة فى السياق، على نحو قولنا فى الحوار:

- كيف؟ - ماذا؟ - من؟ ...إلخ.

وهكذا يظهر لنا ــــ بوضوح ــــ صعوبة وضع تعريف جامع مانع للكلمة. ولهذا رأى العلماء التحول عن فكرة الكلمة فى التحليل اللغوى الصرفى، إلى فكرة الوحدة الصرفية (المورفيم *Morpheme*) قصدًا إلى الدقة والوضوح والموضوعية. والوحدة

الصرفية (*Morpheme*) قد تكون كلمة أو جزءًا من كلمة له قيمة دلالية على مستوى التركيب.

أنواع المورفيم:

يميز اللغويون بين ثلاثة أنواع من المورفيمات بحسب البنية والدلالة، على النحو التالى:

(أ) المورفيم الحر *Free Morpheme* :

ويتميز باستعماله كوحدة مستقلة فى اللغة مثل: عالم ، كتاب، قلم، عظيم.

(ب) المورفيم المقيد *Bound Morpheme*:

ويميزه أنه لا يمكن أن يستخدم منفردًا، بل لابد من اتصاله بمورفيم آخر (حر أو مقيد)؛ مثل:

(ا ت) لجمع المؤنث السالم: (مسلمات).

(ين ، ون) لجمع المذكر السالم: (مسلمين، مسلمون).

(ـــة) للدلالة على التأنيث: (مسلمة).

(ج) المورفيم السالب *Zero Mopheme*:

وهو مورفيم لايوجد فى الكلام المنطوق أو المكتوب، وإنما يكون مستترًا أو مقدرًا أو محذوفًا لعلة لغوية.

ومثاله: الضمائر المستترة وحركات الإعراب المقدرة .

وظائف المورفيم:

صنف اللغويون وظائف المورفيمات فى اللغة العربية إلى قسمين رئيسيين[1]، هما:

١- الوظائف الصرفية.

---

(١) انظر: د. حلمى خليل، مقدمة لدراسة علم اللغة، ص ١٠٢.

٢- الوظائف النحوية: وتنقسم بدورها إلى قسمين، هما:

أ) عامـــة ب) خاصـــة

١- الوظائف الصرفية للمورفيم (*Morpheme*):

ويقصد بها المعانى المستفادة من بنية المورفيم (الصيغة)، فالوظيفة الصرفية للمورفيمات الدالة على الأسماء، هى الدلالة على المسمى دون أن يكون الزمن جزءًا منه؛ فى حين أن الوظيفة الصرفية للمورفيمات الدالة على الأفعال؛ هى الدلالة على الحدث والزمن معًا .. وهكذا، فمثلاً: الوحدة الصرفية (عالم) تدل على معنى العلم مطلقًا دون الارتباط بزمن محدد، والوحدة الصرفية (يعلم) تدل على حدث العلم المرتبط بزمن محدد مستفاد من الصيغة (يفعل) هنا، وهو زمن المضارعة.

وهناك وحدات صرفية لاتظهر وظيفتها إلا من خلال التركيب (السياق)، وذلك كما فى أدوات: (الجر، والعطف، والمعية، والقسم، والاستفهام، والاستثناء ..إلخ).

٢- الوظائف النحوية للوحدات الصرفية:

ويقصد بها المعانى المستفادة من التركيب والسياق، ويميز اللغويون بين نوعين من الوظائف النحوية:

١) الوظائف النحوية العامة التى تدل على الإثبات أو النفى أو التأكيد أو الشرط ...إلخ.

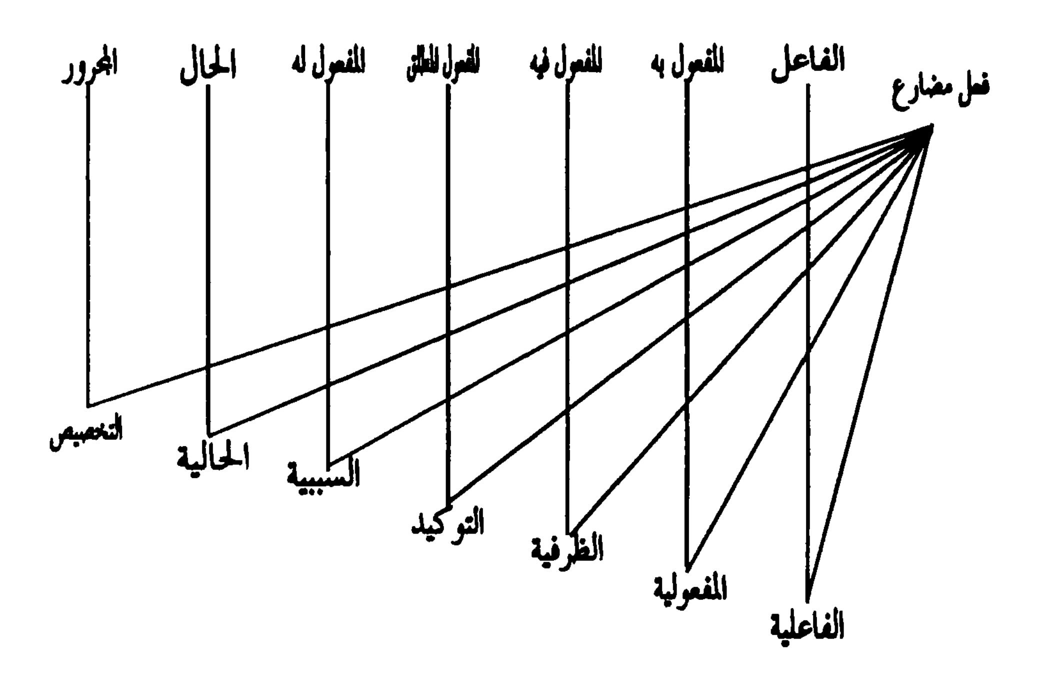
٢) الوظائف النحوية الخاصة، وتظهر حين تقع الوحدات الصرفية فى باب من أبواب النحو، حيث تقوم هذه المورفيمات بالوظيفة النحوية لذلك الباب، ويتمثل ذلك فى وظيفة الفاعلية التى يؤديها الفاعل ووظيفة المفعولية التى يؤديها المفعول[1] ... إلخ.

---

(١) د. حلمى خليل، مقدمة لدراسة علم اللغة، ص ١٠٣.

(٢) النحـــو *Syntax*

يظن كثير من الناس أن النحو هو الإعراب، والصواب أن النحو أشمل وأعم من الإعراب، فالنحو دراسة للعلاقات التى تربط بين الكلمات فى الجملة الواحدة مع بيان وظائفها، كما يظهر من الشكل التوضيحى التالى:



وبداخل النحو تلتقى كل أنظمة المستويات اللغوية الأخرى: صوتية، صرفية، دلالية.

وتتنوع اللغات فى بناء الجمل، فلكل لغة نظامها الخاص بها فى ترتيب الكلمات داخل الجملة. فنجد فى العربية مثلاً نوعين من الجمل: اسمية وفعلية، فى حين أننا لا نجد فى الإنجليزية إلا نوعًا واحدًا هو الجملة الاسمية.

وتتكون الجملة فى العربية من المسند والمسند إليه دون حاجة إلى فعل مساعد يربط بينهما، فنقول مثلاً: العلم نور، العدل أمـــان، فى حين أن الإنجليزية تحتاج إلى فعل مساعد (is) للربط بين المسند والمسند إليه، فنقول:

The man is strong.

The woman is nice.

فنجد أن الأفعال المساعدة فى الإنجليزية تقوم بوظيفتين، همـــا:

١- علاقـــة الإســـناد.

٢- تحديد زمن الجملة.

ومن هنا اكتفت الإنجليزية بالجملة الاســـمية. أما العربية فقد خصصت الجملة الاســـمية لبيان العلاقة بين طرفى الإسناد، وخصصت الجملة الفعلية للتعبير عن معنى الزمن، وهكذا يمكن ملاحظة الكثير من الفروق والملامح التى تميز نظام كل لغة عن اللغات الأخرى.

النحـــو والمناهج الحديثة

بين النحو التقليدى والنحو الحديث[1]:

يطلق اللغويون المحدثون على النحو القديم: النحو التقليدى، ويوجهون إليه نقدًا يمكن إجماله فى المحاور التالية:

١) افتقاد النحو التقليدى للمنهج العلمى الموضوعى (*Objective*) الذى يعتمد على درس الأشكال اللغوية باعتبارها أنماطًا يسهل رصدها ووصفها من خلال قوانين العلاقات، كما هو الحال فى النحو الوصفى فى إطار علم اللغة الحديث، وإنما يعتمد النحو التقليدى على المنهج الذاتى الذى يحدد قواعد اللغة بناءً على فهم المعنى، وبذلك يرتبط بالدارس نفسه، وليس بظواهر اللغة.

٢) تأثر النحو التقليدى بالمنطق، وأكبر مظهر من مظاهر هذا التأثر اهتمام التفكير النحوى القديم بنظرية العامل، التى من خلالها يمكن معرفة العلة الكامنة وراء الظواهر النحوية، فجعل اللغة عقلاً يفسر الظواهر والقواعد النحوية من خلاله، فى حين أن النحو الوصفى ـــ فى إطار علم اللغة الحديث ـــ يهتم بتقرير الحقائق اللغوية ويفسرها فى إطار ظواهر اللغة نفسها دون فرض القواعد أو اللجوء إلى ظواهر غير لغوية لتعليل القاعدة.

٣) تداخل مستويات التحليل اللغوى فى النحو التقليدى (الصوتى والصرفى والنحوى والدلالى)، فى حين يميز النحو الوصفى بين مستويات التحليل اللغوى فحدد لكل مستوى أسسًا واضحة تميزه، مع عدم إهمال العلاقة التى تربط بين مستويات التحليل اللغوى.

---

(١) اقرأ فى هذا الموضوع: د. ابراهيم السامرائى: النحو العربى فى مواجهة العصر، د.كمال بشر: التفكير اللغوى بين القديم والجديد.

٤) قيام النحو التقليدى على أساس معيارى، حيث لم يميز بين اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة، وأقام القواعد على نصوص مختارة من اللغة المكتوبة فقط، وحينما يصطدم مع الواقع والاستعمال اللغوى فإنه يلجأ إلى التأويل وتقديم تفسيرات فيها تكلف كى تتلاءم الظواهر اللغوية مع قواعده المعيارية. مثال ذلك فى:

حتى : قالوا: إن العامل لا بد وأن يكون مختصًا، لكن الاستعمال اللغوى يظهر دخول "حتى" على الأسماء كما فى قوله تعالى: ﴿ **سَلامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ** ﴾ القدر/٥. وتدخل "حتى" أيضًا على الأفعال كما فى قوله تعالى: ﴿ **وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ** ﴾ البقرة/١٨٧. ويصطدم الواقع اللغوى مع القاعدة التى تقول: إن العامل لا بد وأن يكون مختصًا. و "حتى" من العوامل التى تختص ــ حسب القاعدة التى وضعوها ــ بالأسماء. وكى يتغلبوا على هذه الإشكالية لجأوا إلى التأويل، فقالوا: "حتى" لا تعمل فى الأفعال، وجعلوا نصب الفعل بأن المضمرة، ولا يخفى ما فى هذا التأويل من تكلف حيث لا وجود لــ "أن" فى الواقع اللغوى.

ولا ريب فى أن هذا النقد قد وجه من اللغويين المحدثين فى الغرب للنحو التقليدى الأوربى ــ أولاً ــ ثم وجد ترحيبًا لدى أكثر الباحثين العرب، لكن من بين اللغويين المحدثين[1] من مَلَك بصيرة نافذة بخصوصية العربية بسبب هيمنة القرآن الكريم على هذه اللغة وبحوثها، كما ينبغى أن لا نغفل سياق نشأة النحو العربى حيث نشأ فى جو عقلى، ثم إن الملاحظات التى سجلها اللغويون المحدثون أصابت فى بعضها، وفى البعض الآخر وجهة نظر، على نحو ما يظهر من العرض التالى:

---

(١) د. إبراهيم السامرائى: النحو العربى فى مواجهة العصر: ص ٣٠.

أولاً: إن المتأمل لقواعد النحو العربى يظهر له أن أحكام النحو العربى وقواعده لم تكن كلها تأويلاً أو تقديرًا أو تعليلاً، وإنما كانت تسير وفق استعمال العرب المطرد فى كل ظاهرة نحوية، وتتكرر فى كتاب سيبويه عبارات تدل على ذلك، مثل قوله: "فأجره كما أجرته العرب واستحســـنته"[1] .

وابن جنى يعرِّف النحو تعريفًا مباشرًا بأنه "انتحاء سَمْت كلام العرب فى تصرّفه من إعراب وغيره، كالتثنية والجمع والتحقير والتكسير والإضافة والنسب والتركيب وغير ذلك، ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها فى الفصاحة، فينطق بها وإن لم يكن منهم، وإن شذَّ بعضهم عنها رُدَّ به إليها"[2].

وهذا نص فى المنهج الوصفى، وما شذ عن هذا لا يقدح فى المنهج، فلكل قاعدة شواذ.

ثانيًا: إن فكرة القياس عند سيبويه فى متابعة الكلام العربى هى فى إطار المنهج الوصفى، من ذلك قول سيبويه: " لأن هذا كثر فى كلامهم، وهو القياس"[3].

ثالثًا: رحلة أئمة النحاة إلى البادية لجمع اللغة وحرصهم على تسجيل الواقع اللغوى كما ينطق البداة. ومن ذلك ما اشتهر عن الكسائى أنه قد خرج إلى الصحراء، وأنفذ خمس عشرة قنينة حبرًا فى الكتابة عن العرب، سوى ما حفظه[4].

وامتد هذا المنهج حتى القرن الرابع الهجرى، على نحو ما نجده عند ابن جنى الذى كان حريصًا على جمع مادته من أفواه العرب[5].

---

(١) الكتاب: ١/٢٧٥.

(٢) د. نهاد الموسى: نظرية النحو العربى: ص ٥٤، وانظر: ابن جنى: الخصائص ١/٣٤.

(٣) الكتاب: ١/٢٥٨.

(٤) ابن الأنبارى، نزهة الألباء، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر: ص ٢٥.

(٥) ابن جنى : الخصائص ١/٢٤٢.

رابعًا: ثم إن هناك اعتراضًا قويًا لدعوات النقد؛ وهو أن النحو فى الكتب التعليمية ما زال راسخًا لم يتأثر فى قليل أو كثير بالدعوات الغربية للنحو الوصفى.

وهذا يؤيد رأى القائلين بخصوصية اللغة العربية بسبب هيمنة القرآن الكريم عليها.

خامسًا: إن المظهر المنطقى للنحو العربى أصبح مهمًّا فى إطار المنهج التحويلى للعالم الأمريكى نعوم تشومسكى[1]، التى تميز بين صورتين لغويتين، هما:

أ- الصورة المنطوقة والمسموعة، والمكتوبة والمقروءة، ويطلق عليها: "التركيب السطحى".

ب- التركيب العميق: ويقصد به عناصر القدرة اللغوية لذهن الإنسان فى تشكيل الجمل وفقًا لمجموعة من القواعد التحويلية والتوليدية التى تتم فى الجملة عن طريق الحذف أو الإضافة أو التقديم والتأخير أو الفصل والوصل أو التعريف والتنكير[2].

الزمن النحوى والجملة الفعلية:

الفعل يدل بصيغته على الزمن، وبمادته على الحدث، والزمن هنا هو الزمن الصرفى. (فعل للماضى، يفعل للمضارع، افعل للأمر)، وبواسطة تركيب الفعل مع الأدوات وكذلك تقديم الفعل الناقص (كان) على هذه الصيغ المركبة، تتنوع وتتخصص معانى أبنية الفعل، وقد أغفل القدماء دراسة هذه التراكيب فلم تتناولها دراساتهم، وقد انتبه

---

(١) راجع: د. عبده الراجحى، النحو العربى والدرس الحديث (بحث فى المنهج) دار النهضة العربية، بيروت ١٩٧٩.

د. نهاد الموسى: نظرية النحو العربى فى ضوء مناهج النظر اللغوى الحديث.

(٢) د. كريم حسام الدين، أحوال تراثية فى اللسانيات الحديثة: ص ٢٢٩.

المحدثون لها[1]، ويمكن الوقوف على تنوع الدلالات الزمنية لهذه التراكيب[2] من خلال العرض التالى:

١- **كان + فعل:** للدلالة على الزمن الماضى البعيد المنقطع، كما فى: كنت درست النحو فى الثانوية.

٢- **لقد + كان + فعل:** للدلالة على الزمن الماضى البعيد المنقطع المؤكد، كما فى: لقد كنت درست النحو فى الابتدائية.

٣- **كان + يفعل:** للدلالة على الماضى المستمر، كما فى: كنت أدرس العربية طوال المراحل التعليمية.

٤- **قد + كان + يفعل:** للدلالة على الماضى المستمر المؤكد، كما فى: قد كنت أدرس العربية طوال حياتى التعليمية.

٥- **كاد + يفعل** : للدلالة على الزمن الماضى المقارب ولكنه لم يقع، كما فى: كاد الفريق يحقق المفاجأة.

٦- **قد + كاد + يفعل:** للدلالة على الزمان الماضى المقارب مع التأكيد، كما فى: قد كاد الفريق أن يحقق المفاجأة.

---

(١) انظر: د. تمام حسان، اللغة العربية (معناها ومبناها): ص ٢٤٥: ٢٥٢.

برجشتراسر: التطور النحوى للغة العربية، أخرجه وصححه: د. رمضان عبدالتواب ــ القاهرة، مكتبة الخانجى، ١٩٨٢: ص ٨٩.

د. عاطف مدكور: علم اللغة بين القديم والحديث: ص ٢٠١.

(٢) د.عاطف مدكور: علم اللغة بين القديم والحديث: ص ١٨٦، ١٨٧.

د. تمام حسان: اللغة العربية (معناها ومبناها): ص ٢٤٥.

٧- **يكاد + يفعل:** للدلالة على مقاربة حدوث الفعل فى الزمن الحاضر، كما فى: يكاد المجتهد أن يبلغ الأمل.

٨- **جعل + يفعل:** للدلالة على الماضى الشروعى، أى: الشروع فى الفعل والبدء به فى الزمان الماضى، كما فى: حضر المدرس، وجعل يشرح الدرس للطلبة.

٩- **مازال + يفعل:** للدلالة على الزمن الماضى المستمر المتصل بالحاضر، كما فى: مازال الكريم يجود بماله على الفقراء.

١٠- **بات + يفعل ، ظل + يفعل ، ما انفك + يفعل:** للدلالة على أن الحدث كان مستمرًا فى زمن ماضٍ، أى الزمن الماضى المستمر المتصل بالزمن الحاضر، كما فى: بات يقلب الأفكار.

١١- **أضحى + يفعل:** للدلالة على الزمن الحاضر الاستمرارى الذى يتصل بالماضى، كما فى: أضحى المطر يتدفق بغزارة.

١٢- **السين (أو سوف) + يفعل:** للدلالة على الزمن المستقبل، ومعنى السين وسوف: التنفيس فى الزمن، إلا أن زمان "سوف" أنفس فى الاتساع من زمان "السين"، كما فى: سيصل المسافر غدًا، سوف يصل المسافر بعد شهر.

الفصل السابع

الدلالـــــة

الدلالـــة

يتناول البحـــث اللغوى فى هذا المستوى دراسة المعـــنى بكل جوانـــبه:

(المعنى الصوتى وما يتصل به من نبر وتنغيم، والمعنى الصرفى، والمعنى النحوى، والمعنى المعجمى، والمعنى السياقى) ؛ وذلك لأن المعنى اللغوى هو حصيلة هذه المستويات كلها.

ومع دراسة المعنى وجوانبه يهتم البحث الدلالى بالقضايا التالية:

تغير المعنى، وأسباب هذا التغير، ومظاهره، ودراسة العلاقات الدلالية بين الألفاظ، وصناعة المعجمات على تنوعها.

وفيما يلى خلاصة مركّزة عن جوانب هذا العلم:

علم الدلالة *Semantics* :

أهميتـــه:

إن الطبيعة الحقيقية للغة يمكن فهمها من خلال فهم المعنى، ويلعب المعنى دورًا كبيرًا فى كل مستويات التحليل اللغوى كما يلعب دورًا كبيرًا فى تطبيقات كثيرة لعلم اللغة مثل طرق الاتصال، وتعليم اللغة، والترجمة، ودراسة اكتساب اللغة [1].

لذلك يحتل المعنى من بين فروع الدراسات اللغوية أهمية بارزة، أليس المعنى هو هدف الفروع اللغوية الأخرى وحصيلتها ؟

وقد نال علم الدلالة *Semantics* اهتمامًا كبيرًا من العلماء والباحثين فى القديم والحديث، ليس بين أهل اللغة فقط، بل فى فروع العلوم الإنسانية الأخرى، مثل علم

(١) د. أحمد مختار عمر : علم الدلالة، ص٥.

النفس، والفلسفة، وعلم الاجتماع وغيرها، وإن اختلفت زوايا اهتمام كل علم من هذه العلوم، " فالألفاظ لاتصالـــها الوثيق بالتفكير كانت- ومازالت- مجالاً مهمًا للدراسة الفلسفية، ولصلتها بالعقل والعاطفة يتناولها أصحاب علم النفس ولكنها- قبل هذا وذاك- عنصر من عناصر اللغة، ولذا يعرض لـــها اللغويون أيضًا فى بحوثهم، ويتناولونـــها من زاويتهم الخاصة، وإن كانت دراسات كل هؤلاء من أهل العلم تتشابك حدودها، وتتقارب فى بعض نواحيها حين تعرض للألفاظ ودلالة الألفاظ"[١].

وليس بمستغرب أن ينال علم المعنى هذا القدر من الاهتمام بين العلماء والباحثين، فدلالة الألفاظ أمر يتصل بجوانب حياتنا المتعددة، والتواصل بمستوياته المختلفة بين الأفراد والجماعات أو الدول مرهون بتحديد دلالة الألفاظ، وأى خلل فى تحديد دلالة الألفاظ المستعملة بينهم يؤدى إلى خلل فى التواصل بينهم، والذى ربما ينتج عنه مشكلات لها عواقب سيئة [٢].

كل هذه الأسباب كانت بمثابة الدوافع التى حركت العلماء والباحثين لدراسة دلالة الكلمات دراسة علمية تتصف بالدقة والعمق؛ بغية الوصول إلى تحديد أدق للمعنى، والكشف عن جوانبه المختلفة، حتى أصبح هذا العلم - بعد أن كان فرعًا من فروع فقه اللغة- يكاد يكون علمًا مستقلاً يعرف باسم (علم معانى الألفاظ) أو (علم الدلالة) *Semantics* [٣].

---

(١) د. إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ، ص ٦ : ٧.

(٢) د. كمال بشر: دراسات فى علم اللغة، ص٣ وما بعدها.

(٣) د. مازن المبارك: نحو وعى لغوى، ص ٩٨. وانظر:

- *Semantics: Vol. 2/John Lyons – New York: Cambridge University Press, 1990 – (Introduction).*

تعريف علم الدلالة:

تعددت تعريفات علم الدلالة بين الباحثين فيه والدارسين له، ويكفى أن نرى الأستاذين أوجدن وريتشاردز يقدمان لنا ما لا يقل عن ستة عشر تعريفًا للمعنى، بل اثنين وعشرين تعريفًا، لو أخذنا التعريفات الإضافية الأخرى فى الحسبان، إلا أن القاسم المشترك بين تعريفات علم الدلالة هو أنه العلم الذى يدرس المعنى يقول: *John Loyns& Fodor*: " الدلالة هى دراسة المعنى "[1].

وأطلق على هذا العلم أسماء عديدة، مثل:

ـــ علم الدلالة: *Semantics*.

ـــ علم المعنى: *Meaning*.

ـــ أطلق بعضهم عليه اسم " السيمانتيك" [2]، أخذًا من الكلمة الإنجليزية: *Semantics* أومن الكلمة الفرنسية: *Semantique*.

- الدلاليـــات [3].

---

(1)Semantics: Theories of Meaning in Generative Grammer/ Janet Dean Fodor – 2ed– New York: Harvard University Press, 1982 – P. 9.

- *Semantics: Vol. 2/hohn Lyons – P.10.*
- *Language and Linguistics / John Lyons – New York: Cambridge University Press, 1987. P. 136.*
- *Modern Linguistics: The Results of Chomsky's Revolution / Neil Smith sand Deivdre Wilson. – Bloomington: indiana University Press, (10..) P. 287.*
- *Semantics: a course book / James R. Hurford and Bredan Heasley – New Yourk: Cambridge University Press, 1990 – P. 10.*

ونص التعريف: "*Semantics is the study of meaning*".

(٢) انظر: د.كمال بشر، دراسات فى علم المعنى (السيمانتيك).

(٣) د. مازن الوعر، دراسات لسانية تطبيقية، ص ١٥٢ وما بعدهـــا.

أســـباب تعدد التعريفـــات:

المتأمل فى اختلاف التعريفات المقدمة لعلم الدلالة يلمح أن الاختلاف حول تحديد معنى "المعنى" هو الكامن وراء تعدد التعريفات، والاختلاف حول تحديد معنى "المعنى" نشأ من:

أ- اتصال المعنى بكل المستويات اللغوية الأخرى، أدى إلى اختلاف تحديد معنى "المعنى"، فهل المراد: المعنى المعجمى، أم المعنى النحوى، أم المعنى الصرفى؟.. إلخ [1] .

ب- كون المعنى نقطة التقاء لكثير من العلوم الإنسانية الأخرى، وكل علم له نظرته التى يُعرِّفه من خلالها ، لذا كان تعدد وتنوع المناهج المختلفة سببًا فى اختلاف النظرة إلى المعنى، وبالتالى الاختلاف فى تعريفه؛ حيث إن كل علم يركز فى تعريفه للمعنى على مجال اهتمامه [2].

ج ـــ كثرة المصطلحات المستخدمة واختلافها فى تعريف المعنى؛ ليس فقط بين علماء التخصصات المختلفة بل وبين أهل التخصص الواحد، "وكما هو الحال دائمًا؛ فإن معظم الخلط أو اللبس ينجم عن الفشل فى تدعيم الاتفاق حول الاصطلاح، ذلك أن الاتفاق الاصطلاحى وإن كان غير قادر بذاته على حل الخلافات النظريـــة التى نجمت فى اللغويات، إلا أنه يستطيع- على أية حال- تصفية القضايا، بل وربما إزالة قدر -لا بأس به- من سوء الفهم " [1].

---

(١) د. كمال بشر: المصطلح اللغوى (مأخوذ من نسخة بخط يد المؤلف ونُسخت على الآلة الكاتبة، وهى محاضرة ألقاها المؤلف بمجمع اللغة العربية بالقاهرة) .

(٢) د. كمال بشر : دراسات فى علم المعنى (السيمانتيك) : ص ٤.

(٣) السابق: ص ٨٤.

الصلة بين اللفظ والمعــنى:

الألفاظ أجساد لباسها المعانى، وثمة صلة بين اللفظ والمعنى، راح القدماء يبحثون أصل هذه الصلة[١]، ولعلهم ورثوا ذلك عن فلاسفة اليونان[٢]، واختلافهم فى شأن هذه الصلة: هل هى توقيفية طبيعية أم اصطلاحية عرفية ؟

غير أن الدرس اللغوى الحديث لا يعنيه بحث أصل هذه الصلة القائمة بين الألفاظ ومدلولاتـــها؛ وذلك لأن بحث هذه الصلة خارج حدود المنهج العلمى، فاللغة علم، والعلم حقائق يستدل عليها بالشواهد الواضحة والأدلة الصحيحة، أما البحث فى أمور هى فى حكم الغيب فليس من مجال البحث العلمى، إنما الذى يعنى البحث العلمى هو الاهتمام بهذه الصلة بعد أن وجدت: هل ظلت هذه الصلة ثابتة أم تغيرت، وما أسباب هذا التغير، وما وسائله ... إلخ.

حـــدود المعـــنى اللغـــوى:

يدرس علم اللغة الحديث "المعنى" من خلال دراسته لمجموعة الخصائص والمميزات اللغوية للحدث المدروس، وهذه الخصائص لا تدرس دفعة واحدة، بـــل لا بد من تناولـــها على مراحل (مستويات) مختلفة: (صوتية، صرفية، نحوية، معجمية، سياقية)، وذلك لأن المعنى[٣] هو حصيلة كل هذه المستويات اللغوية فالهدف من النص هو إظهار معنى معين، وأهم العناصر المؤثرة فى تحديد المعنى هى:

---

(١) السيوطى: المزهر ١/ ٢٢، ٤٧.

(٢) د. إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ: ص ٦٢ وما بعدهـــا.

(٣) المقصود بالمعنى هنا هو المعنى اللغوى المتحصل من أى حدث لغوى بكل مستوياته، أما المعانى غير اللغوية التى تمثل اهتمامات مجالات أخرى، مثل: الفلسفة والمنطق والاجتماع...إلخ، فهى خارجة عن دائرة البحث.

أ – المعـــنى الوظيفى: (الصوتى، الصرفى، النحوى).

ب – المعنى المعجمى.

ج ـــ المعنى السياقى.

وهذا التقسيم للمعنى لا وجود له على المسرح اللغوى أثناء استعمال المتكلم للغـــة، فكل جوانب المعنى تأتى مجتمعة أثناء الكلام، غاية ما فى الأمر أن هذا التقسيم دراسي؛ يساعد الباحث على تحليل المعنى ودراسته، وإلا فالمعـــنى " كلٌّ مركب من مجموعة من الوظائف اللغوية، وأهم عناصر هذا الكل هو الوظيفة الصوتية، ثم المورفولوجية والنحوية، والقاموسية، والوظيفية الدلالية لسياق الحال"[١].

وفي السطور التالية شيء من التفصيل للعناصر الثلاثة للمعنى:

أ ـــ المعنى الوظيفى :

١- الدلالة الصوتية:

يعتمد تحديد المعنى وتوضيحه على خواص صوتية معينة، سواء أكان ذلك على مستوى المعجم أو السيمانتيك *Semantics* [٢].

ومثال المعنى الوظيفى المستفاد من الدلالة الصوتية، هو التمييز بين الكلمات، حيث إن كل تغير صوتى يتبعه تغير دلالى، سواء أكان هذا التغير الدلالى مباشرًا مثل المعنى المعجمى فى مثل: (قال) حين نغير الوحدة الصوتية ***Phoneme*** "ق" بوحدة صوتية أخرى "ن" لتصبح الكلمة "نال"، والفرق واضح بين معنى الكلمتين على مستوى المعجم.

---

(١) د. محمود السعران: علم اللغة (مقدمة إلى القارئ العربى)، ص ٣٤٠.

(٢) د. كمال بشر: دراسات فى علم المعنى، ص١٠٩.

وقد يكون للتغير الصوتى أثر فى التغير الدلالى، ولكن بصورة غير مباشرة، فحين تؤثر الوحدات الصوتية فى الوحدات الصرفية، فإن ذلك يؤثر فى المعنى، مثل الهمزة: تحول الفعل اللازم إلى فعل متعدٍّ مثل: سجد، أسجد، فهم: أفهم، وهنا تغيرت الصيغة الصرفية، مما أدى إلى تغير فى الدلالة.

كذلك التنغيم *Intonation* له دور هام فى التفريق بين أنماط الجمل، فيمكن أن نفرق بين الجملة الاستفهامية والإثباتية بواسطة التنغيم، ومثال ذلك: قول الله تعالى فى سورة يوسف بعد فقد صواع الملك:

﴿ قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ ﴾ يوسف/٧٥

فلا شك أن تنغيم جملة: ﴿ قالوا جزاؤه ﴾ بنغمة الاستفهام، وجملة: ﴿ من وجد فى رحله فهو جزاؤه ﴾ بنغمة التقرير، سيقرب معنى الآية إلى الأذهان، ويكشف عن مضمونـــها[1].

٢- الدلالة الصـــرفية:

الوحدة الصرفية *Morpheme* لـــها تأثير مباشر على المعنى، فمثلاً تختلف دلالة صيغة اسم الفاعل عن دلالة اسم المفعول، وكلاهما يختلف عن دلالة صيغة المبالغة: " قائل، مقول، قوّال"، هذا على مستوى المعجم.

كذلك تؤثر الصيغ الصرفية على التركيب، مما يؤثـــر على المعانى النحوية، وبالتالى على المعنى العام؛ مثل اكتفاء الفعل اللازم بفاعله، فإذا استعملنا صيغة فعل متعدٍّ، فإن الفعل يتعدى إلى مفعول ولا يكتفى بفاعله، والفرق واضح فى المعنى بين الفعل اللازم والمتعدى فى مثل: قام محمد، أقام محمد ندوة.

والصيغ الصرفية كثيرة ومتنوعة، وليس هذا مجال حصرها.

---

(١) د. أحمد مختار عمر: علم الدلالة" ص١٣.

٣ـ الدلالة النحويـــة:

الدلالة النحوية مرتبطة بتغيير مواقع الكلمات فى الجملة، فتغير الوظيفة النحوية يتبعه تغير فى المعنى، فجملة: الرجل يعاتب المرأة، تختلف فى المعنى عن: المرأة تعاتب الرجل، وهذا التغير فى المعنى ناشئ عن تغير مواقع الكلمات؛ أى تغير الوظيفة النحوية.

" والمعنى الوظيفى بصوره الثلاث المتقدمة (صوتية، صرفية، نحوية) هو معنى الجزء التحليلى الذى يخضع للضبط والتقعيد، فالأصوات تخضع لتقعيد سلوكها إدغامًا واخفاءً وإقلابًا .. إلخ، والعناصر الصرفية تخضع لقواعد الصرف، كما تخضع العناصر النحوية لقواعد النحو "(١) .

ب ـــ المعنى المعجمى :

هو المعنى الذى تدل عليه الكلمات حال انفرادها، وهذا المعنى لا يخضع للضبط ولا للتقعيد- كما يخضع المعنى الوظيفى- وإنما هو معنى يحدده العرف العام وتظهر هنا العلاقة العرفية التى اصطلح عليها المجتمع بين الكلمة المفردة وبين معناها وليس هناك من سبب طبيعى أو ذهنى منطقى للعلاقة بين الكلمة ومعناها، فهى علاقة اعتباطية، وهذا المعنى يتصف بالتعدد والتنوع والاحتمال، حيث إن الكلمة لا يمكن أن يتحدد معناها مادامت خارج السياق، فإذا انتظمت الكلمة فى سياق لغوى تَحَـــدَّد معناها.

ج ـــ المعنى الســـياقى :

المعنى السياقى معنى واحد ومحدد- على خلاف المعنى المعجمى فهو احتمالى ومتعدد- ويطلق عليه المعنى الاجتماعـــى، أو المعنى المقامى، وهو معنى يســـتنبط من القرائن اللغوية (السياق اللغوى)، مع مراعاة الظروف الخارجية والأحوال التى تتصل بـــها (السياق غير اللغوى)، وسيأتى تفصيل هذا المعنى فى عرض النظرية السياقية.

---

(١) انظر: د. إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ: ص ١٤، د. تمام حسان: اللغة العربية (معناها ومبناها)، ص ٣٥٤.

مناهج البحث الدلالى ونظرياته

تعددت المدارس التى عالجت المعنى[1]، وقدمت هذه المدارس مناهج عديدة: (الوصفى، التاريخى، التقابلى، المقارن)[2]، ولكل منهج نظرياته، وفى إطار المنهج الوصفى نلتقى بنظريات متنوعة، تتكامل فيما بينها، ومن أهم هذه النظريات:

١- نظرية المجال الدلالى : *Semantic Field Theory*

٢- نظرية السـياق : *Context Theory*

٣- نظرية التحليل التكوينى : *Componential Analysis Theory*

١- نظرية المجال الدلالى *Semantic Field Theory*:

الثروة اللفظية للغة ما عبارة عن مجموعة مغلقة من المواد المعجمية، ومن الممكن أن تصنف هذه الثروة بحيث تصبح مجموعة من المجالات، فالمجال الدلالى عبارة عن مجموعة جزئية من مفردات اللغة، حيث إن المجالات الدلالية هى وقائع حية تتوسط الكلمات الفردية وكلية الثروة اللفظية [3].

---

(١) من أشهر المدارس الأخرى التى عالجت المعنى:

أ- المدرسة العقلية (الإشارية): ويمثل هذه المدرسة عدد من اللغويين المشـهورين، ومنهم: دى سوسير، أوجدن، ريتشاردز، ويتبعهم أولمان. وأصحاب هذه المدرسة يحاولون تحليل المعنى بربط الدال بالمدلول، أو الدال بالصورة الذهنية حتى يتضح المعنى، وينضم لـهذه المدرسة تشومسكى.

ب- المدرسة السلوكية: ويمثل هذه المدرسة بلومفيلد، وتفسر المعنى اللغوى على أساس النظرية السلوكية التى تعتمد فى بحوثها على تصرفات الإنسان وسلوكه فى المواقف المختلفة، مع الاهتمام بعنصرى: المثـير ورد الفعل، ونلمح هنا محاولة بلومفيلد التخلص من آراء المدرسة العقلية التى تعتمد فى تحليل المعنى على الفكر أو الصورة الذهنية.

(٢) انظر: ص ٩٢ من الدراسة.

(3) *Semantics: J. Lyons., P.1, p. 251, 253.*

ويتحدد معنى الكلمة عند أصحاب هذه النظرية من خلال علاقاتها بالكلمات المشتركة معها فى المجال الدلالى نفسه، والتى تتميز بوجود ملامح دلالية مشتركة فيما بينها، حيث إنهم يعتمدون على فكرة أن "المعانى لا توجد فى الذهن منعزلة، بل بينها ترابط ملحوظ"، يقول فندريس:

" إن الذهن يميل دائمًا إلى جمع الكلمات وإلى اكتشاف عُرى جديدة تجمع بينها، فالكلمات تتشبث دائمًا بعائلة لغوية "[1].

وحيث إن الثروة اللفظية للغة ما عبارة عن نسق متكامل من المواد المعجمية التى ترتبط بالمعانى، فقد قام أصحاب هذه النظرية بتقسيم الثروة اللفظية للغة حسب المعنى إلى مجالات دلالية، مثل: ألفاظ القرابة واللون والحركة والكلام ...إلخ.

وميز أصحاب نظرية المجال الدلالى بين المجالات المحسوسة والمجالات المجردة وأَوْلَوْا اهتمامًا خاصًّا للمجالات المجردة، نظرًا لأنـــها تمثل أهمية بالغة فى التعبير عن الصور الذهنية والفكر البشرى بوجه عام.

كذلك اهتم أصحاب هذه النظرية بتصنيف الكلمات داخل المجال الواحد حسب درجة الأهمية وشيوع الاستعمال، إلى ألفاظ أساسية وألفاظ ثانوية، وإلى ألفاظ شائعة وأخرى غير شائعة، واجتهد علماء اللغة من أصحاب هذه النظرية فى وضع المعايير التى تستخدم لتصنيف الألفاظ داخل المجال الدلالى، ومن أهم هذه المعايير:

١- معيـــار *Kay & Berlin*[2] :

ويشترط فى الكلمة- كى تصنف ضمن الكلمات الأساسية داخل المجال- شروط، أهمها:

١) أن تكون الكلمة من وحدة معجمية واحدة.

---

(١) فندريس:اللغة، ترجمة: عبدالحميد الدواخلى، ومحمد القصاص: ص ٣٣٣.

(٢) انظر: د. أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص ٩٦: ٩٧، واللغة واللون: ص ٣٦.

٢) أن يكون استعمالها غير مقيد أو محدد بمجال ضيق من المعنى.

٣) أن تكون ذات بروز وتميز بالنسبة لغيرها من كلمات نفس المجال فى استعمال ابن اللغة.

٤) ألاَّ يستدل على معناها من معنى أجزائها.

٥) ألا يكون معناها متضمنًا فى كلمة أخرى ما عدا الكلمة الرئيسية.

٢- معيـــار *Montageue & Batting*[1] :

وهذا المعيار قائم على أساس إحصائى، ترتب فيه الكلمات على حسب نسبة ترددها، والكلمات الأكثر ترددًا هى التى تكون أساسية.

اللغويون القدماء وفكرة المجال الدلالى:

لقد فطن اللغويون القدماء إلى فكرة المجال الدلالى بحسهم اللغوى المرهف وفهمهم الثاقب، وإن لم يطلقوا عليها المصطلح نفسه، وليس أدل على ذلك من الرسائل والمعجمات التى جمعت فيها الكلمات تحت معنى عام، وأصبح كل منها يعالج موضـــوعًا بعينـــه، وأوضـــح مثال على ذلك: "المخصص" لابن ســـيدة (ت:٤٥٨ هـــ)، حيث يمثل هذا العمل فكرة واضحة لنظرية المجالات، ويشمل هذا المعجم كتبًا متنوعة، ويضم كل كتاب أبوابًا عديدة، كل باب منها يعالج مجموعة من الألفاظ يضمها موضوع واحد، وكذلك ما نجد فى كتاب "مبادئ اللغة" للإسكافى (ت: ٤٢١ هـــ)، وكتاب "فقه اللغة" للثعالبى (ت: ٤٣٠هـــ)، وغيرهما.

---

(١) د. أحمد مختار عمر، علم الدلالة: ص ٩٧.

العلاقات الدلالية داخل المجـــال:

اهتم أصحاب نظرية المجال الدلالى بالعلاقات الدلالية داخل المجال الدلالى حيث إن معنى الكلمة عندهم هو محصلة علاقاتـــها بالكلمات الأخرى فى المجال الدلالى نفسه، وأهم هذه العلاقات(*):

١- الترادف *Synonymy*

٢- التضـــاد *Antonymy*

٣- الاشتمال "التعمـــيم" *Hyponymy*

٤- علاقة التخصـــيص.

٥- التبـــاين.

١- الترادف:

علاقة الترادف من أكثر العلاقات الدلالية وقوعًا بين ألفاظ المجال الدلالى؛ نظرًا لتشابه وتقارب كثير من الملامح الدلالية بين ألفاظ المجال الواحد، مما يتيح لأفراد الجماعة اللغوية استخدام ألفاظ المجال الدلالى كمترادفات يحل بعضها مكان بعض.

● لم نذكر المشترك اللفظى ضمن العلاقات الدلالية داخل المجال الدلالى، وذلك لأنه لا وجود له بين الألفاظ التى تنتمى إلى مجال واحد، حيث إن نظرية المجالات قد حلت هذه المشكلة وعالجتها، لأن الكلمات المنتمية إلى مجالات مختلفة سوف تعامل على أنـــها **كلمات منفصلة فمثلاً**:

- كلمة "قال" بمعنى القول، تنتمى إلى مجال الكلام.
- كلمة "قال" بمعنى: النوم وقت الظهيرة، تنتمى إلى مجال الحركة.

ـ الترادف عند القدمـــاء:

عرفه القدماء بأنه " الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد، باعتبار واحد"[1]، ومثاله ما أورده ابن جنى فى "الخصائص" تحت "باب: فى تلاقى المعانى على اختلاف الأصول والمبانى"، مثل: الـــخَليقة، السجية، الطبيعة، الغريزة، السَّليقة[2].

واضطربت آراء القدماء فى الترادف، وتوزعت بين مؤيد ومعارض، والتصنيف الذى أورده الدكتور كمال بشر (فى تعليقاته على ترجمة كتاب دور الكلمة فى اللغة) يظهر بوضوح ودقة موقف القدماء تجاه قضية الترادف، وسوف يسير البحث هنا على هدى هذا التقسيم.

١- فريق يؤمن بوجود الترادف، لكنه ترادف غير تام، أى بمعنى التقارب فى المعنى ومن هؤلاء ابن فارس (ت: ٣٩٥هـــ)، حيث يقول بعد ذكر عدد من المترادفات: "... على مذهبنا فى أن فى كل واحدة منها ما ليس فى صاحبتها من معنى وفائدة" أى أنه يؤمن بالترادف ولكن على أساس أن لكل كلمة لونًا معينًا من المعنى، أو على الأقل فائدة أو وظيفة خاصة فى الاستعمال "[3]، كذلك أبو سليمان الخطابى (ت ٣٨٨هـــ) الذى يقول: " إن فى الكلام ألفاظًا متقاربة المعنى، يحسب أكثر الناس أنـــها متساوية فى إفادة بيان مراد الخطاب، كالعلم والمعرفة، والحمد والشكر، والبخل والشح، وكالنعت والصفة، وقولك: اقعد واجلس، وبلى ونعم من وعن، ونحوها من الأسماء والأفعال والحروف والصفات، والأمر فيها وفى ترتيبها عند علماء اللغة بخلاف ذلك، لأن لكل لفظة خاصية تتميز بها عن صاحبتها فى بعض معانيها، وإن كانا يشتركان فى بعضها"[4].

---

(١) السيوطى:المزهر فى علوم اللغة: ٤٠٣/١.

(٢) ابن جنى: الخصائص: ٢/ ١١٨.

(٣) أولمان: دور الكلمة فى اللغة (الترجمةالعربية): ص١١٧.

(٤) ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن: ص٢٩.

٢- فريق ينكر وجود الترادف فى اللغة إنكارًا تامًّا، ومن هؤلاء أبو على الفارسي الذى أنكر على ابن خالويه أن للسيف خمسين اسمًا، وقال أبو على: "لا أعرف له إلا اسمًا واحدًا، فقال ابن خالويه: وأين المهند، والعضب، وكذا وكذا؟ فقال أبو على: هذه صفاته"[١]. ولا شك أن صفات السيف لها معان مستقلة ومغايرة لاسم السيف، وبالتالى لا يقع الترادف بينها جميعًا.

ومن أشهر اللغويين المنكرين للترادف ابن الأعرابى (ت٢٣١هـ)، حيث يقول "كل حرفين أوقعتهما العرب على معنى واحد، فى كل واحد منها معنى ليس فى صاحبه، ربما عرفناه فأخبرنا به، وربما جهلناه، فلم نلزم العرب جهله" [٢]، وقد ألف أبو هلال العسكرى كتابه " الفروق اللغوية " لإثبات الفروق بين الألفاظ التى قيل بترادفها.

٣- فريق ثالث يؤمن بوقوع الترادف مطلقًا، ويرون أن الترادف من أخصّ خصائص العربية، وحجتهم فى ذلك: أن أصحاب اللغة " إذا أرادوا أن يفسروا اللبّ قالوا: هو العقل، أو الجَرْح، قالوا: هو الكسب، أو السكب، قالوا: هو الصب، وهذا يدل على أن اللب والعقل عندهم سواء، وكذلك الجرح والكسب والسكب والصب، وما أشبه ذلك "[٣].

وقد أفرد بعضهم كتبًا للكلمات المترادفة، مثل:

أ- ابن خالويه (ت: ٣٧٠هـ): ألف كتابًا فى أسماء الأسد، وكتابًا آخر فى أسماء الحية.

ب- الفيروزأبادى (ت: ٨١٧هـ) وضع كتابًا أسماه: " الروض المسلوف فيما له اسمان إلى ألـوف".

---

(١) السيوطى: المزهر فى علوم اللغة: ٣٩٩/١، ابن الأنبارى: الأضداد: ص٧ .

(٢) السيوطى: المزهر فى علوم اللغة: ٤٠٨/١.

(٣) أولمان: دور الكلمة فى اللغة (الترجمة العربية): ص١١٧.

واحتج المؤمنون بوقوع الترادف مطلقًا " بأنه لو كان لكل لفظة معنى غير معنى الأخرى؛ لما أمكن أن نعبر عن شيء بغير عبارة، وذلك أنا نقول فى: ﴿لا ريب فيه﴾ : لاشــك فيه، فلو كان الريب غير الشك لكانت العبارة عن معنى الريب بالشك خطأ، فلما عُبِّرَ بهذا عن هذا عُلم أن المعنى واحد" [1].

لكن ابن دَرَسْتَوَيْه وجَّه نقدًا للمؤمنين بوقوع الترادف مطلقًا، واتــهمهم "بأنهم جهلوا حقيقة الأمر، فهو يرى أن الفروق فى الدلالات بين المترادفات كان يعرفها العرب الأول ويدركونها بسليقتهم وطبيعتهم السليمة، ولكن هؤلاء القوم القائلين بوقوع الترادف لم يستطيعوا فهْم هذه الفروق وإدراكها، فظنوا أن الكلمات متحدة المعنى، ونسبوا ذلك إلى العرب، وهذا خلاف الواقع"[2].

جانب من العلماء صنفوا الترادف إلى قسمين:

(أ) الترادف الواقع بين العبارات والجمل، لا الكلمات المفردة، مثل: لَمّ الشعث- رتق الفتق ، وعرفوه بأنه: " إقامة لفظ مكان لفظ، لمعانٍ متقاربة يجمعها معنى واحد".

والشواهد التى سيقت على هذا النوع تحدد أن معنى "لفظ" فى التعريف إنما هو العبارات والجمل [3].

(ب) التوارد: ويتحقق ذلك " حين تضع أكثر من اسم للذات الواحدة والشىء الواحد، كأن تسمى الأسد بالسبع، والليث، والضرغام"[4]، ونفهم من الأمثلة أن المتوارد عندهم يقابل "المترادف" عند غيرهم.

---

(١) السيوطى: المزهر فى علوم اللغة: ١/٣٨٤ : ٣٨٥.

(٢) المرجع السابق:١/٤٠٦ : ٤٠٧.

(٣) أولمان: دور الكلمة فى اللغة (الترجمة العربية ــ تعليق المترجم): ص ١١٩.

(٤) السيوطى: المزهر: ١/٤٠٦.

– الترادف عند المحدثـــين:

آراء المحدثين لحق بها الخلاف مثلما حدث بين القدماء فى مسألة الترادف، وميز المحدثون بين الترادف التام (الكامل)، والترادف بمعنى التقارب فى المعنى أو أشباه الترادف.

أ– الترادف التام الكامل ***Complete Synonymy***:

أكثر اللغويين المحدثين على إنكار هذا النوع، حيث "إن الثروة اللفظية للغة ما تتمايـــز فى إطار الفروق الأكثر خصوصية "[1]، ولو "كانت الكلمتان مترادفتين من جميع النواحى لما كان هناك سبب فى وجود الكلمتين معًا"[2] ، كما أن الاختلاف الصوتى يتبعه اختلاف دلالى، ويبين ***J.Lyons*** " أن هناك فروقًا دقيقة بين الكلمات التى يعتقد أن بينها ترادفًا تامًّا، ولكن قد يصعب ملاحظة هذه الاختلافات، إذْ إن معلومات الفرد منًّا عن اللغة بعيدة عن مجال الفحص الدقيق"[3].

ب– الترادف بمعنى التقارب فى المعنى ***Near Synonymy***:

وذلك بأن يتفق اللفظان فى كثير من الملامح الدلالية، لكن يختلف كل لفظ منهما عن الآخر فى ملمح دلالى مهم أو أكثر، وهذا النوع من الترادف هو الشائع فى اللغة، ويوجد داخل ألفاظ المجال الدلالى، حيث تشترك ألفاظ المجال فى كثير من الملامح الدلالية التى تجمعها تحت معنى واحد، لكن تبقى فروق دقيقة أو ملامح دلالية خاصة ومهمة تميز بين كل كلمة وأخرى داخل المجال الدلالى.

---

(1) J. Lyons: Semantics, V.1, P.262

(٢) د. أحمد مختار عمر: علم الدلالة: ص ٢٢٥.

(3) *Language and Linguistics. P. 150, 151.*

ونجد أولمان بعد أن عرف المترادفات بأنها " ألفاظ متحدة المعنى وقابلة للتبادل فيما بينها فى أى سياق"[١]- والترادف بــهذا المعنى نادر الحدوث- يعترف بوجود الترادف بمعنى التقارب فى المعنى فيقول: " وبالجملة سوف يتبين لنا أن معظم المترادفات ليست إلا أنصاف أو أشباه مترادفات"[٢] .

- أســباب الاختلاف فى مسألة الترادف:

يرجع الاختلاف فى مسألة الترادف إلى ثلاثة أسباب:

الأول: عدم الاتفاق بين الدارسين على المقصود بالترادف.

الثانى: اختلاف المناهج بين الدارسين والباحثين فى معالجة الترادف.

الثالث: اختلاف المناهج فى تحديد معانى المفردات وتعريفها.

٢- التضــاد: *Atonymy*

هو "نوع من العلاقة بين المعانى، بل وربما كانت أقرب إلى الذهن من أية علاقة أخرى، فمجرد ذكر معنى من المعانى، يدعو ضد هذا المعنى إلى الذهن، ولاسيما بين الألوان؛ فذكر البياض يستحضر فى الذهن السواد، فعلاقة الضديَّة من أوضح الأشياء فى تداعى المعانى "[٣].

التضــاد عند القدمــاء:

يقصد بالتضاد عند القدماء أن يطلق اللفظ على المعنى وضده، ومن أمثلة التضاد بــهذا المفهوم: دلالة "الجون" على الأبيض والأسود، و"القُرء" للطُّهر والحيض، والنِّد:

---

(١) أولمان: دور الكلمة فى اللغة (الترجمة العربية)، ص١٠٩.

(٢) المرجع السابق: ص١١٠.

(٣)د. إبراهيم أنيس: فى اللهجات العربية: ص ٢٠٧.

للمثل والضد، والزوج: للذكر والأنثى والسليم: للّديغ والسليم[1].

واختلف اللغويون القدماء فى وقوع التضاد فى اللغة، فأنكره جماعة واجتهدوا فى تأويل أمثلته تأويلاً يخرجها من باب التضـــاد، وعلى رأس هؤلاء ابن درستويه (ت: ٣٤٧ هـــ) فقد ألف كتابًا أسماه: "فى إبطال الأضداد "[2] ، أما المثبتون فهم أكثر أهل اللغة، ومنهم: الخليل، وسيبويه، وأبو زيد الأنصارى، وابن فارس، وابن سيدة، والثعالبى، والمبرد، والسيوطى. [3] وبعضهم ألف فى الأضداد، مثل: قطرب، والأصمعى، وأبى حاتـــم السجستانى وابن السِّكّيت الصَّنعـــانى، ابن الأنبـــارى... وغيرهم.

وتعرض اللغويون لأسباب نشأة التضاد، من اختلاف اللهجات، والمجاز والاستعارة، واشتمال الصيغة الصرفية على أكثر من معنى، وبعض العوامل الاجتماعية مثل: التهكُّم، التأدب، خوف الحسد ... إلخ.

التضاد عند المحدثين:

رغم أن التضاد بالمفهوم القديم موجود فى اللغة، إلا أنه لم يَحْظَ باهتمام ملحوظ من اللغويين المحدثين، اللهم إلا ما يأتى عرضًا عند بعضهم، مثل: *Ullmann* حين قال:

" من المعروف أن المعانى المتضادة للكلمة الواحدة قد تعيش جنبًا إلى جنب لقرون طويلة بدون إحداث أى إزعاج أو مضايقة"[4].

---

(١) الثعالبى: فقه اللغة: ص ٣٧١: ٣٧٢.

(٢) السيوطى: المزهر: ٣٦٩/١.

(٣) ابن سيده: المخصص: ٢٥٨/١٣ وما بعدها.

(٤) أولمان: دور الكلمة فى اللغة (الترجمة العربية): ص١١٩، ١٢٠.

وأخذ التضاد عند المحدثين مفهومًا مختلفًا للكلمة الواحدة عن المفهوم القديم فالتضاد عند المحدثين يعني: " وجود لفظين يختلفان نطقًا ويتضادان معنًى"[1] "والخاصية الأساسية لكلمتين بينهما تضاد أنهما يشتركان فى ملمح دلالى واحد وهناك ملمح دلالى لا يشتركان فيه، يكون موجودًا بإحداهما وغير موجود بالأخرى"،[2] مثل: مذكر، مؤنث : يشتركان فى الجنس، ويختلفان فى النوع.

والتضاد بالمعنى الحديث هو الواقع بين ألفاظ المجال الدلالى، وميز اللغويون المحدثون التضاد إلى أنواع متباينة، فنجد ***J.Lyons*** يفرق بين التضاد الحاد ***ungradable*** مثل (حى- ميت)، (متزوج- أعزب)، والتضاد المتدرج ***gradable***، وهذا النوع من التضاد نسبى، مثل: (ساخن- بارد)، فإن هناك درجات من السخونة والبرودة متعددة تجعل التضاد نسبيًّا.

وهناك التضاد العكسى، الذى يظهر بين أزواج الكلمات مثل: باع- اشترى دفع- أخذ. وهناك التضاد الاتجاهى الخاص بالاتجاهات: أعلى- أسفل، فوق- تحت ... إلخ. وهنـــاك أيضـــًا التضـــاد العمـــودى: شرق- غرب- شمال- جنوب ... إلخ [3].

٣- علاقة الاشتمال (التعمـــيم):

لاتقل هذه العلاقة أهمية عن علاقة الترادف والتضاد، وهى نوع من العلاقة بين الكلمات يمكن أن نطلق عليها " علاقة تَضَمُّن " [4]. وعلاقة الاشتمال تتميز عن علاقة

---

(1)An introduction to Language: Victoria Fromkin, Robert Rodman. – 3ed. New York: Holt, Rine. – hart and winston. 1978. – P. 176.

(٢) المرجع السابق: نفس الموضع.

(٣) د. أحمد مختار عمر: علم الدلالة: ص ١٠٠.

(4) *John Lyons: Semantics, P. 1, p. 291.*

الترادف بخاصية هامة، وهى أن علاقة التضمُّن هى الاشتمال من طرف واحد، على خلاف علاقة التضمن فى الترادف فهى من الجانبين [1].

ومثاله العلاقة بين ألفاظ المجال الدلالى واللفظة العامة التى تجمع المجال كله لعموم معناها، فمثلاً هناك علاقة تضمن بين دعا- قال، حيث إن الدعاء يتضمن معنى القول:

قال : اللفظ الأعم.

دعا : اللفظ الفرعى.

٤- علاقة التخصـــيص:

مثل علاقة اليد بالجسم، وهذه العلاقة نسبية، فاليد جزء والجسم كلٌ بالنسبة لليد، بينما الأصبع جزء من اليد، واليد كل بالنسبة للأصبع.

٥- التبايـــن:

وهو "عدم التضمن من طرفين"[2] وألفاظ القرابة توضح هذه العلاقة، نحو: "أب، أخ، أخت، عم، خال ...إلخ".

فمعانى هذه الألفاظ لا يتضمن أى منها لفظًا آخر. وعلى هذا فالعلاقة بين هذه الألفاظ علاقة تباين.

٢- نظرية الســـياق ***Context Theory***:

ركَّزت المدرسة الاجتماعية على دور السياق فى تحديد المعنى، فالكلمة يتحدد معناها من خلال السياق الذى ترد فيه، حيث إن للكلمة عدة استعمالات سياقية وكل سياق يظهر أو يحدد أحد هذه المعانى أو وجهًا منها، وكما يقول الفيلسوف الألمانى فتجنشتين *Wittgenstein*:

---

(١) د. أحمد مختار عمر، علم الدلالة : ص ٩٩.

(٢) د. أحمد مختار عمر، علم الدلالة : ص ١٠٥.

" معنى الكلمة يكمن فى استعمالها فى اللغة" ، وهو يقول أيضًا : "لا تسأل عن المعنى، ولكن سل عن الاستعمال" [١]. وتزعَّم "فيرث" فكرة السياق وأصَّل دراسة المعنى من خلال إطار منهجى، والسياق نوعان: لغوى، وغير لغوى.

أ- السياق اللغوى *Vebral Context*:

وفيه تراعى القيمة الدلالية المستوحاة من عناصر لغوية، فالكلمة يتحدد معناها من خلال علاقاتها مع الكلمات الأخرى فى النظم، وهذا لا يشتمل على الجملة وحدها، بل ينتظم الفقرة أو الصفحة أو الفصل أو الباب أو الكتاب كله.

والمثال على ذلك: الفعل " أكل " ومعانيه المتعددة من خلال السياقات القرآنية التالية[٢]:

١- ﴿ وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ ﴾ الفرقان/٧ .فالأكل هنا بمعنى التغذية

٢- ﴿ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ ﴾ يوسف/١٣ . فالأكل هنا بمعنى الافتراس.

٣- ﴿ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ﴾ الأعراف/٧.

فالأكل هنا بمعنى الرعى.

٤- ﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾ الحجرات/١٢.
فالأكل هنا بمعنى الغيبة.

٥- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا ﴾ النساء/١٠. فالأكل هنا بمعنى الاختلاس.

٦- ﴿ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ ﴾ آل عمران/١٨٣.فالأكل هنا بمعنى الإحراق.

---

(1) *Semantics: Theories of Meaning in Generative Grammer. P. 19.*

(٢) د. كريم زكى حسام الدين: أصول تراثية فى علم اللغة، ص ٧٢.

كذلك يمكن أن نمثل للسياق اللغوى بكلمة "عين" حين ترد فى سياقات لغوية متنوعة، وكل سياق يظهر ويحدد وجهًا من معانيها:

عين المــــاء : البــئر.

عين الدولة : الجاسوس.

عليه العين : الاهتمام.

تأجير العين : المكـــان.

عينـــه فيها : الرغبة.

أحطه فى عينى: الرعاية.

إدّالُو عين : الحسد.

عينه هاتطلع : الغيظ والضيق.

عينى فى عينك: المواجهة.

عينى عينَك : بوضـــوح.

وهكذا فقد تعددت المعانى لكلمة "عين" وحدد كل سياق أحد هذه المعانى.

ومن السياق اللغوى ما يسمى "المصاحبات اللفظية"، أو "التلازم اللفظى" *Collocation*، ويعرفه *Firth* بأنـــه:

"الارتباط الاعتيادى لكلمة ما فى لغة ما، بكلمات أخرى معينة"، أو "استعمال وحدتين معجميتين منفصلتين، يأتى استعمالــهما عادة مرتبطتين الواحدة بالأخرى"(١)، ومن أمثلة ذلك كلمة "مجلس":

---

(١) د. أحمد مختار عمر: علم الدلالـــة: ص٧٤.

ـ مجلس علم	ـ مجلس الشعب.
ـ مجلس الكلية	ـ مجلس صـلح.
ـ مجلس الجامعة	ـ مجلس الإدارة.
ـ مجلس تأديب	ـ مجلس الأمن.

ومن هنا تظهر أهمية السياق اللغوى ودوره فى تحديد المعنى وفهمه.

ب- السياق غير اللغوى "سياق الموقف" *Context of Situation*:

وهو يمثل الظروف والملابسات والمواقف التى تم فيها الحدث اللغوى وتتصل به وهو ما أطلق عليه الدكتور بشر: "المسرح اللغوى"، ويسميه ***Firth***: "سياق الحال" ويعرفه بأنه: "جملة العناصر المكونة للموقف الكلامى، ومن هذه العناصر شخصية المتكلم والسامع، وتكوينهما الثقافى، وشخصيات من يشهد الكلام غير المتكلم والسامع ـ إن وجدوا ـ وبيان ما لذلك من علاقة بالسلوك اللغوى، والعوامل والظواهر الاجتماعية ذات العلاقة باللغة والسلوك اللغوى لمن يشارك فى الموقف الكلامى كحالة الجو إن كان لـها دخل، وكالوضع السياسى، وكمكان الكلام "[١].

ومن هنا نلمح أن السياق غير اللغوى يضم سياقات متنوعة مثل: السياق العاطفى، والسياق الثقافى، وسياق الموقف، ولكل واحد منها دور يسهم به فى تحديد المعنى، فدرجة الانفعال قوةً وضعفًا فى الحديث تؤثر فى تحديد المعنى، فقوة الانفعال تؤكد مثلاً دلالة "الغضب" أو دلالة "الفرح الشديد" أو دلالة "الحزن"، كذلك المحيط الثقافى لكلمةٍ ما يؤثر فى تحديد المعنى، فدلالة كلمة "جذر" عند الفلاح تختلف عن دلالتها عند اللغوى، وهى فى مجال الرياضيات بمعنى ثالث يختلف عن معناها عند الفلاح وعند

---

(١) د. محمود السعران: علم اللغة (مقدمة إلى القارئ العربى)، ص ٣٣٨.

اللغوى، وكلمة "التعدِّى" عند أهل اللغة لها دلالة تختلف عن دلالتهـــا عند رجال الشرطة والقضاء.

كذلك أطراف الموقف الكلامى تؤثر فى تحديد المعنى، فسؤال الأستاذ للتلميذ للاختبار والتقييم، أما سؤال التلميذ للأستاذ فهو للاستفادة وزيادة العلم أو إزالة الجهل.

أيضًا الموقف الذى يقع فيه الحدث الكلامى له اعتبار مهم فى تحديد المعنى فعبارة "السلام عليكم" تحية إسلامية، ولكن هذه العبارة قد تتحول إلى معنى المغاضبة والمقاطعة حين يحتدّ النقاش بين شخصين وييأس أحدهما من إقناع صاحبه، فيذهب مغاضبًا وهو يقول: "السلام عليكم"، فالمقام هنا يصرف معناها من كونها تحية إسلامية إلى دلالة المقاطعة والغضب"[1] .

كذلك عبارة " حمدًا لله على السلامة " تقال لمن قَدِمَ من سفر، بدلالة الترحيب والحفاوة، لكن العبارة نفسها تتحول إلى دلالة المعاتبة حين تصدر من رئيس لموظف غاب أو تأخر عن عمله.

كيف يدرس السياق غير اللغوى فى كلام مكتوب؟

التعرف على السياق غير اللغوى فى كلام مكتوب يتأتى من خلال الظروف والملابسات المصاحبة للنص، والمسجلة كتابة، وكلما كان الوصف المكتوب وافيًا فى بيان الموقف الذى تم فيه النص اللغوى، أصبح السياق غير اللغوى واضحًا، يقول د. تمام حسان:

" فإذا كان "المقال" لا يقع- فى أثناء قراءته فى وقت لاحق- فى مقامه الاجتماعى الذى كان له فى الأصل، فإن هذا المقام الأصيل من الممكن بل من الضرورى أن يعاد

---

(١) د. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها: ص ٣٤٥.

بناؤه فى صورة وصف له مكتوب، حتى يمكن للنص أن يفهم على وجهه الصحيح، وفى بناء هذا المقام الأصيل بناءً جديدًا بواسطة وصفه كما كان، لا بد من الرجوع إلى الثقافة عمومًا والتاريخ بصفة خاصة، وكلما كان وصف المقام أكثر تفصيلاً، كان المعنى الدلالى الذى نريد الوصول إليه أكثر وضوحًا فى النهاية"[1]. ولقد أكّدت المدرسة الاجتماعية دور السياق بنوعيه: (اللغوى وغير اللغوى) فى تحديد المعنى.

الســياق عند القدماء:

لقد فطن القدماء إلى فكرة السياق بنوعيه: اللغوى وغير اللغوى. ونظرية النظم عند عبد القاهر خير شاهد على معرفتهم بالسياق اللغوى، يقول عبد القاهر: "اعلم أن ليس (النظم) إلا أن تضع كلامك الوضع الذى يقتضيه (علم النحو)، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التى نـهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التى رسمت لك، فلا تخلّ بشىء منها"[2].

نلحظ هنا مدى الاهتمام بصحة الكلام، وصحة الكلام لاشك مرتبطة بصحة المعانى الناتجة عن فكرة الموقعية .. وهذا ســياق لغوى.

كذلك نجد للزمخشرى اهتمامًا واضحًا بالسياق اللغوى فى تفسيره "الكشاف" خاصة فى توجيه الإعراب، حيث يقدم أكثر من وجه للآية، ولكل وجه معنى ومثال ذلك ما قدمه من وجوه فى إعراب هذه الآية:

﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾[3] البقرة/٢ .

---

(١) د.تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها: ص ٣٤٦.

(٢) عبد القاهر الجرجانى: دلائل الإعجاز: ص ٨١.

(٣) الزمخشرى: الكشاف: ١٠٨/١.

أما اهتمام القدماء بالسياق غير اللغوى "سياق الموقف" فواضح عند البلاغيين حيث عرَّفوا البلاغة بأنــها:

"مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحــته"[(١)]، وذكر أبو هــلال العسكرى وغيره عبارة "لكل مقام مقال"[(٢)]، ودعا الجاحظ إلى مطابقة الكلام لمقتضى الحال وكرر ذلك فى كتبه، ونقل قولهم: "ومن علم حق المعنى أن يكون الاسم له طبقًا وتلك الحال له وفقًا.. ومدار الأمر على إفهام كل قوم بمقدار طاقتهم، والحمل عليهم وعلى أقدار منازلهم"[(٣)].

ونقل الجاحظ عن صحيفة بشر بن المعتمر قوله:

" ينبغى للمتكلم أن يعرف أقدار المعانى، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات"[(٤)] .

ونجد ابن خلدون أيضًا يهتدى إلى سياق الموقف، وهو سياق غير لغوى ويسميه "بساط الحال"، يقول ابن خلدون:

" الألفاظ بأعيانــها دالة على المعانى بأعيانها، ويبقى ما تقتضيه الأحوال- ويسمى بساط الحال - محتاجًا إلى ما يدل عليه، وكل معنى لا بد وأن تكتنفه أحوال تخصه، فيجب أن تعتبر تلك الأحوال فى تأدية المقصود؛ لأنــها صفاته"[(٥)].

---

(١) القزوينى، الإيضاح: ص١١.

(٢) رسائل الجاحظ: ٩٣/٢، الحيوان: ٤٣/٣، أبو هلال العسكرى: الصناعتين: ص٢١، ٢٧.

(٣) الجاحظ: البيــان والتبــين: ٩٣/١.

(٤) المرجع السابق: ١٣٨/١.

(٥) ابن خلدون، المقدمة: ص ٣٤٤، ٣٤٥.

ويظهر الاهتمام بالسياق عامة (لغوى ـــ غير لغوى) عند بشر بن المعتمر حيث يقول:

" وإنما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعـــة، مع موافقة الحال، وما يجـــب لكل مقام من المقال"[1].

ونلمح الاهتمام بالسياق غير اللغوى فى قوله: " ... مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام من المقال"، ويظهر الاهتمام بالسياق اللغوى فى قوله: "وإنما مدار الشرف على الصواب ....".

٣- نظرية التحليل التكويـــنى *Compositional Analysis Theory*:

حين يستخدم الباحث نظرية المجال الدلالى *Semantic Field* يحتاج- بعد تحديد ألفاظ المجال الدلالى وجمعها- إلى التمييز الدقيق بين معانى الكلمات داخل المجال، وهنا يأتى دور النظرية التحليلية، لتمد الباحث بأهم الملامح الدلالية، سواء تلك الملامح التى تشترك فيها ألفاظ المجال الدلالى، أو تلك الملامح التى تميز بين ألفاظ المجال الواحد، "حيث إن معنى الكلمة يتحدد عند أصحاب هذه النظرية بمجموع الملامح الدلالية التى تحملها"[2] ، لذلك عد *J. Lyons* "نظرية التحليل التكوينى" مكملة لنظرية "المجال الدلالى" وامتدادًا لـــها[3]، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى ثمة علاقة بين "نظرية التحليل التكوينى" و"النظرية السياقية"، حيث إن السياق خطوة تمهيدية لنظرية "التحليل التكوينى" ولقد عد *Ulmann* المنهج السياقى خطوة تمهيدية للمنهج التحليلى، حيث يرى أنه بعد أن يجمع المعجمى عددًا من السياقات الممثلة التى ترد فيها كلمة معينة،

---

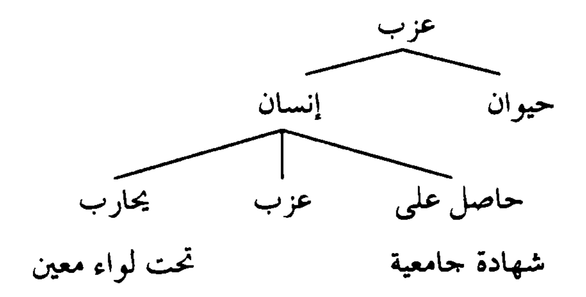
(١) الجاحظ: البيـــان والتبيين: ١٣٦/١.

(2) *John Lyons: Semantics, V. 1, p. 326, 327*

(٣) المرجع السابق: ٣٢٧/١.

وحينما يتوقف أى جمع آخر للسياقات عن إعطاء أى معلومات جديدة، يأتى الجانب العملى إلى نـــهايته، ويصبح المجال مفتوحًا أمام المنهج التحليلى"[1]، وهذا ما صنعه كل من *Fodor & Katz* حين قاما بتحليل تكوينى لمجموعة من الألفاظ التى تمثل كلُّ طائفة منها مجالاً دلاليًّا، مثل: الألفاظ الدالة على القرابة، الألفاظ الدالة على اللون من خلال السياقات التى ترد فيها، وبذلك اجتمع لديهم ثلاث نظريات للتحليل فى آن واحد: "نظرية المجال الدلالى"، و"نظرية السياق"، و"نظرية التحليل التكوينى".

ويتركز دور نظرية التحليل التكوينى فى تحديد الملامح الدلالية *Semantics Features* لمعنى كلمة من كلمات المجال الدلالى الواحد، وذلك من خلال استقراء السياقات التى ترد فيها الكلمة، فكما أن هناك ملامح دلالية تجمع طائفة من الكلمات فى مجال دلالى واحد، يمكن أن يطلق عليها "ملامح عامة"، فهناك أيضًا ملامح دلالية تميز كل كلمة داخل المجال الدلالى الخاص بها، ويمكن أن يطلق عليها "ملامح خاصة"، وهذه الملامح الخاصة هى التى تميز بين معانى كلمات المجال الدلالى الواحد وتُظهر الفروق الدقيقة بين معانى الكلمات المترادفة، وقد أورد *Katz& Fodor* أمثلة لتحديد معنى الكلمة بواسطة منهج التحليل التكوينى، مثل كلمة : عزب.



وعناصر هذا التحليل تتركز فى ثلاثة محاور:

---

(1) *Semantics: Theories of Meaning in Generative Grammer., p.65.*

١- الملامح النحوية: (اسم ، فعل، صفة، جمع، مفرد).

٢- الملامح الدلالية: (إنسان، حيوان، نبات ..إلخ).

٣- الملامح المميزة (السياقية).

ويمكن تنسيق الملامح الدلالية السابقة التى تمثل مكونات المعنى فى الجدول التالـــــى:

الكلمة / الملامح الدلالية	عزب	محارب	جامعى	فرس
إنســـان	+	+	+	−
حيوان	−	−	−	+
ذكر	+	+	+	−
بالغ	+	±	±	+
متزوج	−	±	±	−
حاصل على شهادة جامعية	±	±	+	−
يحارب تحت لواء	±	+	±	−
يعيش تحت الماء	−	−	−	+

التطور الدلالى

التطور اللغوى:

اللغة وسيلة وأداة يتواصل بها الأفراد والجماعات، ويعبرون بها عن شئون الحياة المختلفة، وحيث إن الحياة تتغير وتتطور على الدوام، فإن لهذا التطور والتغير صداه الواضح فى الأداة والوسيلة التى تستخدم للتعبير عن هذه النواحى المختلفة للحياة لذلك يعد التطور اللغوى من أكبر مظاهر حيوية اللغة، يقول *Ullmann*:

"اللغة ليست هامدة أو ساكنة، بحال من الأحوال، على الرغم من أن تقدمها قد يبدو بطيئًا فى بعض الأحايين"[١].

والتطور اللغوى بهذا المفهوم لا يستشير أحدًا، إنه ماضٍ فى طريقه، لأنه انعكاس مباشر لكل نواحى التغير فى شئون الحياة المختلفة، فاللغة مرآة للمجتمع كما أن التطور اللغوى لا يقف عند مستوى بعينه من المستويات اللغوية، بل يشمل المستويات اللغوية كلها، "فالأصوات والتراكيب والعناصر النحوية وصيغ الكلمات ومعانيها، معرضة كلها للتغير والتطور، ولكن سرعة الحركة والتغير فقط هى التى تختلف من فترة زمنية إلى أخرى، ومن قطاع إلى آخر من قطاعات اللغة"[٢].

والتطور اللغوى لا يقعِ اعتباطًا دون ضابط ولا نظام، بل يحدث وفقًا لاتجاهات عامة، وقواعد مطّردة، فكما أن هناك ما يسمى بالقوانين الصوتية، كذلك هنالك قوانين المعنى[٣].

---

(١) أولمان: دور الكلمة فى اللغة: ص ١٧٠.

(٢) المرجع السابق: ص ١٧٠.

(٣) د. رمضان عبدالتواب: التطور اللغوى:ص ١٣،دور الكلمة فى اللغة : ص ٢٠٢ وما بعدها.

ويقع التطور اللغوى على مرحلتين [1]:

(١) **مرحلة التغير**: وهى مرحلة فردية، وتظهر فى الكلام الفعلى، وليس معنى أنها فردية أنها تقع من فرد واحد، فقد تقع من أفراد، فلا غرابة أن يقع الخاطر على الخاطر، وأن تصادف الفكرة الفكرة، وهذا التغير قد يكون مقصودًا كما فى عمل الأدباء والمجامع اللغوية، أو غير مقصود: من الناطقين أنفسهم.

(٢) **مرحلة انتشار التغير**: وهى مرحلة جماعية، فاستعمال هذا المتغير بين الجماعة اللغوية يحقق له الانتشار.

ويستخدم لفظ التطور عند اللغويين المحدثين ، بمعنى مطلق التغير، سواء أكان هذا التغير سلبيًّا أم إيجابيًّا[2]، يقول يسبرسن:

" من رأى علماء اللغة أن المقصود بالتطور ***Development*** فى اللغة لا يصح أن يلصق به المعنى المشهور فى الأمور الأخرى، بأنه اتجاه تقدمى نحو الكمال، فى مقابل من يصرون على اعتبار التغير تقهقرًا إلى الوراء أكثر منه اتجاهًا إلى التقدم، إذ يقصد بالتطور ببساطة: أنه تغير مستمر فى اللغة، بدون حكم على قيمة هذا التغير"[3].

واللغة العربية كسائر اللغات الحية، تخضع لسنة التطور، فلقد استوعبت اللغة العربية قديمًا أول تجربة لها وهى تواجه الحضارة الإسلامية، ثم واجهت الحضارات المختلفة عبر العصور المتعاقبة، وهى لا تعجز عن الوفاء بالتعبير عن كل جديد من

---

(١) أولمان: دور الكلمة فى اللغة (الترجمة العربية): ص ١٧٠.

(٢) د. إبراهيم السامرائى: التطور اللغوى التاريخى: ص ٢٩، د.عبدالصبور شاهين: فى التطور اللغوى: ص ٩.

(٣) د. محمد عيد: المظاهر الطارئة على الفصحى: ص ٤٥.

مواليد الحضارات المختلفة والثقافات المتعددة، والتجربة الحديثة التى تواجهها العربية المعاصرة تدفعها إلى لون من التطور للوفاء باحتياجات الحضارة واستيعاب كل جديد فيها.

التطور الدلالـــى *Semantic Development*:

التطور اللغوى يكون أوضح ما يكون فى المستوى الدلالى، لأنه الجانب الذى يربط بين اللغة والواقع ربطًا مباشرًا، ويصوغ العلاقة الرمزية بينهما صياغة تجريدية على هذا النحو:

الدال (اللفظ) / المدلول (الشىء).

ولما كانت المدلولات (الأشياء) متطورة وكان من طبيعتها التغير والتحول من زمن إلى زمن، ومن حضارة إلى حضارة، كانت الدوال "الألفاظ" متطورة باطراد متناسب مع ما يلابس المدلولات من تحولات وتغيرات، يقول *J. Lyons*:

" إن الثروة اللفظية للغة عبارة عن نسق متكامل من المواد المعجمية التى ترتبط بالمعانى، هذا النسق فى تدفق ثابت، فنحن لا نجد المواد المعجمية التى كانت موجودة من قبل تختفى ثم تحل محلها مواد جديدة عبر تاريخ اللغة فحسب، بل إن علاقات المعنى التى تقع بين مادة معجمية بعينها وغيرها من المواد المجاورة فى النسق فى تغير مستمر عبر الزمن أيضًا، وأى اتساع فى معنى إحدى المواد المعجمية يتضمن تضييقًا مماثلاً فى مادة أو أكثر من المواد المجاورة لها "[1].

(1) *John Lyons: Semantics , v.1, p. 252.*

التطور الدلالى بين القدماء والمحدثين:

البحوث الدلالية- عامة- بحوث قديمة حديثة، فهى قديمة لأن العرب لهم جهود فى هذا المجال، ونلمح أثرها فى كثير من كتبهم، وهى أيضًا حديثة لأنها قد استحدثت أنماطًا وطرقًا لبحث العلاقات الدلالية بين الكلمات.

ولقد عالج القدماء التغير الدلالى فى اتجاهين:

الأول: تمثل فى الحرص الشديد حفاظًا على اللغة، فوضعوا حدودًا زمانية ومكانية ينتهى عندها قبول الاستعمال الجديد الذى سموه مولّدًا، لأنه لم يسمع عن العرب الذين يحتج بهم، وعدُّوا كل تغير لا يوافق الاستعمال العربى – داخل الحدود الزمانية والمكانية التى وضعوها – لحنًا، وتوفرت جهود اللغويين القدماء لمقاومة هذا اللحن، بدءًا من القرن الثانى الهجرى، وألّفت فيه عشرات الكتب حصر منها أحد الباحثين ثلاثين مؤلفًا[(١)]، وهذا واحد من عمد اللغويين القدماء وهو ابن فارس، يذكر أن أى تغير يطرأ على المعنى موقوف على ما سمع، حيث قال بعد أن ذكر طائفة من الألفاظ التى غيرت العرب معانيها :"وكل ذلك عندنا توقيف على ما احتججنا له"[(٢)].

وهذا يكشف لنا عن أن قيود اللغويين القدماء لقبول أى استعمال لغوى جديد، لم تمنع حركة التطور الدلالى ، ولعل ذلك كان من بين الأسباب التى دفعت اللغويين المحدثين إلى قبول المولد الذى جرى "على أقيسة العرب من مجاز ، أو اشتقاق ، أو نحوها، كاصطلاحات العلوم والصناعات وغير ذلك، وحكمه أنه عربى سائغ"[(٣)].

---

(١) د. محمد عيد: المظاهر الطارئة فى الفصحى، ص ٣٣: ٣٤.

(٢) ابن فارس: الصاحبى فى فقه اللغة، تحقيق: مصطفى الشربينى، ص ٩٦.

(٣) مجموعة القرارات العلمية من الدورة الأولى إلى الدورة الثامنة والعشرين، مجمع اللغة العربية، القاهرة: ص ٦.

الثانى: أنهم عدوا كل تغير يوافق الاستعمال العربى داخل الحدود الزمانية والمكانية من باب المجاز[1].

مظاهر التغير الدلالى:

تحديد طرق تغير المعنى يُعد ثمرةً لجهود اللغويين المحدثين، حيث أفادت دراساتهم عن التطور الدلالى حصر مظاهر رئيسية لهذا التطور، وهى:

١- توسيع المعنى (التعميم) *Widening*.

٢- تضييق المعنى (التخصيص) *Narrowing*.

٣- انتقال المعنى.

٤- مظاهر أخرى.

١- توسيع المعنى:

يقصد به تعميم معنى الكلمة، وذلك بنقله من معنى خاص ضيق إلى معنى عام أوسع وأشمل، ويحدث هذا بإسقاط بعض الملامح الدلالية للكلمة[2]، فكلمة "أب" حين تطلق على كل رجل، يسقط عنها ملمح القرابة، ويبقى ملمحا الذكورة والبلوغ، وتعميم الدلالات أقل شيوعًا فى اللغات من تخصيصها، وأقل أثرًا فى تطور الدلالات وتغيرها[3]، ويذكر فندريس أن التعميم ينحصر فى إطلاق اسم نوع خاص من أنواع الجنس على الجنس كله، ويمثل فندريس لهذا المظهر بحال الأطفال الذين يسمون جميع الأنهار باسم النهر الذى يروى البلدة التى يعيشون فيها، مثل الطفل

---

(٢) يحيى بن حمزة العلوى: الطراز: ١/٦٣ وما بعدها.

(٣) هذا على اعتبار تعريف *j. Lyons* للكلمة من أنها عبارة عن مجموع الملامح الدلالية لها.

(١) د. إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ: ص ١٥٤.

الباريسى عندما يصيح وقد رأى نهرًا: "أرى سينًا"[١]، ويمثل له *Ulmann* بالكلمة الإنجليزية *Arrive* فإنها انحدرت عن الأصل اللاتينى *Adripare* بمعنى يصل إلى الشاطئ، وهذه الأخيرة ترجع بدورها إلى *Ripa* أى: شاطئ، فهذه الكلمة كانت فى الأصل مصطلحًا بحريًّا لا يجوز استعماله إلا فى معنى الوصول إلى الميناء، أما الآن فقد اتسع نطاق استعمالها حتى أصبحت تشمل عددًا ضخمًا من أنواع الوصول، سواء أكان ذلك على القدم أم بأى وسيلة"[٢].

وفى اللغة العربية نلحظ ما يشبه تعميم الدلالات لدى الأطفال حين يطلقون اسم الشىء على كل ما يشبهه، لأدنى ملابسة أو مماثلة، وذلك لقصور محصولهم اللغوى، وقد يطلق الطفل لفظ "الأب" على كل رجل يشبه أباه فى هيئته، وقد يطلق لفظ "الأم" على كل امرأة تشبه أمه فى هيئتها"[٣].

وقد عقد السيوطى مبحثًا فى كتابه "المزهر" عنوانه: " فيما وضع فى الأصل خاصًّا ثم استعمل عامًّا"[٤].

وأرى أن توسيع المعنى وإن كان يمثل مظهرًا من مظاهر التطور الدلالى وسبيلاً للتوسع اللغوى من ناحية، فإنه – من ناحية أخرى – يمثل أحيانًا شاهدًا على العجز اللغوى (خاصة لدى عامة الناس)، والمشاهد لواقع اللغة عند العامة يجد ألفاظًا تستخدمها العامة بتعميم لا ضابط له ولا حدّ، من بين هذه الألفاظ على سبيل المثال

---

(١) فندريس: اللغة (الترجمة العربية): ص ٢٥٨.

(٢) أولمان: دور الكلمة فى اللغة (الترجمة العربية): ص ١٨٠.

(٣) د. إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ: ص ١٥٥.

(٤) السيوطى: المزهر: ٤٢٩/١.

لفظة "بتاع"[1]، "الحاجة" حيث خرجت من معنى الاحتياج إلى معنى الأشياء التى نحتاجها، أى شىء.

وهكذا "الناس فى حياتهم العادية يكتفون بأقل قدر ممكن من الدلالات وتحديدها، وهم لذلك قد ينتقلون بالدلالة الخاصة إلى الدلالة العامة، إيثارًا للتيسير على أنفسهم، والتماسًا لأيسر السبل فى خطابهم"[2].

٢- تضييق المعنى "التخصيص":

ويقصد به تخصيص مجال دلالة الكلمة، ويحدث هذا بإضافة بعض الملامح الدلالية المميزة للكلمة، وهذا المظهر كثير الشيوع فى اللغات، ويمثل له أولمان ***Ulmann*** بالكلمة الإنجليزية ***Poison*** ومعناها: "السم"، وهى الكلمة نفسها ***pation*** "الجرعة من أى سائل"، ولكن الذى حدث هو أن الجرعات السامة دون غيرها هى التى استرعت الانتباه واستأثرت به، لسبب أو لآخر، وبهذا تحدد المدلول وأصبح مقصورًا على أشياء تقل فى عددها عما كانت عليه الكلمة فى الأصل إلى حد ملحوظ"[3]، ومن أمثلة هذا المظهر فى اللغة العربية الكثير، فقد تخصصت كلمة (الطهارة) وأصبحت تعنى الختان، وتخصصت كلمة (الحريم) فبعد أن كانت تطلق على كل محرم لا يمس أصبحت الآن تطلق على (النساء) ...إلخ[4].

ويلعب تخصيص المعنى دورًا كبيرًا فى مجال المصطلحات الفنية والعلمية، فكثير من العلوم تستدعى الكلمات وتجرّدها من معناها اللغوى، وتقصرها على معناها

---

(١) انظر: ص ٣١ من هذه الدراسة.

(٢) د. إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ: ص ١٥٥.

(٣) أولمان، دور الكلمة فى اللغة: (الترجمة العربية)، ص ١٨٠.

(٤) د. إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ: ص ١٥٤.

الاصطلاحى، حتى إن الكلمة الواحدة يصبح لها أكثر من معنى اصطلاحى، مثل: المضارع، يقصد به فى النحو: الفعل الدال على حدوث شىء فى زمن التكلُّم أو بعده، ويراد به فى العروض: بحر من بحور الشعر. كذلك كلمة (جذر) لها معنى اصطلاحى فى علم اللغة يختلف عنه فى علم الرياضيات، أيضًا ما حدث لكثير من الألفاظ الدينية مثل: الصلاة، الزكاة، الحج، الصوم، ..إلخ. حيث تحولت دلالتها من المعنى اللغوى العام إلى المعنى الاصطلاحى الخاص، وقد عقد السيوطى مبحثًا فى كتابه: "المزهر"، عنوانه: "فيما وضع عامًّا واستعمل خاصًّا"(١).

٣- انتقـــال المعـــنى:

ويقصد به الانتقال بالكلمة من معناها الأصلى إلى معنى آخر بينه وبين المعنى الأصلى علاقة، فإن كانت هذه العلاقة علاقة مشابهة بين المعنيين فهى "الاستعارة"، وإن كانت هذه العلاقة غير المشابهة بين المعنيين فهى المجاز المرسل.

والفرق بين هذا المظهر "انتقال المعنى" والمظهرين السابقين "تخصيص المعنى، وتعميم المعنى" يوضحه فندريس بقوله:

"وهناك انتقال عندما يتعادل المعنيان، أو إذا كانا لا يختلفان من جهة العموم والخصوص، كما فى حالة انتقال الكلمة من المحلّ إلى الحالّ، أو من السبب إلى المسبَّب، أو من العلامة الدالة إلى الشىء المدلول عليه..إلخ، ولسنا فى حاجة إلى القول بأن الاتساع والتضييق ينشئان من الانتقال فى أغلب الأحيان، وأن انتقال المعنى يتضمن طرائق شتى، يطلق عليها النحاة أسماء اصطلاحية: الاستعارة، المجاز المرسل بوجـــه عام" (٢).

---

(١) السيوطى: المزهر : ١/٤٣٣.

(٢) فندريس: اللغة، (الترجمة العربية): ص ٢٥٦.

وهناك فرقٌ آخر بين انتقال المعنى وتوسيع المعنى وتضييقه يحدده فندريس بقوله:

" التوسيع والتضييق يتم بصورة غير شعورية، أما انتقال المعنى فيتم بصورة قصدية، لمقصد أدبى فى الأعم الأغلب"[١].

واستعمال الكلمة بالمعنى الجديد على سبيل المجاز لا يلبث مع كثرة الاستعمال أن ينتشر بين الناس، وتتحول الدلالة المجازية إلى حقيقة، وقد أثبت اللغويون ملاحظاتهم بأن تغير الدلالات يكون فى الانتقال من الدلالات الحسية إلى الدلالات المعنوية (المجازية)، والمسافة بين المعنى الحقيقى (الحسى) والمعنى المجازى (المعنوى) تمثل رحلة تغير الكلمة من الحقيقة إلى المجاز.

وقد ميَّــز اللغويون بين نوعين من انتقال المعنى، وقام هذا التمييز على أساس نوع العلاقة بين المعنيين، وهمــا:

أ- انتقال المعنى لعلاقة المشابهة بين المدلولين.

ب- انتقال المعنى لعلاقة غير المشابهة بين المدلولين.

أ- انتقال المعنى لعلاقة المشابهة بين المدلولين، أى بسبب الاستعارة:

وقد وضَّح *Ullmann* هذا النوع بقوله:

إننا حين نتحدث عن عين الإبرة نكون قد استعملنا اللفظ الدال على عين الإنسان استعمالاً مجازيًا، أما الذى سوَّغ لنا ذلك فهو شدة التشابه بين هذا العضو والثقب الذى ينفذ الخيط من خلاله"[٢].

---

(١) فندريس: اللغة، (الترجمة العربية): ص ٢٥٦.

(٢) أولمان: دور الكلمة فى اللغة (الترجمة العربية)، ص ١٨٣.

ويبين *Ullmann* أن هناك نوعًا آخر من الاستعارة يعتمد على التشابه فى الشعور، فيقول:

"وهناك نوع آخر من الاستعارة يعتمد على التشابه فى الشعور نحو جانبى الاستعارة، وفى نوع الإحساس بها، أكثر من اعتماده على التشابه فى الخصائص الجوهرية"[1].

وذلك كما فى قولنا: تحية عطرة، كلام بارد، حوار ساخن ...إلخ، فهنا يوجد الإحساس بأن هناك تشابهًا بين التحية الطيبة وبين العطر، وبين الكلام الهادئ غير المؤثر والبرد، وبين الحوار المملوء بالانفعال والحيوية والسخونة.

ب- انتقال المعنى لعلاقة غير المشابهة بين المدلولين، وهو المجاز المرسل:

والمجاز المرسل طريق من طرق التطور الدلالى، ويوضحه *Ullmann* بقوله:

"كلمة: *Bureau* (مكتب) قد يكون معناها اليوم: المكتب الذى يجلس إليه الإنسان ويكتب عليه، المصلحة الحكومية، أو المكان الذى تدار منه الأعمال، ومن الواضح أنه ليست هناك مشابهة بين المدلولين، ولكن بينهما ارتباطًا من نوع آخر، فالمكتب الذى نكتب عليه يوضع فى الأماكن التى تدار منها الأعمال، وعلى هذا فالفكرتان مرتبطتان بعضهما ببعض، فى ذهن المتكلم، أو قل: إنهما ينتميان إلى مجال عقلى واحد. هذا هو التفسير النفسى لذلك النوع من المجاز المعروف بالمجاز المرسل"[2].

وللمجاز المرسل صور متعددة، وذلك بسبب تعدد علاقاته، فإطلاق الكلمة على الجملة، من قبيل إطلاق الجزء على الكل، فالعلاقة هنا جزئية، وذلك فى مثل: ألقى الرجل كلمة فى الحفل.

---

(١) أولمان: دور الكلمة فى اللغة (الترجمة العربية): ص ١٨٣.

(٢) المرجع السابق: ص ١٨٨.

وإطلاق اللسان على اللغة من قبيل إطلاق الأداة على الشيء، فالعلاقة هنا آلية، وإطلاق محل حدوث الشيء على الشيء نفسه، فالعلاقة هنا هى المحلية، فى مثل: تفوه الرجل بكلام طيب.

فالفم محل للكلام، وعلاقة السببية واضحة فى مثل الألفاظ: نبَّه، أيقظ، شوَّق حيث إن القول هنا سبب لحدوث فعل التنبيه واليقظة والشوق.

واعتبار العلاقة الزمانية يتضح فى مثل: يصبِّح عليه، يمسِّى، المسحراتى، فدلالة الكلام هنا ارتبطت بزمن محدد، وهو على الترتيب: الصباح، المساء، السحر.

واعتبار ما سيكون يلمح عندما نخاطب بعض التلاميذ النبهاء فى فن خاص بـــ"يا شاعر".. إلخ.

٤- مظاهــــر أخــــرى:

هناك مظاهر أخرى لتغير المعنى، منها:

أ- المبالغـــة:

اعتبرها *Ullmann* "مسئولة عن الشعارات المذهبية والاصطلاحات الخادعة التى تستغلها أجهزة الدعاية أسوأ استغلال، حتى إنها لا تلبث أن تؤدى إلى عكس المقصود منها"[١]، وذلك كما فى نحو:

"سعيد بشكل مخيف"، "ورائع بكل بساطة"، وقد عدها *Ullmann* من المجاز بيد أنها من وجهة النظر العربية أوسع من دائرة المجاز"[٢].

---

(١) أولمان، دور الكلمة فى اللغة (الترجمة العربية): ص ١٨٥.

(٢) أولمان، دور الكلمة فى اللغة: ص ١٨٥ (تعليق المترجم).

ب- رقى الدلالة أو انحطاطهـــا:

شرف الكلمة وقيمتها بين الجماعة اللغوية مستمد من قيمة معناها، فكلمة "لواء" مثلاً، لا تكمن قيمتها فى اللام والواو والألف والهمزة، فما هذه الحروف إلا رموز معبرة عن معنى اصطلح الناس عليه، وقيمة معناها تتجلى فى قيمة السلطة المخوَّلة لهذه الرتبة وفى قيمة المسئولية المنوطة بها، والفرق بين هذه الكلمة وكلمة "نقيب" ليس هو الفرق بين حروف الكلمتين، وإنما هو الفرق بين المعنى المشار إليه بكلمة "لواء" ومعنى كلمة "نقيب" المتمثل فى قيمة السلطة وقدر المسئولية المنوطتين بها.

ومع تطور الحياة وتغيرها تتغير دلالة بعض الكلمات، وقد يكون نصيب الكلمة من التغير أن تستعمل بمعنى قيمته أقل من قيمة معناها الأقدم، " إنه تحول من الأفضل إلى الأدنى، ويطلق عليه انحدار المعنى"[١] *Degeneration* أو انحطاط الدلالة"[٢] .

والمثال على ذلك: التعبير "طول اليد" : ورد فى الحديث النبوى الشريف بمعنى: السخاء والكرم والجود، حين سألت نساء النبى ﷺ: أينا أسرع لحاقًا بك يا رسول الله؟ فقال النبى ﷺ: "**أطولكن يدًا**"[٣]، فى حين أن الكلمة فى الوقت الحاضر قد تستعمل بمعنى السرقة.

كذلك اللفظة "ورد" تدل على نبات له أزهار جميلة المنظر ذكية الرائحة ولها ألوان جذابة، فى حين أصبح للكلمة دلالة أخرى فى بعض المطاعم فى هذا العصر، حيث يطلقونها على "البصل المجفف"، والفرق واضح فى مكانة كل معنى من المعنيين فى نفوس الجماعة اللغوية.

---

(١) أولمان: دور الكلمة فى اللغة، ص ١٨٥ (تعليق المترجم).

(٢) د. إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ، ص ١٥٦.

(٣) أخرجه البخارى (١٤٢٠)، مسلم (٢٤٥٢)، البيهقى فى الدلائل ٣٧٤/٦.

وكما قد يصيب الكلمة "انحطاط دلالى"، فقد يكون من نصيبها أن تنال دلالة أفضل من دلالتها التى كانت تستعمل بها، وهو ما يسمى برقى الدلالة أو تسامى الدلالة *Elevation* [1]، ويقصد به انتقال المعنى من الأدنى إلى الأفضل، والمثال على ذلك كلمة (قرآن)، وهى مصدر من الفعل قرأ بمعنى جمع الشىء بعضه إلى بعض، فى كلام العرب قبل الإسلام، وبمجىء الإسلام أطلقت على كلام الله تعالى "القرآن"، وفى هذا من سمو المعنى ورقيه ما لا يحتاج إلى بيان، كذلك كلمة "آية" استعملت فى كلام العرب قبل الإسلام بمعنى: العلامة، لكن دلالة الكلمة ارتقت درجة أفضل حين استعملها القرآن بمعنى الجملة من الكلام[٢].

أسباب تغير المعنى

ارتباط اللغة بالمجتمع ومتغيراته المتعددة، جعل الأسباب التى تؤدى إلى تغير المعنى عديدة ومتنوعة، ويمكن تصنيف هذه الأسباب إلى نوعين:

أ- أسباب لغوية.

ب- أسباب اجتماعية.

وهذا التقسيم لغرض الدراسة والبحث فقط، وإلا فالعوامل اللغوية والاجتماعية كلتاهما تعمل جنبًا إلى جنب فى آن واحد، ودون فصل بينهما فى الواقع اللغوى.

الأسباب اللغوية:

١- الحاجة:

مواليد الحياة المتنوعة- حسية كانت أو معنوية- تحتاج إلى أسماء تدل عليها، ويرجع اللغويون إلى كنوزهم اللغوية المتمثلة فى التراث اللغوى، ينتقون كلمات

---

(1) *Semantics: A New Outline, p.12.*

(٢) لسان العرب: مادة (ق ر أ)؛ مادة: (أ ى ا).

اندثرت فيعيدون إليها الحياة، ويسمون بها مواليد الحياة المختلفة، ومن هنا تظهر كلمات قديمة قد لبست ثيابًا جديدة من المعنى، ومثل ذلك: الجريدة، الصحيفة والوظيفة والقطار والتسجيل...إلخ.

وتتم هذه العملية على أيدى الموهوبين من الأدباء والشعراء والكتاب، كذلك للمجامع اللغوية دور مهم فى هذه العملية، وقد تدفع الحاجة إلى اللجوء إلى ألفاظ أجنبية للتعبير عن مواليد حضارية لمجتمعات أجنبية، ولعدم استيعاب المجتمع لهذا التقدم العلمى يجد نفسه مضطرًّا فى بعض الأحيان إلى عملية التعريب، وقد ينشأ عن ذلك وجود لفظ أجنبى بجوار لفظ أصيل، فيؤدى ذلك إلى الترادف، أو تصبح السيادة للفظ الأجنبى ويندثر اللفظ الأصيل(١).

٢- الاستعمال:

"إن المادة الأولية للغة ثابتة، ولكن أشكالها متغيرة، وليس من الممكن أن يتطرق الفناء أو الإماتة إلى المادة الخام، إلا إذا قضى الله ألا تكون اللغة ذاتها، فأما الأشكال فإنها تحيا وتموت، تحييها ضرورة تعبيرية، ويميتها انعدام هذه الضرورة، ثم تبعثها فى صورة أخرى ضرورة جديدة، وهكذا دواليك"(٢).

إن إعادة استعمال المادة القديمة فى معنى جديد _ سواء كان هذا المعنى خاصًّا أم عامًّا _ يجعلها تكتسب هذا المعنى الجديد الذى استعملت فيه.

ومثال ما شاع استعماله بين الناس فتحولت دلالته وعرف بالمعنى الجديد واندثر المعنى القديم له: الألفاظ التى كانت تدل على معانٍ عامة أو مطلقة، ثم جاء الإسلام فخصصها، مثل: الصلاة والصوم والزكاة والحج والمؤمن والكافر ...إلخ.

---

(١) د. إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ: ص ١٤٩ وما بعدها.

(٢) د. عبد الصبور شاهين: العربية لغة العلوم والتقنية: ص ٥٥.

كذلك الألفاظ التى كانت تدل على معان خاصة ثم جاء الإسلام فعممها مثل: اليأس، الرائد ...إلخ[1].

كما أن كثرة الاستعمال للكلمة فى معنى مجازى يؤدى إلى انقراض المعنى الأصلى لها، ويصبح معناها المجازى حقيقة، ومثال ذلك: "تحول معنى (المغفرة والغفران) من: الستر، إلى: الصفح عن الذنوب، وتحول معنى (الوغى) من: اختلاط الأصوات فى الحرب، إلى: الحرب نفسها، ومعنى (العقيقة) من: الشعر الذى يخرج على الولد من بطن أمه، إلى: ما يذبح عنه عند حلق ذلك الشعر"[2].

٣- الخطأ وســـوء الفهم:

قد ينتج عن الخطأ فى تطبيق القواعد أو سوء الفهم لها تغير دلالى، ومثال ذلك كلمة "ولد" تطلق فى اللغة العربية على المولود عامَّة مذكرًا كان أو مؤنثًا، لكن تذكير الصيغة الصرفية فى اللغة لكلمة "ولد" جعل معناها يرتبط فى الذهن بالمذكر وأصبحت تطلق على الذكر دون الأنثى فى كثير من اللهجات.

كذلك كلمة "زوج" حدث لها تغير دلالى لنفس السبب، وواضح من المثالين السابقين أن الخطأ فى تطبيق قواعد اللغة وسوء الفهم ليس إلا نتيجة للعملية الذهنية التى تسمى بالقياس الخاطىء[3].

٤- تغير مدلول الكلمة لتغير طبيعة الشىء الذى تدل عليه:

فكلمة "الريشة" مثلاً كانت تطلق على آلة الكتابة أيام أن كانت تتخذ من ريش الطيور، ولكن تغير مدلولها الأصلى تبعًا لتغير المادة المتخذة منها آلة الكتابة فأصبحت

---

(١) د. إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ: ص ١٥٥.

(٢) د. على عبد الواحد وافى: علم اللغة: ص ٣٢١.

(٣) د. إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ: ص ١٣٧.

تطلق على قطعة من المعدن مشكلة فى صورة خاصة[1]. كذلك نجد كلمات مثل: (القطار، البريد، الخاتم) تغير مدلولها لتغير طبيعة الأشياء التى كانت تدل عليها هذه الكلمات.

٥- تطور أصوات الكلمة:

"ثبات أصوات الكلمة يساعد على ثبات معناها، وتغيرها يذلل أحيانًا السبيل إلى تغيره"[2]، فكلمة "كماش" الفارسية، بمعنى نسيج من قطن حسن، قد تطورت فيها الكاف فأصبحت قافًا، فشابهت الكلمة العربية: "قماش" بمعنى: أراذل الناس وما وقع على الأرض من فتات الأشياء، ومتاع البيت، فأصبحت هذه الكلمة العربية، ذات دلالة جيدة على المنسوجات" [3].

٦- اختصار العبارة:

يؤدى اختصار العبارة إلى تغير دلالة الكلمة، وتشيع الدلالة الجديدة، وبعد عدة أجيال تصبح الصلة بينها وبين المعنى الجديد غير واضحة، مثال ذلك قولنا فى اللهجة العامية المصرية: "فلان من الذوات" أو " من أولاد الذوات " أى: من الأغنياء، فهذه الكلمة مختصرة بلا شك من عبارة" ذوات الأملاك"[4].

ب- الأسباب الاجتماعية (غير اللغوية):

"إن هناك عاملين يؤثران فى اللغة: عامل المجتمع، وعامل الفرد، ويمكن أن نعتبرهما عاملاً واحدًا هو عامل المجتمع، إذا ما رأينا أن المجتمع لا يؤثر إلا من خلال

---

(١) أولمان: دور الكلمة فى اللغة (الترجمة العربية): ص ٣٢٤.

(٢) المرجع السابق: ص ٣٢٢.

(٣) د. عبدالصبور شاهين: فى التطور اللغوى: ص ١١٢.

(٤) المرجع السابق: ص ١١٣.

الممارسات الفردية، ومن هنا يمكن أن نعترف بأن طروء بعض التغيرات فى العربية ضرورة لا معدى عنها"[١].

فاللغة هي الوعاء الذى تصب فيه التجربة والخبرة الإنسانية بوجه عام، فلا بد أن يختلف شكل هذا الوعاء باختلاف مضمون التجربة التى يتضمنها، وعلى هذا يمكننا أن نميز مستويات لغوية متمايزة بتمايز المضامين والخبرات التى تتشكل فى اللغة وتشكلها، فالتجربة الاجتماعية تطبع اللغة بطابع اجتماعى، والتجربة الفنية تفرض شكلاً لغويًا آخر، والتجربة الصوفية تصطنع لها لغة خاصة، مثل: نفحة وقطب ومدد والطريق والمريد والسالك...إلخ، كما أن الخبرة العملية والعقلية- بدورها- تنشئ لغة تناسب طبيعتها، فالخبرة الاجتماعية تميل إلى التوحيد، أى خلق بناء غير متمايز داخل المستوى الاجتماعى الواحد، فكل نشاط اجتماعى يتطلب مستوى محددًا يسهِّل عملية الاتصال بين أفراده، فنجد أن للتجار لغة (تجارية)، وللعمال لغة فرضتها طبيعة العمل والعلاقات القائمة بين الأفراد وبين الأفراد وبين المجتمع (بقية الطوائف الاجتماعية الأخرى)، مثل: مهموز، إسفين، زمبة، يهرش، يخلع...إلى آخر هذه القائمة من الألفاظ التى ارتبطت بطبقة الحرفيين والتجار فى المجتمع، والخارجين عن القوانين والأعراف (كاللصوص وتجار المخدرات ... ومن إليهم) لغة يسمونها: (سيم) وهى خاصة بهم، وتتميز بالغموض والخفاء تبعًا لطبيعة أنشطتهم، "فيسمى بعض اللصوص رجل الشرطة: حذاء، ويطلقون على الضحية: العم أو الزبون ويطلق السماسرة والمقامرون على رزمة النقود التى تبلغ ألفًا من الجنيهات: باكو[٢].

إن لهذه الطوائف والجماعات ما يمكن أن يطلق عليه: "اللغات الخاصة"[١].

---

(١) د. عبدالصبور شاهين: فى العربية لغة العلوم والتقنية: ص ٤٥.

(٢) المرجع السابق: ص ١١٨.

(٣) السابق نفســه: ص ١٧٤.

وللفنانين لغة تميل إلى الفردية والابتكار والانحراف أحيانًا، أما بالنسبة للنشاط العقلى العلمى، فلغته تتميز بالتحديد والوضوح، بل إن العلم (الطبيعى بخاصة) أصبحت له لغة ذات قاموس خاص، ويعتمد غالبًا على الأرقام والمعادلات، فى محاولة للخروج من خصوصية اللغة والتباسها وما تحمله كل لفظة من تراث ومضامين وظلال ربما تشوش على تحديد المعنى بالدقة التى تتطلبها طبيعة هذه العلوم من الموضوعية.

أيضًا اختلاف البيئة المكانية له دوره فى التغير اللغوى، فمثلاً: يطلق لفظ الشاب على العجل (من الجاموس) فى صعيد مصر، بينما يطلق على الفتى فى مدينة القاهرة وهكذا فقد تنحط دلالات بعض الألفاظ فى بيئة معينة، وقد تسمو دلالات هذه الألفاظ نفسها فى بيئة أخرى، وليس أدل على ذلك من دلالة كلمة كرسى، التى تتمتع بدلالة مقدسة عند علماء الشريعة الإسلامية؛ لما أعطاها الإسلام من دلالة رفيعة عالية ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ البقرة/ ٢٥٥ . هذا بخلاف معناها عند النجار وبخلاف معناها عند مدمنى المخدرات.

ولا يغفل دور وسائل الإعلام فى التطور اللغوى، فاللغة الإعلامية هى البادئة بالتطور، بحكم كونها لغة حضارية ولابد أن تطوّع نفسها للتعبير عن مقتضيات العصر، خاصة وأنها لغة إخبارية تختلف المادة التى تقدم من خلالها من مرحلة إلى أخرى، بل من لحظة إلى أخرى [١].

كما أن السرعة التى تتطلبها طبيعة اللغة الإخبارية تؤدى إلى البحث عن أقرب الكلمات إلى التعبير وإلى الفهم كليهما، وربما أدى ذلك إلى التسامح فى استخدام الألفاظ فى غير مواضعها أحيانًا، واللغة الإعلامية تحتاج إلى تعريف لمصدر الخبر، ولذلك نسح فيها اهتمامًا خاصًا بألفاظ الكلام، فمرة يقول المصدر، ومرة يؤكد، ومرة يعلّق، ومرة يصرّح ... إلخ.

---

(١) د. عبدالعزيز شرف: اللغة الإعلامية: ص ١٩١.

ولقد ساعدت الوسائل الإعلامية على انتشار ألفاظ بعينها؛ لمناسبتها للطبيعة الإخبارية، وجانب كبير من هذه الألفاظ مما يدل على الكلام، مثل: خبر، أخبر، مصدر، جريدة، ذكر، متحدث، صرح، أعرب، وضح، تحليل، تعليق، عرض، أشار، حذّر، ندّد، أدان، أنباء، أعلن، شجب، استنكر، مباحثات ..إلخ.

كما أن ارتباط الوسائل الإعلامية بالسياسة ونظام الحكم كان له الأثر الواضح فى نشر كثير من ألفاظ الكلام وتطورها، ففى المجال السياسى: مؤتمر، اتفاق، معاهدة، قرار، تأييد، رفض، تنديد، شجب، خطاب، بيان.

وارتباط هذه الوسائل أيضًا بالفنون وسّع انتشار ألفاظ كثيرة وأكسبها لونًا من التطور، مثل: برنامج، أغنية، تمثيلية، حوار ...إلخ.

أيضًا ارتباط هذه الوسائل بالقارئ أو المتلقى بوجه عام، أدى إلى استخدام لغة وسيطة بين الفصحى والعامية، وهذا يلمح فيها قدر كبير من التطور.

أوضح الدلالات التى تحملها الألفاظ فى الوسائل الإعلامية هى الدلالة الاصطلاحية، فمثلاً حين ترد لفظة "صرّح" نفهم منها أن مسئولاً كبيرًا أو شخصًا له أهميته وثقله هو الذى صرّح، وحين نقول: ندّد، نفهم أن هناك أزمة أو بوادر أزمة سياسية، وحين ترد كلمة: حوار، نفهم أن هناك علاقات طيبة بين البلدين المتحاورين، إلى آخر هذه الألفاظ التى لا نستطيع أن نردها كمخاطبين إلى أصولها القديمة، أو ما تحمله من دلالات وظلالات قديمة، فقط يعبُر الذهن بكل ما تحمله اللفظة من دلالات وظلال قديمة عبورًا سريعًا – إن طافت به أصلاً هذه الدلالات وتلك الظلال- ويتعامل مع التواضع الحديث للفظة، فحينما نسمع أو نقرأ لفظة: "قرار" لا يطوف بذهننا المعنى القديم (الذى يرجع إلى مجال الحركة)، ونفهم منه الدلالات الحديثة: كلمات تحدد شيئًا من أمور المجتمع يعلنها مسئول مختص.

يضاف إلى ذلك أن وسائل الإعلام أدخلت فى اللغة العربية ألفاظًا وتعبيرات أجنبية مثل: استراتيجية، فيتو، أوكى، كاريكاتير، بولوتيكا، بوليس، تياترو ..إلخ.

الفصل الثامن

تصنيف اللغـــات

والأسرات اللغوية

تصنيف اللغات

تمهـــيد:

وجدت اللغة البشرية مع آدم ــ عليه السلام ــ واتخاذه خليفة لله تعالى فى الأرض، ومع نمو البشرية وتزايدها وتفرقها فى أنحاء الأرض إلى جماعات، تطورت اللغة وتنوعت، وتميزت كل مجموعة بشرية بلغة مستقلة عن لغات المجموعات الأخرى[1].

ولقد لاحظ القدماء هذا التنوع اللغوى، وكانت كل جماعة ترى لغتها هى الأفضل وما عداها أدنى منها. فاليونانيون قسموا اللغات إلى يونانى وبربرى، والرومان قسموا العالم إلى رومانى وبربرى، والعرب قسموا العالم إلى عربى وأعجمى.

ولقد كان للإسلام أثر إيجابى بشأن اللغة؛ حيث حول نظرة العرب المسلمين إلى الاهتمام باللغات الأخرى. من ذلك اهتمام النبى ﷺ بصهيب الرومى[2]؛ لأنه كان يجيد لغة الروم، واستعان به ﷺ فى كثير من شئون الدعوة.

ومسألة اهتمام المسلمين باللغات الأخرى نشأت بسبب دافعين:

الأول: أن الإسلام دين عالمى؛ فالنبى محمد ﷺ أرسل للناس كافة؛ ومن هنا يصبح للغة دور أساسى فى نقل رسالة الإسلام إلى كل الشعوب التى لا تتحدث العربية.

الثـــانى: حماية الكيان الإسلامى من مكر الآخرين ومؤامراتهم، وفى الأثر: "من تعلم لغة قوم أمن مكرهم"[3].

---

(١) ماريو باى: لغات البشر (الترجمة العربية): ص٤٧.

(٢) صهيب كان عربيًّا خالصًا: نُمَـــيْرِىَّ الأب، تميمىُّ الأم.

راجع: الاستيعاب فى معرفة الأصحاب، أسد الغابة فى معرفة الصحابة.

(٣) د. كريم حسام الدين: الفصائل اللغوية: ص١٣٠.

ونتيجة لذلك رأينا اهتمام كثير من علماء اللغة والنحو المسلمين باللغات الأخرى مثل العبرية والفارسية واليونانية والتركية والهندية إلى جانب العربية، فنجد مثلاً سيبويه (ت١٨٠هـ) وتلميذه الأخفش الأوسط (ت٢١١هـ)، والسيرافى (ت٣٦٨هـ)، وغيرهم من علماء المسلمين، قد نشأوا فى بيئة ثنائية اللغة [١].

ونجد بعضهم يفطن إلى علاقة العربية بغيرها من اللغات السامية، مثل الخليل (ت ١٧٥هـ) حيث يقول: "وكنعان بن سام بن نوح ينسب إليه الكنعانيون، وكانوا يتكلمون بلغة تضارع العربية[٢].

وأبو حيان الأندلسى (ت٧٤٥هـ) اهتم بدراسة لغات أخرى مثل التركية والحبشية والفارسية، وصنف فيها كتبًا فى لغتها نحوها وصرفها"[٣].

وكذلك نجد الفقيه والأديب الأندلسى ابن حزم (ت ٤٥٦هـ) قد أدرك القرابة اللغوية للعربية واللغات السامية الأخرى، يظهر ذلك من قوله:

"فمن تدبر العربية والعبرانية والسريانية أيقن أن اختلافها إنما هو من نحو ما ذكرنا من تبديل ألفاظ الناس على طول الأزمان واختلاف البلدان ومجاورة الأمم".

إلى أن قال: "والذى وقفنا عليه وعلمناه يقينًا أن السريانية والعبرانية، والعربية التى هى لغة مضر وربيعة لغة واحدة تبدلت مساكن أهلها، فحدث فيها جرش كالذى يحدث من الأندلسى إذا رام نغمة أهل القيروان ومن القيروانىإذا رام نغمة الأندلس"[٤].

(١) الخليل: العين، تحقيق: د. عبدالله درويش: ١/٢٣٢.

(٢) منهج السالك فى الكلام على ألفية ابن مالك: ص ٢٣.

(٣) د. كريم حسام الدين: الفصائل اللغوية: ص ١٣١.

(٤) ابن حزم: الإحكام فى أصول الأحكام، تحقيق: أحمد شاكر: ١/ ٣٠ ،

د. كريم حسام الدين: الفصائل اللغوية: ص ١٣٢.

ومع القرن الثالث عشر بدأ الأهتمام بالدراسات المقارنة بغرض البحث عن نحو عالمى *Universal Grammar* يصلح لكل اللغات فى الإطار العام مع بقاء ملامح مميزة لنحو كل لغة، وازداد الاهتمام بالدراسات المقارنة فى القرن، السابع عشر، إلا أن الدراسات المقارنة فيه كانت تفتقر إلى المنهج العلمى، حتى جاء القرن الثامن عشر ولعب اكتشاف اللغة السنسكريتية دورًا كبيرًا لبدء الدراسات المقارنة التى تقوم على منهج علمى.

وكان من أهم نتائج الدراسات المقارنة تصنيف اللغات البشرية إلى أسرات لغوية، بناء على تحديد الملامح التى تشترك فيها مجموعة من اللغات التى ترتبط فيما بينها بعلاقة قرابة لغوية.

واستخدم اللغويون لذلك مصطلحات لغوية عديدة، من أهمها مصطلح "الأسرة *Family*"، حيث يتميز هذا المصطلح باستمرار استخدامه فى الدراسات اللغوية منذ القرن السابع عشر حتى الآن، حيث يُطلق على أى مجموعة من اللغات بينها تشابه فى العلاقات التاريخية، لكن إذا كانت العلاقة بين مجموعة من اللغات أقل تحديدًا أو ليست متقاربة بالقدر الكافى، فإنه يطلق عليها مصطلح آخر هو "الشعبة" أو "السلالة *Phylum*"، وفى بعض الأحيان يستخدم مصطلح *macro-phylum* على مجموعة من اللغات حين تكون أكثر عمومية وأقل تحديدًا.

فعلى سبيل المثال نجد أن اللغات الأسترالية الأصلية لغات متداخلة، ولكن لأنه لايوجد دليل تاريخى يوضح العلاقة بين هذه اللغات، فإنه يشار إليها بمصطلح *macro-phylum*[1].

---

(1) *The Cambridige Encyclopedia of language, David Crystal. P.297.*

اعتبارات تصنيف اللغات:

هناك اعتبارات عديدة لتصنيف اللغات؛ أهمها:

(١) اعتبار المكان (التصنيف الجغرافى):

وفيه توزع اللغات جغرافيًا على المناطق التى يسكنها أهل كل لغة حية، ويصادف هذا التوزيع بعض المشكلات؛ منها:

- صعوبة التمييز بين الناطقين بلغة محددة فى منطقة محددة من حيث: هل هذه لغتهم الأصلية، أم لغة ثانية بالنسبة لهم.
- أيضًا التداخل اللغوى الموجود بين سكان بعض المناطق، حين تتنوع اللغات التى ينطقها أهل منطقة ما، وبخاصة حين يكون هناك لغة رسمية للبلاد تختلف عن اللغة المستعملة بين الناس أو عن اللغة الدينية التى يمارسون بـــها شعائرهم الدينية.
- يضاف إلى هذا وجود أقليات فى أطراف بعض البلاد يصعب حصرها وتحديدها.

ورغم أن هذا التصنيف مفيد لإنجاز الجغرافيا اللغوية على مستوى العالم إلا أنه لا يقدم أى شىء عن قرابة هذه اللغات أو الصلة اللغوية التى تجمع بينها.

(٢) اعتبار شكل البنية والتركيب (التصنيف النمطى *Typological Classification*)

وهذا التصنيف يتبع الطريقة الوصفية، حيث يقوم على أساس الشكل الذى تستخدمه اللغة فى بناء الكلمات وتكوين الجمل. ومن خلال هذا التصنيف أمكن تمييز اللغات إلى المجموعات التالية:

(أ) اللغات الاشتقاقية (التصريفية *Inflectional*) :

وهى اللغات التى يقوم فيها توليد كلمات جديدة لدلالات جديدة عن طريق الاشتقاق الصياغى، ونقصد بالاشتقاق الصياغى صياغة بِنَيـــات أو أشكال جديدة

تختلف عن بنية الجذر، مع المحافظة على حروف الجذر وعلى نسقها الأصلى، فلا يتقدم حرف ولا يتأخر، وينبغى أن نميز بين هذا النوع من الاشتقاق وبين الاشتقاق اللصقى الذى يعتمد على مجرد إضافات صوتية تراكمية (سوابق ـــ لواحق) إلى الجذر، على نحو ما نجد فى الإنجليزية، وسيأتى بيانه.

واللغة العربية تعتبر أوضح مثال على اللغات الاشتقاقية (الاشتقاق الصياغى)، فتشتق من الكلمة (كتابة) الكلمات التالية، وهى: كتب، كاتب، مكتوب، كتاب، كُتب، مكتبة، مكتب.

فالجذر (ك ت ب) هو أصل المشتقات الأخرى، وإليه تعود دلالات مشتقاته بوجه من الوجوه، وبالتالى يمكن تمييز الكلمات الدخيلة التى لا يمكن إرجاعها إلى جذر من جذور العربية أو إلى إحدى صيغ العربية المعروفة.

(ب) اللغات الإلصاقية *Agglutinative* :

وهى اللغات التى يقوم فيها توليد كلمات جديدة لدلالات جديدة على إضافة السوابق أو اللواحق، وهو ما يعرف بالاشتقاق اللصقى. والإنجليزية أوضح مثال على هذا النوع من اللغات، على نحو ما نجـــد فى الكلمة (*Norm*) بإضافة بعض اللواحق مثل: (*all – ally – lize*) :

- *Norm + al* ⟶ *Normal*
- *Norm + ally* ⟶ *Normally*
- *Norm + lize* ⟶ *Normalize*

وأيضًا بإضافة بعض السوابق (*un – re – in*) للكلمات الآتية:

- *un + kind* ⟶ *unkind*
- *re + action* ⟶ *reaction*
- *in + action* ⟶ *inaction*

(ج) اللغات العازلة [1] (الـــمُفرِدة *isolating*) :

وهذه اللغات لا تتحدد فيها دلالات الكلمات عن طريق بنيتها، سواء عن طريق الاشتقاق الصياغى كما فى اللغات التصريفية، أو عن طريق الاشتقاق اللصقى كما فى اللغات الإلصاقية، وإنما تتحدد دلالات الكلمات بناء على الترتيب الذى تتخذه فى السياق أو التركيب، مثل ذلك الكلمة الصينية (*WÔ*) التى تحتمل بناء على موقعها أن تدل على ضمير المتكلم فى حالاته الإعرابية المختلفة: (*I – me – my – mine*).

(د) اللغات المُركَّبة [2] *Polysynthetic* أو *Incorporating* :

وهى التى تركَّب من وحدات صرفية (مورفيمات *morphemes*) متصلة فى شكل جملة واحدة، وتكون هذه الجملة هى الوحدة الكلامية، أى تقوم مقام الكلمة للدلالة على معنى، ولا يمكن أن يستدل على معنى الجملة من دلالات وحداتها الصرفية بمفردها؛ ومثال هذه اللغات:

العبارة : (*s – zak – i – si – nagia – g*) التى تعنى: أنا أبحث عن قرية.

وإذا نظرنا إلى الوحدات الصرفية المكونة للجملة السابقة نجد أن دلالاتها وهى مفردة كالتالى:

الرمز *g* معناه: أنا.

الرمز *nagia* معناه: مقيم.

الرمز *si*: أداة تعطى الكلمة التى بعدها صفة الاسمية، وبالتالى أصبحت كلمة *nagia* بعد الأداة *si* بمعنى: قرية.

---

(١) ماريو باى: أسس علم اللغة، ترجمة: د. أحمد مختار عمر: ص ٥٧.

(٢) المرجع السابق نفسه.

الرمز i : سابقة فعلية تدل على أن الكلمة التى بعدها zak فعل.

الرمز zak معناه: أبحث عن.

الرمز s يدل على الاستمرار.

وكل الرموز السابقة لا يمكن لأحدها أن يعطى معنى بمفرده.

تعقيــــب:

هذا التصنيف الشكلى، الحدود بين مجموعاته التصنيفية غير حاسمة، فهناك تداخل واضح بين أنواعه. فنجد مثلاً العربية لغة اشتقاقية فى الأعم الأغلب، لكنها أيضًا لغة إلصاقية تعتمد على السوابق واللواحق فى توليد كثير من الكلمات، فالسوابق مثل حروف المضارعة، وميم اسم المفعول واسم الفاعل من غير الثلاثى...إلخ.

ومثال اللــــواحق علامات الجمع الســـالم: (ون ، ين ، أت) وعلامـــات المثنى: (ين ، ان) ...إلخ.

ويمكن أن نرى فيها صفة اللغات العازلة التى تعتمد على الترتيب فى تحديد دلالات الكلمات، مثل: ضرب موسى عيسى.

(٣) اعتبار الزمـــن (التصنيف التاريخى):

التصنيف التاريخى للغات قائم على الافتراض القائل بأن اللغات مشتقة من سالف مشترك، ويستخدم هذا التصنيف البقايا الأولية المسطورة كدليل، وفى حالة عدم توفر هذا الدليل نلجأ إلى الاستنتاجات باستخدام الطريقة القياسية أو التشبيهية فى محاولة لإعادة تشكيل اللغة الأم، ولقد أثمر هذا التشكيل إنجازات منها تصنيف اللغات إلى أُسر وعائلات تقوم على أساس القرابة اللغوية بينها.

لقد كانت أول محاولة علمية لاكتشاف تاريخ لغات العالم فى نهاية القرن الثامن عشر، حين بدأ الباحثون دراسة مجموعات من اللغات باستخدام المنهج المقارن بهدف اكتشاف أوجه الشبه والخلاف بين هذه اللغات؛ ليكون ذلك سبيلاً لاختبار فرضية أن اللغات المتشابهة تطورت عن مصدر واحد.

ومع بداية القرن التاسع عشر واكتشاف اللغة السنسكريتية بالهند، وبمقارنتها باليونانية واللاتينية تأكد وجود قرابة لغوية بين هذه اللغات، وتقدم البحث خطوات فى مجال مقارنة اللغات الأوروبية المختلفة واللغات الإيرانية واللغات الهندية، وانتهت المقارنة إلى وجود أوجه شبه بين هذه اللغات فى البنية والمعجم، واتضحت بذلك ملامح أسرة لغوية كبيرة أطلق عليها: "أسرة اللغات الهندوأوروبية".

وبتطبيق المنهج المقارن فى بحث لغات أخرى ظهرت أُسَر أخرى.

الأسرات اللغوية *Language Family*

صنف العلماء اللغات الحية فى العالم التى تزيد على ٤٠٠٠ أربعة آلاف لغة إلى مايقرب من ٣٠ ثلاثين أسرة لغوية رئيسية[١].

وأكبر هذه الأسرات وأهمها:

١- أسرة اللغات الهندوأوروبية[٢].

٢- أسرة اللغات الأفروآسيوية.

٣- أسرة اللغات الأورالية الالتائية.

---

(1) The cambridige Encyclopedia of Language, David Crystal, P.290.

(٢) أسرة اللغات الهندوأوروبية تضم معظم لغات الدول الأوروبية مثل: الإنجليزية، والفرنسية، والألمانية، والأسبانية، وينتشر المتكلمون باللغات الهندوأوروبية فى مناطق أخرى من العالم بالإضافة إلى القارة الأوروبية. فالأسبانية مثلاً تستعمل فى الحديث فى وسط وجنوب أمريكا كلغة ثانية، بينما استعمالها فى الحديث كلغة أصلية (أم) يقتصر على أوروبا فقط.

ثم مجموعة أسر لغوية تستوعب لغات قارة أفريقيا مع أسرة اللغات الأفروآسيوية؛ وأهمها ثلاث أسر هى:

١- أسرة لغـــات البانـــتو.

٢- أسرة لغـــات النيجر الكونغو.

٣- أسرة اللغات النيلية الصحراوية.

وهناك أيضًا مجموعة أسرات لغوية فى آسيا والمحيطات، وتوجد أيضًا أسرة اللغات الإسترالية بالإضافة إلى مجموعات لغوية أخرى.

وسوف نتناول بالتوضيح أسرة اللغات الأفروآسيوية بفروعها المختلفة مع التركيز على الفرع اللغوى الذى تتبعه اللغة العربية.

أســـرة اللغات الأفروآسيوية

The Afro-Atatic Family of Language

تعرف هذه الأسرة باسم الحاسامية *Semitic–Hamito* وهى أكبر أسرة موجودة فى شمال أفريقيا وشرقها وفى جنوب ـــ غرب آسيا، وتحتوى هذه الأسرة على أكثر من ٢٠٠ لغة ولهجة[1].

وقد لاحظ اللغويون صلات القرابة اللغوية التى تجمع بين أسرة اللغات الأفروآسيوية، وأوضحها هى:

١- التمييز بين المذكر والمؤنث فى الصيغ الصرفية المختلفة فتستخدم التاء للتمييز بين المذكر والمؤنث على خلاف الطرق الأخرى التى تستخدمها لغات الأسر الأخرى للتمييز بين المذكر والمؤنث.

(1) *The cambridige Encyclopedia of Language, David Crystal, p.316.*

٢- استخدام عدد من الوحدات الصرفية بنفس الوظائف النحوية فى اللغات المختلفة مثل النون والكاف؛ فالنون تستخدم للربط بين الفعل وياء المتكلم مثلاً؛ كما فى: علّمنى.

الفعل	نون الوقاية	ياء المتكلم
علّم	ن	ى

٣- كثير من لغات الأسرة الأفروآسيوية تأتى السابقة الصرفية (الميم ــ m) عند صياغة اسم المكان واسم الآلة واسم الفاعل.

ففى العربية نجد: مسجد: اسم مكان، منفاخ: اسم آلة، مجتهد: اسم فاعل.

وأسرة اللغات الأفروآسيوية تضم خمسة أفرع؛ هى:

١- الفرع السامى. ٢- الفرع المصرى القديم.

٣- الفرع البربرى. ٤- الفرع التشادى.

٥- الفرع الكوشى.

وفيما يلى شىء من التوضيح لكل فرع من الأفرع السابقة:

١- فرع اللغات السامية

The Afro – Asianic Family of Language

تتميز اللغات السامية(١) بأن لها أطول تاريخ، حيث تعد من أقدم اللغات(٢) الإنسانية التى وصلت إلينا مدونة، كما تضم اللغات السامية أضخم عدد من المتحدثين على مستوى لغات الأسرة الأفروآسيوية، وهى أيضًا واسعة الانتشار، فتضم جنوب غرب أفريقيا، كما تضم المملكة العربية السعودية وفنـــزويلا، وكل شمال أفريقيا من المحيط الأطلنطى إلى البحر الأحمر(٣).

الخصائص المشتركة فى اللغات السامية:

تشترك اللغات السامية فى مجموعة من الخصائص اللغوية، وتشمل هذه الخصائص المستويات اللغوية:

المستوى الصوتى، المستوى الصرفى، المستوى النحوى، المستوى الدلالى.

---

(١) أطلق مصطلح "السامية" فى نهاية القرن الثامن عشر لدى العلماء الأوروبيين، وكان أول من استعمله هو العالم الألمانى شلوتزر وزميله أيكهورن، وذلك لأن الشعوب التى تتكلم اللغات السامية هى ــ فى الغالب ــ ضمن ذرية سام بن نوح (وهو فى العبرية شام *sam*)، كما جاء فى الفصل العاشر من سفر التكـــوين (راجع: د. عبدالصبور شاهين: فى التطور اللغوى: ص ٢٩).

(٢) فاللغة الأكادية فى أرض النهرين قد دونت منذ ٢٥٠٠ ق.م بالخط المسمارى، وقد نجح المستشرق الإنجليزى رولنسون *Roulinson* فى حل رمـــوز هذا الخط. (انظر: د. كريم حسام الدين: الفصائل اللغوية: ص ١٧٠).

(3) *David Crystal: The Cambridige Encyclopedia of language. p.317.*

(١) الخصائص الصوتية:

أ- وجود أصوات الحلق (ع، ح، غ، خ، هـــ، ء) فى مجموعة اللغات السامية ولكن بشكل متفاوت، فنجد أصوات الحلق كاملة فى اللغة العربية؛ فى حين نجد أن بعض اللغات السامية الأخرى فقدت بعض أصوات الحلق، فاللغة الأمهرية (إحدى لهجات العربية الجنوبية) فقدت صوت العين، واللغة العبرية فقدت صوتى العين والخاء، واللغة الأكادية فقدت معظم أصوات الحلق و لم يبق لها إلا الهمزة والخاء(١).

ب- وجود أصوات الإطباق (ص، ط، ض، ظ) فى مجموعة اللغات السامية. فتوجد فى اللغة العربية كاملة، فى حين تفقد معظم اللغات السامية أصوات الإطباق، كما تطورت بعض أصوات الإطباق فى بعض اللغات السامية، كتطور صوت الصاد فى العبرية بصورة تختلف اختلافًا قليلاً عن العربية(٢).

ولاحتواء العربية على كل من: أصوات الحلق، وأصوات الإطباق بصورة كاملة؛ تعد العربية أصدق صورة للغة السامية الأم فى مستواها الصوتى.

(٢) الخصائص الصرفـــية:

يقوم بناء الكلمة فى اللغات السامية على أســـاسين:

أ- الجذر اللغوى (أصل الكلمة) ويكون من الصوامت، ويرتبط به المعنى العام للكلمة، وتتكون جذور الكلمات فى الساميات من مادة ثلاثية، وما جاء من كلمات رباعية مثل: دحرج، زلزل، ترجم...إلخ، فهو راجع إلى المادة الثلاثية ومتفرع عنها، على رأى كثير من اللغويين، بل ذهب بعضهم إلى أن أصول الكلمات فى

(1) *David Crystal: The Cambridige Encyclopedia of language. p.321.*

(٢) د. محمود فهمى حجازى: مدخل إلى علم اللغة: ص ٨٣.

اللغات السامية ثنائية وليست ثلاثية ولا رباعية، وأن الثلاثى متفرع عن الثنائى[1].

ب- الحروف الصائتة التى بواسطتها يمكن توليد الصيغ المختلفة من الجذر اللغوى، ومنها يتشكل المعنى العام للجذر ويتنوع؛ فنجد من (ك ت ب) الصيغ التالية[2]:

(كُتِبَ، كاتب، مكتوب، كتاب، كتابة، مكتب، مكتبة...إلخ). وهذه الصيغ تعطى تنوعًا للمعنى العام للمادة (الجذر اللغوى)، كما أن الصيغة الواحدة مثل صيغة اسم الفاعل: (كاتب ـــ دارس)، تحدد جزءًا من دلالة الكلمة ليكون معنى جملة المفردات هو حصيلة المعنى العام للجذر مضافًا إليه معنى الصيغة.

ومن الملامح الصرفية المميزة للغات السامية أنها تصنف الأسماء باعتبار ثلاثة معايير: (الجنس، العدد، الحالة الإعرابية).

فتصنف الكلمات على اعتبار الجنس إلى مذكر ومؤنث، ولا يرتبط هذا التصنيف بطبيعة الأشياء، ولكنه مسألة لغوية ارتبطت بثقافات الشعوب السامية.

هذا فى حين نرى لغات غير سامية من أسرة اللغات الهندوأوروبية، مثل اللغة الألمانية التى تصنف الأسماء إلى مذكر ومؤنث ومحايد[3].

واعتبار العدد يصنف الكلمات إلى مفرد ومثنى وجمع ، فى حين أن اللغات الهندوأوروبية لا تعرف المثنى.

---

(١) راجع القضية بتفصيل فى كتاب الدكتور عبدالصبور شاهين: فى التطور اللغوى: ص ٧٥ وما بعدها.

(٢) راجع كتابنا: الصوائت والمعنى فى العربية: الفصل الأول.

(٣) د. محمود فهمى حجازى: مدخل إلى علم اللغة: ص ٨٤.

واعتبار الحالة الإعرابية يصنف الكلمات إلى ثلاثة أنماط من حيث النهاية الإعرابية للكلمة:

النمط الأول: الضم لحالة الرفع.

النمط الثانى: الفتح لحالة النصب.

النمط الثالث: الكسر لحالة الجر.

وتعد ظاهرة الإعراب أصيلة فى اللغات السامية ومميزة لها، وإن كانت قد اختفت فى معظم اللغات السامية.

(٣) الخصائص التركـــيبية:

تتميز الجملة العربية بظاهرة التركيب *Hypotaxis*، وتتمثل فى وجود جملة طويلة مركبة من جملة فرعية ومشتملة على أدوات ربط أو استثناء أو قصر.

(٤) الخصائص الدلالـــية:

يوجد عدد كبير من المفردات المشتركة فى كل اللغات السامية، وفيما يلى تصنيف لأهم المجموعات الدلالية لها[١]:

١- ألفاظ خاصة بجسم الإنسان؛ مثل: (رأس، عين، يد، رجل، شعر).

٢- ألفاظ خاصة بالنبات؛ مثل: (قمح، سنبلة ...إلخ).

٣- ألفاظ خاصة بالحيوان؛ مثل: (كلب، ذئب ...إلخ).

٤- بعض الألفاظ الأساســية؛ مثل: (ولد، مات، قام، زرع ...إلخ).

٥- الأعداد الأساسية: (من اثنين إلى عشرة).

٦- حروف الجر الأساسية: (من، فى، على ...إلخ).

---

(١) د. محمود فهمى حجازى: مدخل إلى علم اللغة: ص ٨٥.

العربية المعاصــــرة

تمهـــيد:

مصطلح العربية المعاصرة من المصطلحات التى ثار حولها نقاش وجدل بين أهل التخصص؛ البعض يرى أنه كان صدى للمصطلحات الأجنبية[1]، كما فى الإنجليزية *Modern English, Contemporary English*، وهذه المصطلحات فى الإنجليزية تعبر عن واقع موجود فيها؛ حيث يشير المصطلح إلى أمرين:

الأول: تحديد اللغة التى تدور على ألسنة المعاصرين.

الثانى: ويشير أيضًا إلى تغير هذه اللغة عن اللغة نفسها فى قرون سابقة؛ ففى الإنجليزية يعرف مصطلحان متقابلان: *Modern English, Old English*. والاختلاف جوهرى بينهما، للدرجة التى يعجز فيها الإنجليزى- من غير المتخصصين فى اللغة- أن يفهم الإنجليزية القديمة، ولعل هذا هو ما دعاهم إلى إعادة صياغة الأعمال الأدبية الخاصة بشكسبير؛ حتى يستطيع أن يتعامل معها الإنجليزى المعاصر.

والسؤال المطروح الآن: هل هذا المفهوم ينطبق على اللغة العربية؟ أو هل نقصد من استخدام مصطلح العربية المعاصرة أن العربية لها فترات متقطعة الأوصال، ويترتب

---

(١) د. عبدالله الطيبــى النجار: اللغة العربية المعاصرة، محاضر جلسات المجمع، الدورة٤٣، ١٩٧٨ ص ٢٢٥. وانظر:

- *George L. Dillon: Introduction of contemporary linguistic semantics, Indinna university.*
- *Neil Smith and Deirdre Wilson: Modern linguistics, Indiana university press, Bloomington.*

على ذلك القول بأن هناك عربية العصر الجاهلى، عربية صدر الإسلام عربية عصر بنى أمية... وهكذا، وكل منها له من الخصائص اللغوية ما يميزها عن غيرها ؟ أو هل هناك لغة قديمة مختلفة عن اللغة المعاصرة؟

هذا المفهوم ينطبق على اللغات عامة ويصدق عليها بفعل التغير اللغوى عبر الزمان والمكان؛ لكن العربية تمثل استثناءً يخرج عن هذا المفهوم وتلك القاعدة؛ فالعربية المعاصرة هى عربية القرون الماضية، وما حدث بها من تغير فمن اليسير رده إلى أصله، وأصدق دليل على هذا هو أن العربى المعاصر يستطيع فهم الشعر الجاهلى، والحديث النبوى، والقرآن الكريم، وهذه نصوص مر عليها أكثر من أربعة عشر قرنًا من الزمان.

وأمر آخر ينبغى الإشارة إليه، وهو أن مظاهر التغير فى اللغة العربية ـــ وبخاصة تلك التى تخرج على أصل القواعد الصحيحة ـــ لا تستقر ولا تستمر، بل تبدو كظاهرة مؤقتة لا تلبث أن تزول سريعًا، لأنه يتم التعامل معها على أنها ضربٌ من ضروب الخروج على القواعد اللغوية الصحيحة.

والسؤال الذى يفرض نفسه هو: ما سبب هذا الاستقرار الذى تتميز به العربية؟!

بوضوح ودقة يمكن الوقوف على سبب استقرار العربية وثبات معجمها وخصائصها التركيبية بالنظر إلى علاقتها بالقرآن الكريم، هذا النص المقدس الذى تتوالى قراءته وحفظه والاستشهاد به على مر القرون؛ فتلاوة القرآن الكريم بأحكامها بهذه المعايير والضوابط الصوتية المسجلة فى أحكام التلاوة، والمنقولة بالتلقى الحى والمشافهة من جيل إلى جيل، تجعل المسلم المعاصر يستشعر - وهو يطبق هذه الأحكام فى قراءته للقرآن بالتلقى والمشافهة - أنه يحاكى نطق رسول الله ﷺ للقرآن الكريم، ولم تشهد لغة من لغات الدنيا هذا الفضل.

وارتباط العربية بالقرآن - كنص لغوى معجز - جعل العرب فى كل القرون يتعاملون معه على أنه النموذج والقدوة التى يسيرون على هديها فى الكتابة، ويُعد الخروج عن قواعده اللغوية - وهى قواعد العربية - خطأ يشين فاعله؛ لأن للقرآن هيمنة على القلوب تقف سدًّا منيعًا أمام هذه التغيرات، فلا تجد ترحيبًا عند المتلقى مهما كان شأن المتحدث.

العربية بين الاستقرار والمرونة:

لكن هل معنى هذا الكلام أن العربية عصية على التغير، وبالتالى فهى لا تواكب متغيرات الحياة وتطورها، وليست بها المرونة التى تسمح باستيعاب الجديد من أمور الحياة؟!

لا ينبغى أن نفهم هذا المعنى هنا؛ لأن العربية استوعبت قديمًا — وما زالت تستوعب - كل جديد، ولكن دون تغير فى قواعدها وخصائصها اللغوية؛ فينبغى أن نفرق هنا بين أمرين:

الأول: أن يحدث تغير باللغة لا يمكن رده إلى أصله ويخرج على الإطار العام لقواعدها، فمثل هذا التغير يصل بنا مع مرور السنين إلى وجود مسافة شاسعة بين القديم والمعاصر، كما حدث ويحدث فى الإنجليزية وغيرها.

الثانى: حدوث تغير لغوى وفاء بحاجة المواليد الجديدة فى شتى أمور الحياة لكن هذا التغير لا يخرج عن الإطار العام لقواعد هذه اللغة، وهو ما حدث فى العربية ساعة نزول القرآن الكريم؛ فقد فجّر القرآن ثورة لغوية هائلة فى شتى نواحى العربية، لكنه لم يخرج بقواعدها عن أصلها، بل إن الصحابة كانوا يستعينون بالشعر الجاهلى فى تفسير القرآن الكريم.

من ذلك تفسير ابن عباس "الفتيل" فى قوله تعالى:

﴿ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ النساء/٤٩ . بمعنى: ما يكون فى شق النواة؛ واستشهد عليه بقول النابغة الذبيانى:

يجمعُ الجيشَ ذا الألوفِ ويغزو ثم لا يرزأ الأعادى فتيلا[١]

وتفسيره كلمة "ضيزى" فى الآية: ﴿ تِلۡكَ إِذٗا قِسۡمَةٞ ضِيزَىٰٓ ﴾ النجم/٢٢ . بمعنى: جائرة، واستشهد بقول امرئ القيس:

ضازت بنو أسدٍ بحكمِهِمُ إذْ يعدلونَ الرَّأس بالذنبِ[٢]

وفسر أبو عبيدة[٣] "يغـنَوْا" فى قولـه تعـالى: ﴿ كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَاۚ ﴾ الأعراف/٩٢ . بمعنى: الإقامة، واستشهد بقول المهلهل:

غنيت دارُنا تِهـامَةُ فى الدهـ ـر وفيها بنو معدٍّ حُلولا[٤]

وبنفس المعنى قال الطبرى فى تفسير قوله تعالى :

﴿ فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ ﴾ يونس/٢٤ . واستشهد بقول النابغة الذبيانى:

غَنيتْ بذلكَ إذْ هُمُ لى جـيرةٌ منها بعطف رسالة وتودُّد[٥]

---

(١) ديوان النابغة الذبيانى : ص ٦٨.

(٢) أبو حيان: البحر المحيط : ١٥٤/٨.

(٣) أبو عبيدة: مجاز القرآن : ٢٢١/١.

(٤) الطبرى: جامع البيان : ج ٩/ ص ٥.

(٥) الطبرى: جامع البيان : ١٠٢/١١.

الجذور العربية بين المعاجم والقرآن الكريم

فى السبعينيات تمَّ عمل إحصاء للغة العربية بالكمبيوتر(١) بشكل كامل، طبقًا لمعطيات معجم ضخم هو معجم المعاجم (تاج العروس)، وأظهرت الدراسة أن مادة اللغة العربية من ناحية الجذور فى حدود ١١٥٠٠ فقط، بكل ما أتت اللغة خلال الاثنى عشر قرنًا الماضية. وبمقارنة جذور القرآن بجذور العربية وجد أن مجموع جذور القرآن لا يزيد على ١٥% من جذور العربية، وأن جذور القرآن هى المادة المستعملة فى اللغة العربية من أول الإسلام حتى الآن، وأن الـــ ٨٥ % من لغة الجاهلية هذه كلها أصبحت فى مادة المعاجم، أما جذور القرآن الكريم فهى التى يجرى بها فكر هذه الأمة منذ نطقوا بعد رسول الله محمد ﷺ وبعد نزول القرآن إلى أيامنا هذه، وبحصر مفردات أى جريدة، أى بحث، أى مقال، أى مادة مكتوبة؛ فإنها لا تخرج عن مادة القرآن إلا بمقدار ٢% فقط، وهذا يعنى أن المادة الشائعة المهيمنة فى الكتابات والأحاديث العربية هى مادة القرآن، وتلتقى هذه الملاحظة مع ملاحظة ابن فارس فى كتابه "الصاحبى" التى تقول: إن القرآن فرض على الناس بيانًا خاصًا، فهم يقولون فى الشيء إذا وصفوه بالطول يقولون: طويل، ولا يقولون: أشق ولا أمق، وهما لا يردان فى استعمال الناس(٢) .

إذن فقد هيمن القرآن هذه اللغة وثبَّت مادتـــها؛ لأن مادة القرآن نحفظها جيلاً بعد جيل، ونرددها بطريقة واحدة وبأحكام للإتقان وللأداء واحدة، وهذا هو السر فى استمرار اللغة عبر خمسة عشر قرنًا حتى الآن وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها؛

---

(١) د. على حلمى موسى، د. عبد الصبور شاهين: دراسة إحصائية لجذور معجم تاج العروس باستخدام الكمبيوتر، - مطبوعات جامعة الكويت رقم ٣٢، ١٩٧٣.

(٢) ابن فارس: الصاحبى فى فقه اللغة، تحقيق مصطفى الشربينى: ص٩٨.

لأنها لغة القرآن، ولا نستطيع أن نقول: إن فيها ملامح من جاهلية ما قبل القرآن. فهذا كله سبق إلى قُرافَة المعاجم موجود ومحفوظ، أما كلمات القرآن فهى الكلمات التى انطبعت بها الألسنة فلانت بالاستعمال، ولذلك يعد حافظ القرآن حافظًا لكل اللغة التى نستخدمها فى عربيتنا، ولا يوجد شعب يحفظ كل لغته إلا الشعب المسلم، يقولون: إن من حفظ خمسمائة كلمة إنجليزية يتعامل مع الإنجليز ببساطة ومرونة، ومن حفظ خمسمائة كلمة فرنسية يستطيع أن يتحدث الفرنسية، أما فى العربية فنحن نحفظ متن اللغة كلها ونستطيع أن نستخدمها فى حياتنا كلها، وبذلك تتميز العربية الفصحى على سائر لغات الأرض؛ لأنها اختيار الله عز وجل لبيان كلامه المنــزَّل.

تحديد مصطلح العربية المعاصرة:

لا يقصد بالعربية المعاصرة معناها الواسع الذى يضم كل مستويات اللغة العربية وإنما المقصود بها المستوى الفصيح من اللغة، ووصفها بالمعاصرة للدقة فى التعبير عن اللغة التى تعاصرنا وتعيش على ألسنتنا، فالوصف "معاصرة" مأخوذ من: عاصر فلانًا، أى عاش معه فى عصر واحد[(١)].

ويطلق على العربية المعاصرة مصطلحات عديدة بين الباحثين، أشهرها: "الفصحى المعاصرة"[(٢)]، "فصحى العصر"[(٣)]، "والعربية المعاصرة"[(٤)]، و"العربية الفصحى الحديثة"[(٥)]، و"اللغة العربية المشتركة"[(٦)] ، و"اللغة العربيـــة المعاصرة"[(٧)]، و"العربيـــة الفصحى المعاصرة"[(٨)]، وغير ذلك من المصطلحات، فكل باحث يختار المصطلح الذى

---

(١) لسان العرب: مادة (ع ص ر).

(٢) د. شوقى ضيف: الفصحى المعاصرة، محاضر جلسات المجمع (الدورة ٤٤) ــ القاهرة: مجمع اللغة العربية، الإدارة العامة للتحرير، ١٩٧٨، ص١٩، والربط بين التراكيب،ص ٣٦.

(٣) د. السعيد بدوى: مستويات العربية المعاصرة فى مصر، ص ١٢٧.

(٤) د. عبـــدالصـــبور شاهين: علم اللغة العام، ص ٢٥٥، د. كمال بشر: دراســـات فى علم اللغة، ص ١٢٣، د.محمد محمد داود: ألفاظ الحركة فى العربية المعاصرة، رسالة دكتوراه، إشراف د.عبدالصبور شاهين.

(٥) ياروسلاف ستتكيفتش: العربية الفصحى الحديثة، (بحوث فى تطور الألفاظ والأساليب)، ترجمة وتعليق: د.محمد حسن عبدالعزيز، ١٩٨٥، (العنوان).

(٦) د.إبراهيم أنيس: مستقبل اللغة العربية، ص ٤٨.

(٧) د. محمد محمد داود: الألفاظ الدالة على الكلام فى اللغة العربية المعاصرة، دراسة دلالية وتأصيلية.

(٨) د. أحمد محمد قدرى: العربية الفصحى المعاصرة.

يفى بغرض بحثه، واختيارنا مصطلح العربية المعاصرة؛ لأمور ثلاثـــة:

١- إيثارًا للاختصار، وهو من سنن العربية، حين يدل الحال أو الموقف على الكلمة؛ فإنها تحذف للعلم بـــها[(١)].

٢- تحديد زمنها بالزمن المعاصر.

٣- استعمال كلمة فصحى قد يوحى بأننا سوف نشتغل بالقضية القديمة الجديدة: قضية الفصحى والعامية.

ســـمات العربية المعاصرة:

قامت العربية المعاصرة على أصول العربية الفصحى فى كل المستويات: الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، وعرفت العربية بأنها فصحى "كلاسيكية مستمرة"، مع تغير وتطور ضمن حدود لا تتجاوزها، على خلاف معظم اللغات الحية التى يمكن نظريًّا أن تتغير صفحة وجهها بصورة فيها تباين ملحوظ، يجعلها بعد أمد تقرب من أن تكون لغة أخرى[(٢)].

ومن المهم أن يلاحظ أن العربية تقوم أساسًا على الإعراب، الذى يعد خصيصة بارزة من خصائص الفصحى، وعلى صحة التراكيب النحوية، وعلى سلامة الأبنية الصرفية، والأداء الصوتى، أما المفردات فهى أكثر العناصر اللغوية قابلية للتطور فى

(١) من ذلك قول الله تعالى: ﴿**كل من عليها فان**﴾ الرحمن/٢٦، أى: من على الأرض، وقوله تعالى: ﴿**حتى توارت بالحجـــاب**﴾ ص/٣٢، يعنى: الشمس، وقوله تعالى: ﴿ **كلا إذا بلغت التراقى** ﴾ القيامة/٣٦ ، أى: الروح، وقوله تعالى: ﴿**واسأل القرية ...**﴾ يوسف/٨٢، أى: أهل القرية.

(٢) د. فايز الداية: الجوانب الدلالية فى نقد الشعر فى القرن الرابع الهجرى: ص ١١٩.

اللغات الإنسانية، لذلك يمكن أن نعد كل استعمال يحرص على الإعراب ويراعى القواعد الصرفية والصوتية أداءً، رغم تعدد مستويات الفصحى؛ فاللغة الفصحى تختلف باختلاف فنون الأدب: النثر، والشعر، والخطابة، والقصة. أما لغة أصحاب العلوم والقانون والاجتماع فكلامهم مجرد وسيلة، وترتب على ذلك أن أصبح لكل من هذه الفنون خصائصــه اللغوية فى النظــم والبنـــاء والتركيب(١)، لكن داخل إطار مستوى الفصحى.

نخلص من هذا إلى أن سلامة مستويات العربية المعاصرة من أهم سماتها التى تميزها عن العاميات الدارجة، التى تختلف فى درجة قربها من الفصحى أو بعدها عنها، لكن هذه السمة تنقلنا إلى سؤال مهم، وهو: هل هذه السلامة اللغوية فى العربية المعاصرة حاضرة فى الواقع اللغوى المنطوق والمكتوب على حد سواء؟

والذى دفع الباحث إلى هذا التساؤل هو أن العربية المعاصرة- فى الأعم الأغلب- لغة مكتوبة لا تنطق إلا فى مجالات محدودة وحدود ضيقة، حتى أطلق عليها "لغة الكتابة"، ووصفها الأستاذ محمود تيمور بأنها "لغة كتابة لا لغة كلام ولو كانت لغة كلام لعاشت فى السوق والبيت"(٢).

ورغم أن اللغة المكتوبة- وهى تمثل اللغة العربية المعاصرة هنا- تحظى ببعض المميزات، فهى أقل عرضة للتغير من المنطوقة، وعلى درجة عالية من التماسك؛ لأنها لغة معدة، ويمكن الرجوع إليها، وهى الأمين على معارف الأمة وعلومها، إلا أن اللغة المكتوبة لها عيوب مؤثرة، فهى محرومة من المسرح اللغوى وطريقة الأداء. وحرمانها

---

(١) انظر: د. محمد أحمد قدرى: العربية الفصحى المعاصرة، ص ١٨.

(٢) مجد محمد الباكير البرازى: مشكلات اللغة العربية المعاصرة: ص ٩.

من الجانب الصوتى يفقدها جانبًا مهمًّا من تأثيرها على المتلقى، "فالكلمة المطبوعة - من بين الوسائل الجماهيرية- هى الوسيلة الخالية من الصوت البشرى، وبخلوها منه تفقد العنصر الذى تستمد منه لغة السينما والإذاعة والتليفزيون دفئًا وتأثيرًا"[(١)].

ولا يقف الأمر عند عدم استعمال العربية المعاصرة فى شئون الحياة، بل تمتد المشكلة إلى أسلوب تعليم العربية المعاصرة، فمن المؤسف أن يتعلمها الطلبة كتابة وعن طريق القواعد والأحكام النظرية، و"اللغة مهارة لا تُتعلَّم عن طريق القواعد والأحكام النظرية أو دروس اللغة وحدها، وإنما تُتعلَّم عن طريق الاحتكاك والممارسة، والتطبيق والتدريب، بعد استكمال عدة الاستماع والاختزان، وكان من نتيجة ذلك أن أصبحت العربية المعاصرة: فرسًا حرونًا، وأداة عصية فى أيدى جمهور المتعلمين والمثقفين الذين لا يحسنون التعبير عن ذات أنفسهم"[(٢)].

وشيء آخر لا يُغفل عنه فى هذا المقام؛ وهو أن الكتابة محاولة تقريبية لتسجيل الواقع الصوتى، وهى لا تطابق الواقع الصوتى تمامـــًا ، وقد نتج عن هذا أمران:

الأول: تعدد احتمالات النطق للكلمة المكتوبة، ولا يتحدد نطقها إلا بعد فهم السياق[(٣)]. إننا فى اللغة العربية يجب أن نفهم أولاً لنقرأ قراءة صحيحة.

الثـــانى: أن القارئ الذى يتلقى الكلمة لأول مرة عن طريق العين يجتهد فى كيفية نطقها، وقد يصيب فى اجتهاده وقد يخطئ، وقد خلق هذا الاجتهاد فوضى واضطرابًا لا مثيل لهما فى أى لغة أخرى.

---

(١) د. عبد العزيز شرف: اللغة الإعلامية : وعلم الإعلام اللغوى: ص ١٨٨.

(٢) د. أحمد مختار عمر: اللغة العربية بين الموضوع والأداة: ١/١٤٥، مجلة فصول، مج ٤، ع٣، (أبريل، مايو، يونيو ١٩٨٤): ١/١٤٥.

(٣) المرجع السابق نفسه.

يضاف إلى ما سبق أن اللغة المكتوبة تتطلب مجهودًا للقراءة، وهو مجهود قد يصبح عبئًا على بعض الناس بسبب ما لديهم من عقبات عاطفية أو عيوب بدنية أو نقص فى التدريب[1]. وبالتالى "فإن اللغة المكتوبة وقف على من يحسن القراءة والمعرفة، كل هذا جعل العربية المعاصرة "اللغة المكتوبة" تعانى من صور التحريف والتشويه المختلفة، حتى لا نجد إلا لغة مهلهلة تحس بالغربة بين أبنائها"[2].

العربية المعاصرة وأهلها:

ترتبط اللغة بأهلها، ففى قوتــهم قوة لها، وفى ضعفهم ضعف لها، ومحنة العربية المعاصرة من محنة أهلها، فالتخلف الحضارى لأهل اللغة العربية جعل العربى عاجزًا عن التعبير عن هذا الطوفان الحضارى من المخترعات الجديدة، ولم يكن أمام الإنسان العربى بدٌّ من استعمال هذه المواليد الحضارية بأسمائها الأجنبية، كما سمَّاها أهلها بلغتهم، ورغم جهود المجامع اللغوية فى ترجمة[3] المصطلحات العلمية وأسماء المخترعات الحديثة، إلا أن الواقع اللغوى قلّما يستجيب لذلك، "فالمشكلة هى أننا

---

(١) د. عبدالعزيز شرف: اللغة الإعلامية: ص ١٨٨.

(٢) د. أحمد مختار عمر: اللغة العربية بين الموضوع والأداة: ص ١٤٢، ١٤٣.

(٣) التعريب ليس هو الكتابة بالعربية أو الحديث بالعربية إطلاقًا، إنما التعريب تعريب الفكر، فكِّر عربيًّا تخرج كلامًا عربيًّا، وفكِّر إنجليزيًّا تخرج كلامًا إنجليزيًّا. فالأساتذة تعلموا بالإنجليزية وعقولهم مملوءة بقواعد الإنجليزية فيكتبون ويتحدثون ويحاضرون بها؛ ولو صنعوا هذا الشىء نفسه مع العربية لأتوا بالعجب العجاب، ويقولون: اللغة العربية غير قادرة على صوغ المصطلحات، وهذا خطأ كبير، هل حاورتــها؟ هل طلبت منها؟ لم نحاول ولم نفكر، بل أخذنا المصطلح الأجنبى واستحسناه. ولكن لو فكرنا بطريقة العربية كلٌّ فى تخصصه وعلمه ومادته، فإن مادة العربية ستجود بخاطرنا، وسنستطيع أن نأتى بالكلام المعبر عن هذه الأفكار العربية التى فكرنا بها، وهكذا.

مستهلكون للعلم لا منتجون، ومواليد العلم تولد على غير أرضنا وبأيدى غيرنا وصاحب المولود هو الذى يسميه... فالذى يشكل عنصرًا صناعيًا فى معمل من المعامل هو الذى يعطيه تسميته العلمية"[1].

والأمثلة على ذلك كثيرة: تليفزيون، راديو، كاسيت ...إلخ، يضاف إلى ماسبق أن شعور بعض المثقفين بأن اللغة الأجنبية لغة أهل الحضارة والتقدم، يجعلهم يلجأون إلى تطعيم حديثهم بأسماء وتعبيرات أجنبية، كدليل- من وجهة نظرهم- على علو كعبهم فى العلم وسمو ثقافتهم، وما ذلك إلا لون من التلوث اللغوى الذى انتشر بين كثير من المتعلمين فى مجالات مختلفة، هذا فضلاً عن تأثير لغة الإعلام بوجه عام: المقروءة والمسموعة، والمرئية، على المتلقى من تلويث معجمه اللغوى بكلمات أجنبية، وبعض الأخطاء اللغوية؛ لما للغة الإعلامية من طبيعة خاصة تخضع لظروف العمل الإعلامى ذى الإيقاع السريع، حيث الحاجة إلى ملاحقة الكثير من الأخبار والأحداث والتعبير عنها بالسرعة نفسها.

فإذا انتقلنا إلى مجالات الحديث بين المتخصصين فى اللغة العربية، نجدهم أيضًا "يستخدمون العاميات فى التعبير عن ذات أنفسهم، وأعضاء المجامع اللغوية يناقشون مشكلات العربية ويضعون لها الحلول لتطويعها، بلسان عامى غير فصيح"[2].

أيضًا نجد المدارس الأجنبية، ومعظم الجامعات العربية تدرس العلوم بلغات أجنبية مع هجر اللغة العربية تمامًا، مما أثر فى لغة الدارسين وأدخل كثيرًا من الكلمات الأجنبية وأضعف اللغة الأم عندهم، وأوجد فيها الكثير من اللحن وهانت اللغة على أهلها حتى صار الخطأ فيها لا يُخجل أحدًا.

---

(١) د. عبد الصبور شاهين: قدرة العربية على استيعاب علوم العصر، مقال بمجلة الأمة، س٦، ع٦١، وانظر: علم اللغة العام: ص ٢٥٥ .

(٢) د. أحمد مختار عمر: اللغة العربية بين الموضوع والأداة: ص ١٤٣.

واقع العربية المعاصرة:

انتهى بنا وصف واقع العربية المعاصرة، إلى أنه واقع مضطرب اضطراب أهليها اجتماعيًّا وسياسيًّا وثقافيًّا، وأنها فى حقيقة الأمر منعزلة عن سياقاتها وبيئاتها الطبيعية، لذلك وصفوها بالجمود وما هى بجامدة بذاتها، وإنما الجمود فى أهليها إذ حرموها أن تُمارس فى حياتهم فعزلوها، فى حين أننا نتكلم العامية بطلاقة، هل خلقنا بها؟ لا، لكننا نستعملها فى شتى مناحى الحياة؛ نتكلم بها ليلاً ونهارًا فتنطبع فى أذهاننا، فيأتى الكلام بعد ذلك على منوال ما انطبع فى أذهاننا، وترتَّب على ذلك أن أصبحنا مهرة فى الحديث بالعامية بفضل الممارسة، فى مقابل العجز عن الحديث بالعربية، لعزلها عن مجال الممارسة اللغوية من الدُّربة والمران، إلى درجة أن يعجز المتخصصون فيها عن الحديث بها فى قاعة الدرس اللغوى وشرح القواعد اللغوية، وما أكثر وقوع اللحن والزلل والتحريف فيها من أهلها، هذا رغم حفظ قواعدها وتدريسها؛ والسبب فى ذلك أن القواعد تُدرَّس منعزلة عن مادتها وممارستها.

مشكلة الازدواج اللغوى:

ظاهرة الازدواجية، "اللغة العربية الخالدة تواجه الآن وضعًا عجيبًا، قوميًّا وحضاريًّا أما قوميًّا: فهى تقف فى مواجهة حشد من اللهجات التى تنتمى إليها وفى مواجهة جهود تحاول إقصاءها عن مجال الاستعمال؛ انتصارًا لتيار العاميات. وأما حضاريًّا: فإن لغة الحضارة الحديثة، وهى الإنجليزية فى المقام الأول، طغت على وجود العربية فى مجال العلوم[١].

وإلى الظاهرة نفسها يشير عالم اللغة الفرنسى "أندريه مارتينيه" بقوله: "إن هناك مشكلات لغوية جديَّة فى العالم العربى، من هذه المشكلات اللغوية، مشكلة وحدة

---

(١) د. عبدالصبور شاهين: فى التطور اللغوى: ص ٧.

اللغة العربية، فهناك اللهجات المصرية، والسورية، والمغربية وغيرها من اللهجات العربية التى ينبغى أن تحل مشكلاتها"[(١)].

العامـــية:

مصطلح العامية ليس بجديـــد، فنجد فى مؤلفات القدماء: "لحن العامـــة"، "لحن العـــوام"، فبقيت النسبة إلى العوام؛ يقول الزُّبيدى: "فهذا ما أفسدتـــه العامـــة عندنا، فأحالوا لفظه أو وضعوه غير موضعه.. فرأيت أن أنبه عليه وأبين وجه الصـــواب فيه" [(٢)].

ويلمح من سياق النص أن المقصود بالعامة هم الناس العاديون، كما أن المقصود بالعامية هنا ليس اللهجة التى لها صفات صوتية خاصة، وإنما أصل العامية هنا: "ما أفسدته العامة" أى أن أصلها اللحن، ثم تفشى هذا اللحن وشاع وانتشر يقول الرافعى: "العامية هى اللغة التى خلَفت اللغة الفصحى فى المنطق الفطرى وكان منشؤها من اضطراب الألسنة وخبالها وانتقاص عادة الفصاحة، ثم صارت بالتصرف إلى ما تصير إليه اللغات المستقلة .. وعادت لغة فى اللحن بعد أن كانت لحنًا فى اللغة"[(٣)].

فمنذ أن اجتهد اللغويون القدماء ووضعوا تقعيدًا للفصحى، وحددوا صفات لها "ساعدوا دون قصد منهم على تحديد صفات لغتين لا لغة واحدة: اللغة التى تقع داخل الحدود، واللغة أو اللغات التى تقع خارجها، أو اللغة الصحيحة وما عداها،أو بعبارة أقرب إلى المتداول الآن: الفصحى والعامية"[(٤)].

---

(١) د. مازن الوعر: دراسات لسانية تطبيقية: ص ٢٩٠.

(٢) الزبيدى: لحن العوام، تحقيق: د. رمضان عبدالتواب: ص ٨.

(٣) مصطفى صادق الرافعى: تاريخ آداب العرب: ٢٣٦/١.

(٤) د. السعيد بدوى: مستويات العربية المعاصرة : ص ٤٠.

وإن كانت النصوص السابقة فيها إشارة واضحة إلى أن أصل العامية هو اللحن، فإن بعض الباحثين رصدوا كثيرًا من الظواهر فى لهجاتنا الحية المعاصرة وأثبتوا أن هذه الظواهر ليست إلا امتدادًا للهجات القديمة، مثل كسر حرف المضارعة فى نحو: تِعلم، تِفهم، وكان ذلك عند قبيلة بهـــراء، كذلك استعمال اسم المفعول من الفعل الأجوف اليائى على التمام (أى على وزن مفعول) مثل: دان: مَدْيون، عاب: معْيوب [1]، ونسب ذلك إلى تميم[2]، وهذا يضيف أن العامية فى بعض ظواهرها ما هى إلا امتداد للهجات عربية قديمة.

ونخرج من كلا الرأيين بأن العامية خليط من اللحن وبعض اللهجات العربية القديمة.

والعامية المعاصرة لها سمات تحددها؛ أهمهـــا:

أنها: أولاً : "لغة خليط: فبعضها فصيح الأصل عربى النسب، ولكن تغيرت مخارج حروفه، أو لعبت بها ألسنة العوام فحرفته عن أصله وأخرجته عن صورته"[3]، مثل : قال: آل . الحديث: الحديت. "وبعضها غريب دخيل مازال فى العربية راسبًا من رواسب لغات امتزج أهلها بالعرب فى فترة من فترات التاريخ، كبعض الكلمات التركية: (دوغرى، يوزباشى)" [4].

كما أن أكثر ما يميز العامية سقوط علامات الإعراب تمامًا، لأنه ليس من شأنها

---

(١) ال[illegible]ب: مدين، معيب.

(٢) د. رمضان عبدالتواب: بحوث ومقالات فى اللغة، ط١: ص ٢٦٣.

(٣) د. مازن المبارك: نحو وعى لغوى: ص ٣٤.

(٤) د. فايز الداية: الجوانب الدلالية فى نقد الشعر فى القرن الرابع الهجرى: ص ١١٩.

الضبط والنظام، إنها "لـــهمجية غير مهذبة، وليس لها من أصول مستقرة" [1]، "لأنها لا قاعدة لها، وليس من منطقها ولا طبيعتها أن تكون لها قاعدة" [2].

وهناك من الباحثين من يرى أن العامية لغة لها نظام يحكمها وقواعد تضبطها، لكن هذا النظام وتلك القواعد لم تدون بعد. وإلى هذا الرأى جنح الأستاذ الدكتور السعيد بدوى فى كتابه "مستويات العربية المعاصرة" [3]، ولم يعدم الباحث أن يجد من الشواهد ما ينصر رأيه، لكن قد يعترض هذا الرأى نقاط تحتاج إلى مناقشة دقيقة إذا أردنا أن نتناول مسألة قواعد العامية تناولاً كاملاً، من ذلك:

- هل هذه القواعد يمكن للباحث أن يلمحها فى كل المستويات اللغوية للعامية (الصوتية، الصرفية، الدلالية، التركيبية)؟
- وهل هذه الظواهر التى نلمحها فى العامية ظواهر لغوية مطردة، يمكن أن تخضع لقاعدة تحكمها؟
- ثم ماذا عن اختلاف العامية فى الأقطار العربية، بل اختلافها داخل القطر الواحد، فهل سيكون لكل منطقة قواعد تخص عامية أهلها؟
- ثم ماذا عن التغير السريع والمستمر للعامية فى كل مستوياتها، كيف تكون لها قاعدة، ومن شأن القواعد الثبات والاستقرار؟
- وغير ذلك من النقاط التى تحتاج إلى مناقشات نقدية.

---

(١) مجد محمد الباكير البرازى: مشكلات اللغة العربية المعاصرة: ص ٩.

(٢) د. مازن المبارك: نحو وعى لغوى: ص ٣٤.

(٣) انظر: د. السعيد بدوى: مستويات العربية المعاصرة: ص ٥٦، ٥٩، ١٨٩.

ومن سمات العامية أيضًا أنها ترجمان الحياة الدارجة، "ولا طاقة لها بالتعبير الراقى عن جلائل الأشياء فى ميادين الاجتماع" [1].

فاللغة العامية غنية بقدرتها التعبيرية عن الحياة بكل ما فيها من تناقضات وفوارق فى المعنى المتجسد الحى، لا التناقضات والفوارق التى تحتاج إلى إعمال الفكر وإجهاد العقل للوصول إلى دلالاتها المحددة، وذلك أن العامية هى تعبير عن العامة وعقولهم العامية، وهى لهذا السبب عيية قاصرة عن أداء التخيلات والأفكار العميقة، فالمعانى والأفكار العامية يناسبها التعبير عنها بلغة عامية، وعلى سبيل المثال، لا تستطيع العامية أن تعبر عن الأفكار الفلسفية والخيالات ذات الصبغة الشمولية؛ فلن تستطيع الألفاظ العامية أن تجارى الفصحى فى وصف هذه المعانى كما يصفها صلاح عبدالصبور فى قصيدة "أغنية إلى الشتاء" [2]:

يُنبئنى شتاء هذا العام أننى أموت وحدى
ذات شتاء مثله، ذات شتاء ..
وأن أعوامى التى مضت كانت هباء
وأننى أقيم فى العراء
وأن داخلى مرتجف بردًا
قد ذوى حين ذوت ..
أول أوراق الشجر
ثم هوى حين هوت
أول قطرة من المطر
وأن دفء الصيف إن أتى ليوقظه ..
فلن يمد من خلال الثلج أذرعه
حاملة وردًا.

---

(١) محمد محمد الباكير البرازى: مشكلات اللغة العربية المعاصرة: ص ٩.

(٢) صلاح عبدالصبور: الأعمال الكاملة: ص ١٣٠.

فتجربة الإحساس بالموت وعراء الإنسان أمامـــه من كل دفاع أو ستار ورجفة الروح حين يجرفها هذا الشعور العميق الكلى الذى يحيل العالم كله إلى تفاصيل فى نسيجه، حتى يرى الشاعر الموت متحققًا فى الشـــتاء والشجر والمطر والعراء والذبـــول ...إلخ. هذه التجربة الشمولية ذات الطبيعة الدائمة، لا يعبر عنها إلا بلغة فصيحة، ذات تراكيب فصيحة، وبنية فصيحة، ودلالات فصيحة.

وعكس هذا فى (الدراما) التى هى وصف للصراع القائم فى الحياة، فإنها تحتاج إلى لغة يومية تعبر عن مضمونها الذى ينحو إلى التجسيد، وعلى سبيل المثال، فإن أعمال توفيق الحكيم الدرامية رغم ريادتها، وروعة ما تحمله من أفكار عميقة، إلا أنها تتسم بالتجريد أو "الذهنية" مما يبتعد بـــها عن الاتجـــاه الدرامى الذى يحتاج إلى العامية؛ ليكون معـــبرًا عن الحياة اليومية بتفاصيلها وظلالـــها.

وهذا الكلام ينطبق على الحوار فى القصة والرواية، فلو كان المتحدثون فصحاء - بالمعنى العقلى للفصاحة- فإن حديثهم لابد بالتالى أن يكون فصيحًا، وإن كانوا عامة أو يتناولون أمورًا عامية؛ فإن حوارهم ينبغى أن يكون عاميًّا فى بنائه وتركيب عباراته وألفاظه.

و"اللغة العامية تختلف باختلاف الشعوب، وتختلف فى الشعب الواحد باختلاف مناطقه، فعامية العراق لا يكاد يفهمها المصريون أو المغاربة .. وفى البلد الواحد تختلف اللهجات العامية باختلاف طوائف الناس، وباختلاف المناطق فعامـــية المنيا غير عامـــية جرجا"(١).

واللغة العامية لغة حديث وليست لغة كتابة، على عكس الفصحى، ولعل هذا لا يحرمها من سياق الموقف الذى تحرم منه الفصحى، "حيث إن الســـياق المنطوق يظهر

---

(١) د. على عبدالواحد وافى: فقه اللغة: ص ١٥٨.

الوقفات العديدة والنغمات المختلفة والنبر بدرجات مختلفة أيضًا، ثم الضحك أثناء الحديث" [(١)]، وهذه الخاصية "كونـــها لغة حديث" تتيح لـــها فرصة الانتقال من السلف إلى الخلف فى سن الطفولة عن طريق التقليد والمحاكاة، وكون اللغة العامية لغة حديث "لغة منطوقة"؛ فإن ذلك يجعلها عرضة للتغير والتطور؛ حيث إن الخطاب المنطوق يتميز بأنه يبدل كلمة محل كلمة أخرى نتيجة لهذه القدرة الميكنة الفورية التصحيحية، أضف إلى ذلك أنه يحتوى على بدايات لغوية خاطئة، ويتميز بالوقفات الداخلية *Internal pauses*، ويتميز بما كان قد دعاه "لايكوف" عالم الدلاليات الأمريكى (١٩٧٥): "الكلمات المفرغة من وظيفتها اللغوية" [(٢)] .

واللغة العامية "لغة فقيرة فى مفرداتها، ولا يشتمل متنها على أكثر من الكلمات الضرورية للحديث العادى" [(٣)]، وهذا شىء نلمسه فى الواقع اللغوى المعاصر لاستعمال العامية، حتى إنه أمام عجز مفردات العامية عن التعبير عن الأشياء الدقيقة، يستخدم العامة بعض الألفاظ ويعممون استخدامها، فيطلقونـــها على عشرات الأشياء، ويفهم السامع من سياق الموقف قصد المتكلم وليس من لفظه، بل اللفظ هنا لا يعدو أكثر من صوت يثير الانتباه فقط، مثل: "هاتِ البتاعة دى"، والبتاعة هذه قد تكون مأكولاً أو مشروبًا أو ملبوسًا أو آلة ...إلخ.

---

(١) د. مازن الوعر: دراسات لسانية تطبيقية: ص ٨٥.

(٢) المرجع السابق: ص ٨٤.

(٣) د. على عبدالواحد وافى: فقه اللغة: ص ١٥٧.

جغرافية العربية المعاصرة

اللغة العربية هى اللغة الرسمية لأكثر من عشرين دولة يقع معظمها بآسيا وأفريقية، وهى كالتالى:

المغرب الجزائر، موريتانيا، تونس، ليبيا، مصر، السودان، جيبوتى، الصومال، السعودية، الكويت، البحرين، قطر، الإمارات، عمان، اليمن، الأردن، سوريا، العراق، لبنان، فلسطين. يضاف إلى هذا الأقليات العربية التى تتحدث العربية فى أنحاء العالم، وكذلك المسلمون من أصول عرقية مختلفة، الذين يتحدثون العربية من أجل العبادة وقراءة القرآن، وهذا الانتشار الواسع الممتد فى أنحاء العالم قد بوّأ العربية –على الصعيد الدولى– مكانة جعلتها جنبًا إلى جنب مع الإنجليزية والفرنسية والأسبانية والروسية والصينية بمنظمة الأمم المتحدة[١]، وذلك منذ الأول من يناير ١٩٧٤م.

وتشير الإحصاءات الجديدة إلى أن عدد الناطقين بالعربية يزيد على ٢٥٠ مليون ناطق، هذا بخلاف عدد الأقليات التى تتحدث العربية فى أنحاء العالم.

إن هذه الأقليات التى تتحدث العربية الواسعة النطاق فى انتشارها والمتضائلة فى حجمها، بعضها يعد امتدادًا معاصرًا للعربية المعاصرة، حيث إن هذه الأقليات من المهاجرين الذين استوطنوا بمجتمعات غير عربية جديدة، وكونوا فيما بينهم مجتمعات صغيرة، على نحو ما هو موجود الآن فى أمريكا وأوروبا وإستراليا.

وبعض هذه الأقليات التى تتحدث العربية يعتبر بقية ضئيلة من الآثار التى خلفها الوضع السائد فى الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، أيام الاتساع العظيم لنفوذ اللغة

(1) *Language, its structure and use, Edward Finegan, 1999, p.267.*
- David Crystal: The campridge Encyclopedia of language,, 1992.

العربية الذى أخذ فى الانتشار مع بزوغ فجر الإسلام فى منتصف القرن السابع الميلادى، وفى مناطق أخرى متاخمة لمناطق النفوذ العربى الإسلامى والتى تقع تحت السيطرة السياسية العربية إلا أنـــها لم تعد كذلك الآن.

يظهر بـــهذه المناطق بقايا حطام لغوى خلفها المد الإمبراطورى المنحسر عن هذه المناطق، حيث لا تزال اللغة العربية تستخدم كلغة أولى بالنسبة لبعض السكان المحليين بالرغم من عدم وجود وضع رسمى يدعمها، ويعد إقليم خوزستان (أو عربستان) الواقع فى جنوب إيران فى آسيا أكثر هذه الأقاليم أهمية من الناحية الديموغرافية وربما السياسية أيضًا، وهناك أقليات ناطقة بالعربية توجد أيضًا فى أفغانستان: (بلخ) وأجزاء من الاتحاد السوفيتى السابق (أوزبكستان)، وفى جنوبى تركيا (سيبرت)، وفى أفريقيا: فإنه يوجد هناك متكلمون باللغة العربية الأم ينتشرون على أطراف حدود الصحراء الجنوبية فى شمالى نيجيريا والنيجر ومالى وتشاد، أما فى منطقة البحر الأبيض المتوسط، فما زالت لغة عامية من أصل العربية تستخدم فى قريتين بشمالى قبرص بمحاذاة اليونان، وتعد اللغة المالطية أيضًا ـــ ولا شك- لهجة عربية من حيث تركيبها، وذلك رغم تأثرها الشديد بعدة قرون من الاحتكاك المباشر مع اللغات الرومانسية (الناشئة عن اللاتينية) [١].

ولكن ما الذى نعنيه بالضبط حينما نزعم بأن السكان الأهليين لمثل هذه المناطق المعزولة جغرافيًّا واجتماعيًّا وذوى التعددية العرقية يتكلمون العربية؟ وكيف يعقل أن تتكلم قرية بأكملها ناطقة بالعربية من أوزبكستان " **اللغة نفسها** "مواطن شمال نيجيريا من "مايدوجورى"، أو بلغة رجل قبيلة وهَّـــابى المذهب وهو يقبع وسط رمال صحراء جنوبى عمان، أو باللغة نفسها لأستاذ قانون إسلامى بجامعة الأزهر بالقاهرة؟

---

(1) *Modem Arabic structures, functions and varieties, Clive Holes.*

إن مقارنة موضوعية للهجات اللغة العربية المكتشفة على حواف حدود المنطقة العربية، قد تكون خير مرشد للاستنتاج القائل بأن هذه التنويعات اللغوية كانت ترتبط تاريخيًّا ببعضها البعض، وأنـــها لهجات واضحة المعالم من حيث تزامنها بعضها مع الآخر، إلا أنـــها تُعدّ فى الوقت نفسه لـــهجات مبهمـــة على نحو مشـــترك، مثل اللغة الإنجليزية والـــهولندية، إلا أنه لم يكن بالحسبان أن ناطقين بـــهذه اللهجات المتباينة من اللغة العربية فى مستوى لغوى متوسط قد يســـهمون هم أنفسهم فى صياغة هذه الرؤية؛ فكل واحد منهم بالتأكيد يجزم بأنه قد تكلم العربية شخصيًّا، وأنه يمكن أن يسلم بأن الآخرين كذلك قد فعلوا، حتى وإن كانت عاميتهم العادية يتعذر فهمها، فكيف لنا أن نفسر هذه المفارقة الظاهرة التناقض؟

إنه لمن المعروف جيدًا أن قدرة المتكلمين على فهم التقارب أو التباعد فيما بين اللغات واللهجات تكون أحيانًا وثيقة الصلة بعوامل ظرفية وتاريخية، بل وربما عوامل سياسية، وذلك بقدر صلتها، إما بمفارقات أو متشابهات لغوية، فالتعدديات اللغوية الفصحى: اللغة الهندية والأوردية – على سبيل المثال- يختلف بعضها عن البعض الآخر على نحو محسوس، إلا أن الاختلاف طفيف، سواء فى القواعد أو فى مجموع مفردات اللغة الخاصة بأساليبهم غير الأدبية الاستخدام، وذلك على الرغم من كتابة هذه اللغات بخطوط مختلفة، واختلاف كل منها عن الآخر من حيث الأسلوب الأدبى فى الكتابة من كم الصيغ السنسكريتية الأصل (المشتقة من اللغة الهندية الأدبية القديمة المستعملة سابقًا، وكذلك الفارسية الاشتقاق المستعملة لاحقًا)، وإن الطالب الأجنبى الذى يرغب فى أن يتعلم النطق بأحد أنواع اللغات الفصحى، ليتعين عليه أن يتلقى درسًا عمليًّا بنسبة مائة فى المائة من خلال المتكلمين بهذه اللغة الفصحى من الآخرين، ومع ذلك فإن الناطقين الأصليين بهذه اللغات يزعمون فى بعض الأحيان- رغم التشابه

التركيبي والبنيوى الواضح بينهم- أنهم مختلفون إلى حد يصل إلى الغموض فى علاقاتهم وتعاملاتهم المشتركة.

أما فى العالم العربي الناطق بالعربية، فنجد أمامنا الظاهرة المناقضة متمثلة فى تنوع لغوى ضخم وملموس.

لـــهجات العربية المعاصرة:

تعد اللهجات العربية المنطوقة بها تباينات للغة التى يتعلمها الناطقون الأصليون على اعتبار أنها لغتهم الأم، وذلك قبل شروعهم فى الأخذ بالتعليم الأساسى، ومن الناحية الجغرافية فإن هذه اللـــهجات قد يظن أنها منثورة عبر مجموعات لا تعد ولا تحصى من السلاسل متشابكة الحلقات، بـــدءاً من المغرب غربًا إلى عمان شرقًا، وانطلاقًا من الحدود السياسية جنوب تركيا شمالاً حتى السودان جنوبًا، وفى داخل نطاق هذه المساحة الشاسعة فإنه لن يجد القاطنون لأى قرية أو مدينة أى صعوبة فى فهم العامية العادية لدى سكان القرية أو المدينة المجاورة فى أى جهة، فكلما ازداد اتساع الفاصل المكانى بين أى منطقة وأخرى- عند المقارنة، وعلى نطاق واسع- تزايد اتساع هوّة الخلاف القائم بين اللهجات العامية المتداولة فى المحيط الأقصى لهذه المنطقة التى يختلف بعضها عن البعض إلى حد كبير، وتحديدًا إلى درجة تصل إلى حد انعدام التواصل اللغوى بين الناطقين بهذه التنويعات إذا ما كان لنا أن نضاهى بينها وبين ما قد يطلق عليه اللغات العامية الخالصة لغير المثقفين، مثلاً: عامية بدوى عمانى مقارنة بعامية مواطن مغربى من مراكش، وعلى كل حال، فإنه عند التطبيق العملى تقوم عدة عوامل بالعمل علي التخفيف من حدة أثر مثل هذه الفوارق.

عوامل التقريب بين لهجات العربية المعاصرة:

على مدى عقود من الزمان قام المعلمون المغتربون والخبراء الفنيون وكذلك المهنيون المحترفون فى كل المجالات- من مصر والشرق- بوضع الأساس الذى يعد بمثابة العمود الفقرى بالنسبة لكل من التعليم والخدمات التقنية فى المناطق الأبطأ نمـوًّا الداخلة ضمن نطاق الإقليم مثل دول الخليج، إلا أن هذا الدور قد تقلص فى الوقت الحاضر، فلطالما راح الطلاب من شتى بقاع العالم العربى- ولكن على وجه الخصوص من تلك البلاد التى مازالت تفتقر حتى عهد قريب إلى نظام تعليم من الدرجة الثالثة- يتلقون تعليمهم فى جامعات مصر وسوريا والعراق، ولقد ظلت "مكة" مركز التجمع بالنسبة للعالم الإسلامى ومقصد الحجاج المسلمين الوافدين من كافة البقاع العربية لمدة أربعة عشر قرنًا من الزمان، لذا فإن التواصل اللهجى فيما بين مختلف القطاعات السكانية العربية ليس بالأمر المستحدث، لولا أنه مع الازدياد- المطرد فى الاتصالات العربية البينية- متزامنًا على وجه الخصوص مع تطورات اقتصادية أخيرة- اتسع مدى الاستخدام لنماذج التواصل اللهجى المتبادل وتعددت أنماطها إلى حد أكبر.

أما فى وقتنا الحاضر، فإن التواصل من خلال اللهجات لا يقتصر على مستوى مدير أعمال تنفيذى ذى منصب كبير حاصل على قسط وافر من التعليم وينتقل من بلد إلى آخر، أو المعلم، أو الخبير الفنى، المغتربَين بعقد عمل طويل الأجل، أو الطالب الحاصل على منحة دراسية فى السعودية أو العراق أو مدن الخليج الحديثة التى أخذت فى التطور خلال العقدين الماضيين، بل إنه يتعدى كل هؤلاء جميعًا ليصل إلى حشود هائلة من شبه الأميين المهاجرين بغرض الاستثمار والانتعاش الاقتصادى من المصريين والسوريين والعراقيين من طبقة العمال والحمالين والبوابين ومن إليهم، ممن يرجع معظمهم فى أصله إلى جذور ريفية ومعظمهم حاصل على شهادات تعليمية متواضعة،

وقد أصبحوا يشكلون قسمة شبه بارزة وملمحًا واضح البروز من قسمات وملامح صورة مشرقة تدعو إلى الفخر.

العربية المعاصرة وعربية القرآن

منذ قديم الأزل والعرب يعكفون على دراسة لغة التتريل على اعتبار أنها معجزة لغوية لا مثيل لها، أعدَّت لتناسب كل زمان، وبالنسبة لمعظم أبناء العرب فهى أول أنواع العربية المغايرة للهجاتهم التى يتعرضون لممارستها بشكل دائم، وتترك فى نفوسهم انطباعًا لا يمكن التحول عنه، يعزز ذلك الأداء المنتظم لشعيرة الصلاة وملازمة المسجد طوال حياتهم فيما بعد. وهذا التعرض المبكر لمثل هذا النوع من الممارسة اللغوية يتألف من: الاستظهار لآيات أو حتى أجزاء كاملة من القرآن الكريم، وكذا شهود صلاة الجماعة وسماع خطبة الجمعة والدروس والمحاضرات الدينية بالمساجد، وهو الأمر الذى يتم البدء فى تنفيذه منذ سن الخامسة أو السادسة، وذلك فى المساجد وفى مدارس خاصة لتعليم القرآن الكريم.

وحتى عهد قريب كان هذا التعليم هو النوع الوحيد الذى يتلقاه العديد من المسلمين فى بداية أعمارهم، على نحو ما كان يحدث فى "كُتَّاب سيدنا" فى القرية فى مصر إلى عهد قريب.

وتلقى لغة التنـــزيل توقير الغنى والفقير والمثقف والأمى على حد سواء، بوصفها الجوهرة اللغوية النفيسة فى الميراث الثقافى الإسلامى، فهى فى نظر الجميع الكمال فى أوْجهِ وذروته، والجمال الذى لايضاهيه جمال، بل ومثل أثير أعلى للبلاغة والفصاحة، فى تناسق وإحكام بالغين، وعلى الرغم من خضوع العربية لسنة التطور وحدوث تغيرات ملموسة لها خلال الأربعة عشر قرنًا عقب نزول الوحى، فلا تزال الأصول العامة للغة التتريل يُتلقَّى منها قواعد العربية المعاصرة إلا أمورًا يسيرة يمكن ردها إلى الصواب أو التماس صلة بالأصل الذى تطورت عنه.

إن هذه الحقيقة المقترنة بالوعى الراسخ بالقيم الثقافية المشتركة، التى تستمد معانيها من خلال الدين الإسلامى وثقافته، والتى تذهب فى مجملها إلى تفسير الادعاء الذى يقيمه ناطقون بلهجات عربية تتسم بالغموض وعدم تحقيق التواصل اللغوى بين أطرافها إلى حد كبير، فحواه أنهم جميعًا يتكلمون باللغة نفسها.

إن هذا التنوع اللغوى الشامل والموحد لكل العرب؛ المتمثل فى اللهجات العامية؛ يتلاشى أمام عربية القرآن، التى تستخدم عمليًّا فى الكتابة والتأليف، وفى التواصل الحى المنطوق خلال الموجات الإذاعية والقنوات التليفزيونية فى نشرات الأخبار والخطابات السياسية والإعلانات الرسمية للدولة وفى مجال التعليم.

وسائل النهوض بالعربية المعاصرة:

هذا العنوان تكرر كثيرًا خلال السنوات الماضية، من خلال عقد الندوات المختلفة لمناقشة مشكلات العربية، وإنشاء الجمعيات المختلفة*، للاهتمام بالعربية؛ والجميع متفقون على الواقع المرير للغة العربية، وأسهم كثير من المتخصصين فى وضع المؤلفات لمعالجة جوانب القصور عند كل متعامل مع الكلمة الحية من المعاصرين(١)، فالمشكلة محددة وواضحة، وحلول المشكلة محددة وواضحة أيضًا.

وبالرغم من هذا لم يتغير الواقع المر للعربية المعاصرة، هذا إن لم يزدد سوءًا؛ لأننا نتعامل مع المشكلة- تمامًا- كالمريض الذى شَخَّصَ له الطبيب مرضه وحدد له الداء ووصف له الدواء، فأتى المريض بالدواء ووضعه بجواره و لم يأخذ منه شيئًا، فلم ينتفع به وظل يعانى من آثار مرضه.

---

* مثل جمعية اللسان العربى...إلخ.

(١) من ذلك: د. أحمد مختار عمر: أخطاء اللغة العربية المعاصرة، مجد محمد الباكير البرازى: مشكلات اللغة العربية المعاصرة.

ولعله من المفيد أن نضع جهود الإصلاح والحلول المقترحة فى اتجاهين متوازيين:

الأول: وضع حلول المشكلة بين أيدى من يملك القرار، وإنا على يقين بأن عضوية كل من: السيد وزير الإعلام، والسيد وزير التربية والتعليم، وكذلك السادة رؤساء الجامعات سيجعل مقترحات المتخصصين موضع التنفيذ، بدلاً من أن نتكلم مع أنفسنا ونلوم غائبًا لا يسمعنا ولا يهتم لصوتنا الذى بحَّ من النداء بالإصلاح.

والمثال الذى يحتذى فى ذلك إذاعة القرآن الكريم، وما نلاحظه من المحافظة على سلامة العربية بصورة تعد نموذجًا رائعًا يقدم لبقية الإذاعات وقنوات التليفزيون.

الثـــانى: وهوالجزء المتاح بين أيدينا- وهو مهم ومؤثر- وقبل أن أبدأ فى عرضه أود أن يسأل كل متخصص فى تدريس العربية نفسه الأسئلة التالية:

١- هل تعلّم لغة حية أم تعلّم لغة ميتة؟

٢- إن كنت تعلم لغة حية فلمَ تحكم عليها بالموت فى أول نقطة انطلاق لها فى حصة العربية حين تشرح بالعامية؟

٣- إن كان المتخصص عاجزًا عن مواصلة الحديث بالعربية والالتزام بقواعدها، فكيف يطلب من غيره الالتزام بقواعد العربية؟

٤- كيف يقبل كثير من مدرسى اللغة العربية أن يعجز عن تلاوة القرآن الكريم تلاوة صحيحة أمام الطلبة[١]؟

---

(١) قدمت التربية والتعليم بمدينة بورسعيد شكوى لكلية التربية بعجز كثير من مدرسى اللغة العربية عن القراءة الصحيحة للقرآن أمام الطلبة، وحدثنى المرحوم صاحب الفضيلة الشيخ محمود حافظ برانق (رئيس لجنة المصحف سابقًا) عن ضعف مستوى بعض أئمة المساجد فى قراءة القرآن.

٥- كيف تناقش البحوث العلمية بالمجمع اللغوى، ورسائل الماجستير والدكتوراه فى اللغة العربية بالعامية؟!

٦- هل تخجل حين تخطئ فى قواعد العربية أثناء الحديث؟

٧- هل تدرك دورك.. بمعنى هل تُعلم لغة أم تعطى معارف لغوية؟

بعد عرض هذه الأسئلة التى قد ترفع درجة الإحساس بخطورة المشكلة، يجب أن نعترف - بداية - أننا بموقفنا السلبى من اللغة وعدم التعامل بها بين الناس وفى قاعات الدرس اللغوى نصد الناس عن اللغة، كما تفقد اللغة الأسوة والقدوة التى يتعلم الناس منها بالمحاكاة، ومهما أثقلنا كاهل الطالب بكم هائل من القواعد؛ فلن تتحسن عربيته وسيظل تابعًا للنموذج اللغوى الذى يتعامل به فى البيت وفى الشارع وفى قاعات الدرس، إنه نموذج العامية التى فرضت هيمنتها على ألسنة المعاصرين عن طريق الممارسة والاستعمال.

لذلك فإن البداية الجادة للإصلاح هى نقل الدرس اللغوى فى المستويات التعليمية المختلفة من المعرفة النظرية والحديث عن اللغة إلى الممارسة العملية للغة، فالنطق الصحيح فى إطار القواعد الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية هو السبيل الفعال لتحسين الأداء اللغوى بالعربية. وأهم السبل لتحقيق ذلك هو:

(١) أقصر وأسرع السبل إلى تقويم اللسان العربى هو القرآن الكريم[1]، ولا يشترط هنا الحفظ، بل يشترط التلاوة الصحيحة على يد مجيد للتلاوة.

---

(١) جدير بالذكر هنا تجربة معهد معلمى القرآن الكريم بالمركز الإسلامى بمسجد العمرانية مع طلبة التربية والتعليم بالأزهر، وكان تقييم هذه التجربة التى تنمو كل عام كالتالى:

- قد ينسى الطالب ما حفظه من الآيات، لكن يظل نطقه الصحيح وتلاوته الجيدة للآيات باقية مع الأيام. =

وتقسيم الكلمة إلى مقاطع صوتية أثناء التعلم من أنفع السبل إلى التمكن من نطق الكلمة نطقًا سليمًا.

(٢) إلزام المطابع والمؤلفين لمستوى التعليم الأساسى بكتابة النصوص مُشكَّلة، للقضاء على احتمالات النطق المختلفة للكلمة الخالية من التشكيل بالحركات القصيرة.

(٣) إعداد المدرس للدرس أو المحاضرة مع ضبط أواخر الكلمات، وإعادة قراءتها مرات؛ كى تلين الكلمات بالاستعمال وتصير سهلة على اللسان، وتكون أكثر استقرارًا فى الذهن فيسهل استحضارها بمجرد النظر السريع، أو بمجرد استحضار المعنى المراد التعبير عنه.

(٤) الاهتمام بالأنشطة اللغوية التى تعتمد على المشافهة؛ كالخطابة، وحسن القراءة، وفن الحوار، وفن التقديم... ونحو ذلك.

(٥) ضبط العبارات التى يتكرر استخدامها فى الاجتماعيات المختلفة من عبارات التحية والتهنئة والعزاء والمواساة والطلب والشكر والاعتذار وتسجيل الإعجاب والاستئذان... ونحو ذلك.

(٦) أخْذ صحة الأداء اللغوى فى الاعتبار فى الامتحانات الخاصة باللغة العربية وفروعها، ويكون التقييم على لقاء حى فيه حوار ومشافهة، ولا يتم نجاح الطالب إلا بالنجاح فيه.

(٧) عقد دورات تمهيدية للمدرسين تركّز على معالجة الأخطاء فى الأداء اللغوى وإكسابهم المهارة اللغوية، مع مراعاة كل المستويات اللغوية: صوتية وصرفية ونحوية ودلالية.

= ● الطلبة الذين كانوا يعانون من بعض الأخطاء الصوتية مثل نطق (ط) مرققة فتقلب (ت)، أو نطق الأحرف الأسنانية نطقًا عاميًا كالتالى: ث ←س، ذ ← ز ...إلخ، تخلصوا من هذه العيوب النطقية، لقد قوَّم القرآن لسانهم.

(٨) تيسير قواعد العربية وتجنب تدريس الأبواب التى لا تستعمل.

هذه العناصر الثمانية فى أيدينا .. ولا يبقى إلا أن نعمل ..!! وأن نبدأ بأنفســـنا.

أما عن المقترحات الأخرى[١] التى قدمها أساتذة متخصصون فى العربية فلها أهميتها البالغة، مثل: إنشاء قاعدة بيانات، وإلزام الإعلام - بوسائله المختلفة -بالعربية الصحيحة، وربط اللغة العربية بمختلف المواد الدراسية الأخرى، وتحسين صورة مدرس اللغة العربية فى وسائل الإعلام، والاهتمام بالمعجمات المعاصرة، وتعريب التعليم الجامعى ...إلخ، فكل هذه المقترحات تحتاج إلى إمكانات، وإلى أصحاب القرار، وإلى زمن. والسعى من أجل تنفيذها جهاد وكفاح، فالمحاولة الجادة مطلوبة، بل ومفروضة، ولابد من أن تتكامل الجهود.

والمهم ألاّ نكتفى بوصف المشكلة وعرض الحلول،بل علينا أن نصعّد الجهد خطوة فى سبيل الحل.. بأن نعمل.

(١) د. أحمد مختار عمر: أخطاء اللغة العربية المعاصرة: ص٢٧ وما بعدها.

الفصل التاسع

العربية والحاسوب

العربيـــة والحاســـوب[1]

فى إطار المعلوماتية تزداد أهمية معالجة العربية خلال الحاسوب؛ كى نواكب ركب الحضارة.

ولما كان الحاسوب مولودًا غير عربى اللغة ـــ فهو إنجليزى المولد ـــ فقد اتخذت تقنيات الحاسوب ونظم المعلومات اللغة الإنجليزية أساسًا لها.

وفرض هذا الأساس الإنجليزى قيودًا تقنية على اللغات الأخرى، وكلما اتسع التباين بين الإنجليزية وبين اللغات الأخرى ازدادت حده هذه القيود.

وتمثل اللغة العربية واللغة الإنجليزية من وجهة النظر الحاسوبية طرفى نقيض، ومن هنا كانت العقبات الصعبة أمام تعريب الحاسوب وأصبح حاجز اللغة من أشق الحواجز على المستخدم العربى.

ولقد نجح العرب فى تعريب جزء من الحاسوب على مستوى اللغة المكتوبة، لكن مازال أمر اللغة المنطوقة يحتاج لشوط طويل فى التعريب.

الأمر الثانى أن تغذية الحاسوب فيما عُرِّب فيه لم تتم بالشكل المطلوب فى إطار المعجمية الحديثة والمستويات الدلالية والصرفية والنحوية للغة العربية، وتحتاج لجهد

---

(١) راجع بتفصيل فى هذا الموضوع:

د. نبيل على: العرب وعصر المعلومات، سلسلة عالم المعرفة (١٨٤) الكويت، أبريل ١٩٩٤.

: الثقافة العربية وعصر المعلومات: رؤية لمستقبل الخطاب العربى، عالم المعرفة (٢٦٥)، يناير ٢٠٠١.

: اللغة العربية والحاسوب، دار غريب للنشر، القاهرة، ١٩٨٨.

مشترك من اللغويين والحاسوبيين لإنجازها، وللتغلب على هذه العقبات وضع العلماء سؤالين لتحديد المطلوب، هما:

١- كيف نتجاوز قيود اللغة الإنجليزية على الحاسوب، فى المعالجة العربية دون إخلال بنظم العربية وقواعدها؟

٢- كيف يمكن الاستفادة من النظم الحديثة للحاسوب، وتطويعها لخدمة العربية؟

وللإجابة على السؤالين السابقين يتطلب الأمر معرفة متشعبة ومتباينة عن **علم اللغة الحاسوبي.**

أولاً: مستويات تناول علاقة اللغة بالحاسوب:

فالحاسوب كأداة للغة، يمكن أن يستفاد به فى الأغراض اللغوية التالية:

١- استخدامه فى الإحصاء اللغوى:

مثل نسب ورود حرف الجر فى نص معين، وتوزيع الصيغ الصرفية المختلفة، وأنواع الأنماط التركيبية، وتوزيع حالات الإعراب المختلفة ...إلخ.

وهذه الإحصاءات تفسر لنا:

- سلوك اللغة بشأن ظاهرة محددة، مما يتيح معرفة أدق بالمعايير اللغوية، كما تكشف لنا عن أسرار اللغة العربية.
- التوصيف الكمى للعربية، لمعرفة درجة شيوع كلمات أو جذور ، أو ظاهرة لغوية فى نص محدد من خلال بيان نسبة التكرار.

٢- استخدامه فى التحليل والتركيب اللغوى:

- فعلى مستوى الصوتيات يمكن تمييز الكلام وتوليده آليًّا

- وعلى مستوى الكتابة يمكن القراءة الآلية للنصوص المكتوبة.
- وعلى مستوى الصرف يمكن تحليل الكلمات إلى مقاطع ووحدات صوتية وتركيبها أيضًا.
- وعلى مستوى النحو يمكن تحليل الجمل وإعرابها وتوليدها آليًا.

مثال: كلمة "إخراج":

عناصر التحليل: إ + خرج + الألف

الصيغة الصرفية: إفعال

قسم الكلمة : مصدر

الحالة الإعرابية: الرفع

جذر الكلمة: خ ر ج

الدلالـــــة : إبراز شيء معين للوجود

٣- استخدام الحاسوب فى الفهم الأوتوماتى للسياق اللغوى:

ويمثل هذا العنصر الهدف الأسمى للنظم الآلية للتحليل اللغوى، وهناك محاولات فى إطار اللغة المنطوقة والمكتوبة على السواء، ولكن المعضلة التى تقف عثرة أمام تحقيق هذا العنصر هى أن عنصر الدلالة لا يعتمد فقط على ما هو مكتوب أو منطوق، بل على خلفية ثقافية واسعة وعلى المسرح اللغوى، وعلى احتمالية تعدد أوجه المعنى، ولا يحسمها إلا العقل البشرى حتى الآن.

استخدام الحاسوب فى المعاجم الآلية:

وهذا عنصر قد نهض به الحاسوب على مستوى الإنجليزية وغيرها من اللغات بصورة باهرة، وأهم ملامحه:

أ- تخزين أكبر كم من المواد اللغوية وما يتعلق بها من شروح فى أقراص بسيطة صغيرة الحجم، سهلة التداول.

ب- تحليل العلاقات التى تربط المفردة بمفردات أخرى، والعلاقات الدلالية والصرفية والنحوية لها.

ج- تحليل تعريفات الكلمة المختلفة.

د- ومن الإنجازات التى تمت فى العربية: إنجازات صخر ، د. أحمد مختار عمر.

استخدام الحاسوب فى الترجمة الآلية:

وهذا العنصر من الغايات النهائية لنظم التحليل اللغوى الحاسوبى، وقد قطعوا فيه شوطًا لا بأس به، لكن تصادفه عقبات، أهمها:

١- عدم التقابل الكامل بين مفردات اللغة المختلفة.

٢- التباين فى طبيعة تركيب الجملة بين لغة وأخرى.

استخدام الحاسوب فى تعليم اللغات:

وقد أنجز تقدمًا ملحوظًا لهذا العنصر وبخاصة فى مجال المفردات، لتنمية حصيلة الفرد من الكلمات، وتنمية مهارة القراءة والكتابة.

لكن مازالت تواجهه عقبات، أهمها:

- غياب عنصر الكلام المنطوق الذى يواكب الدلالات المختلفة، لكن هنالك نمط جامد لا يتلون مثل تلون الصوت البشرى.

- صعوبات أمام برمجة العربية بالكمبيوتر فى المستوى المنطوق: فالحاسوب جهاز دقيق، يحتاج إلى تحديد دقيق لكل المعارف التى تدخل فيه من خلال برامج وأنظمة تتيح استدعاء هذه المعارف والانتفاع بها.

ومن هنا فإن برمجة العربية تواجهها الصعوبات التالية:

١- فى المستوى الصوتى:

- الثنائيات الصوتية فى العربية، مثل:

ت ←——— ط ، ذ ←——— ز.

د ←——— ض ، ث ←——— س ...إلخ.

وما من شك فى أن تحديد القيمة الصوتية بدقة ووضوح لكل وحدة صوتية أمر مهم للغاية؛ كى نتفادى الاختلاط الحادث عند كثير من المتكلمين بين هذه الأصوات المتشابهة والتى بينها فارق صوتى بالتفخيم أو الترقيق.

أيضًا الكلمات ذات النهايات الصوتية الواحدة فى حين يختلف الحرف الأخير من كلمة لأخرى، مثل: عصا، منى، هــدى، سعى، دعا ...إلخ.

فينبغى تحديد الزمن الصوتى الذى يميز مبنى متشابهًا مع مبنى آخر.

٢- فى المستوى الصرفى:

على مستوى المعجم، فليس هناك ترتيب معهود ينظم الأفعال والأسماء، والمجرد والمزيد...إلخ فى ترتيب وتنظيم يخرجنا من عشوائية عرض كلمات المادة الواحدة فى المعجم العربى، اللهم إلا بعض المحاولات المعاصرة، على نحو ما نجد فى المعجم الأساسى.

إن ضبط هذا العنصر يُعد خطوة فى تيسير العربية للتعامل مع الحاسوب.

٣- فى المستوى التركيبى:

يشمل هذا المستوى التراكيب الصغرى فى العربية التى لا تكون جملة، مثل: المضاف والمضاف إليه، والصفة والموصوف .. إلخ.

كما يشمل أيضًا التراكيب الكبرى التى تكون جملة (فعلية أو اسمية)، ومسألة الوجوه المختلفة للإعراب ينبغى تقنيتها بشكل محدد، كذلك ضبط أنماط الجملة فى العربية ضبطًا يقوم على اعتبار الواقع، ويتسم بالدقة والوضوح كى ننجح فى تيسير العربية للحاسوب.

٤- فى المستوى الدلالى:

مطلوب ضبط المجالات الدلالية للعربية على النحو التالى:

١- مجالات دلالية عامة (رئيسة).

٢- مجالات دلالية خاصة (فرعية).

٣- مجالات دلالية جزئيــة.

... وهكذا، وتوزيع الثروة اللفظية للعربية على المجالات الدلالية بتحديد ووضوح كى يتيسر برمجة العربية دلاليًّا على الحاسوب.

ويتطلب هذا تحديد الملامح الدلالية العامة لكل مجال دلالى، وأيضًا تحديد الملامح الدلالية المميزة داخل كل مجال.

اللغة والمعلومات والعولمـــة

اللغة هى المحور الأساسى لنقل المعلومات، على اختلاف أنواعها وتشـــعُّب مجالاتها؛ فالعقل الإنسانى يفكر باللغة، ويترجم أفكاره إلى اللغة، والنشاط الإنسانى بأسره لا تقوم له قائمة بدون اللغة.

وفى مجال المعلومات يلزم أن تعالج اللغة آلـــيًّا بواسطة الكمبيوتر، لكى تقوم بدورها فى نقل المعلومات.

ولقد استحدثت اللغة لنفسها ـــ فى ظل الكمبيوتر والمعلوماتية ـــ أدوارًا جديدة، بجوار دورها الاقتصادى والسياسى والمعرفى السابق، فاللغة تسهم بدور أساسى فى الأفكار المحورية للغات البرمجة، وتعد اللغة والنظام اللغوى عنصرًا جوهريًا فيما يطرح على ساحة الذكاء الاصطناعى (الجيل الخامس من الكمبيوتر)، حيث ينتظر أن تقوم اللغة بدور الوسيط فى الحوار بين الإنسان والآلة (الكمبيوتر المفكِّر)، ونحن فى انتظار التواصل نصف البشرى مع الآلة، لدرجة أنه ربما يكون فى الإمكان أن يتم تبادل المعلومات بين الإنسان والآلة، الأمر الذى لا بد أن يكون عبر اللغة. وإن كنا لا نود ـــ هنا ـــ أن نثير الأوهام بشأن الآلة التى تفكر للإنسان، أو حتى تحلم له وبـــه !! فقط نشير إلى الدور المحورى للغة فى العلاقة بين الإنسان والآلة فى كل مستويات تطورها.

هذا عن اللغة بوجه عام؛ فإذا انتقلنا إلى الحديث عن دور كل لغة فى مسألة المعلوماتية والمعالجة بالكمبيوتر، فإن ذلك سيرتبط ـــ فى الوقت الحالى ـــ بالعولمة وتأثيراتها على اللغة، فهل تؤثر العولمة على اللغة إيجابًا أم سلبًا؟ وفـــاقًا أم صراعًا؟.

ولعل السمة الأولى من سمات العولمة أنها لا تعترف بالخصوصيات الثقافية أو اللغوية. وهذه السمة لها ـــ بدورها ـــ تأثير مزدوج على اللغة: فهى، من ناحية، تضع

اللغة فى إطار النظرية العامة، وتنظر إلى اللغات الإنسانية بوصفها كُلاًّ، وتتيح لنا أن ندرك القواسم المشتركة ومواضع الاختلاف والتباين بين اللغات. وعلى قدر قرب اللغة من هذا النموذج النظرى تتخذ موقعها فى إطار المعلوماتية.

ومن ناحية أخرى تؤثر العولمة بالسلب على اللغة، حيث تفرض سيادة لغة من لغات الدول التى تهيمن على العالم اقتصاديًّا وسياسيًّا وعسكريًّا، ويستتبع هذا سيادة الثقافة والقيم الخاصة بهذه اللغات. وبالتبعية يحدث تهميش وإزاحة للغات والثقافات الأخرى عن موقع التأثير، والدليل على هذا أن شبكة (الإنترنت) بما تحمـــله من فيضان المعلومات المختلفة، تهيمن عليها اللغة الإنجليزية، مما يثـــير فزع الدول التى لا تنطق بالإنجليزية، لأن الأمر لا يقف عند حدود اللغة فقط، بل يتعداها إلى سيادة الثقافة المتصلة بها.

العربــية وتحديات العولمــة

تتســـم العربية بملامح وسمات لغوية تؤهلها لاستيعاب كل التغيرات المستحدثة والتباينات المختلفة فى اللغات الأخرى، وبذلك فهى مهيئة ـــ من داخلها ـــ لأن تصبح لغة عالمية.

وقد نجحت العربية فى هذا الدور فى عصور الازدهار والفتوحات، وكانت أداة فعَّالة لنقل المعارف والعلوم، حتى قيل فى المثل:

" عجبت لمن يدَّعى العلم ويجهـــل العربية !!".

ومن أهم الخصائص اللغوية التى ترشح العربية للعالمية: التزامها بالقاعدة الذهبية فيما يخص التوازن اللغوى، فهى تجمع بين كثير من خصائص اللغات الأخرى.

وفى ظل العولمة تتعرض العربية لحركة تهميش وإزاحة، بفعل الضغوط الهائلة الناجمة عن طغيان الإنجليزية، على المستويات السياسية والاقتصادية والتكنولوجية بالإضافة إلى ما يشبه "حرب العولمة" ضد الإسلام، وبالتالى ضد العربية، وسعى المستشرقين لإضعاف اللغة العربية والتهويل من شأن مشكلة الفروق اللهجية بين الأقطار العربية، وإغفال نموذج الفصحى المرتبط بالقرآن الكريم، الذى يفهمه كل العرب؛ مما يـــدل على اتفاقهـــم فى لغة واحدة تعينهـــم على صنع تكتل لغوى ثقافى، بدلاً من الاستسلام للتغريب فى ظل هيمنة الإنجليزية على الكمبيوتر والإنترنت.

▪ العربية ودور اللغة فى عصر المعلومات (المنظور العربى):

تعانى لغتنا العربية واقعًا مريرًا، يتمثل فيما نشـــهده من تقاعس لغوى ينحـــو بها بعيدًا عن التواصل مع الثقافات العالمية واتخاذ موقعها على خارطة المعلومات العالمية، وحسبك أن تنظر إلى إعلانات التليفزيون ولافتات الشوارع وغيرها، وما تحتوى عليه

من ألفاظ أجنبية، مثل : السلام شوبنج سنتر، الحرية مول، سوبر ماركت ... إلخ. على الرغم من وجود كلمات عربية للتعبير عن هذه المسميات، وكأننا نسعى بإرادتنا إلى تدمير لغتنا وثقافتنا العريقة، ونحرم أنفسنا عمدًا من عضوية نادى المعلومات العالمى، فى حين تعمل الأمم الأخرى جاهدة للوصول إلى موقع لغوى متميز على الساحة العالمية، فنجد إسرائيل ـ مثلاً ـ تحرّم استخدام المصطلح الأجنبى فى حالة توفر مقابل له بالعبرية.

ومن مظاهر الخمول والتقاعس اللغوى الذى تشهده العربية غياب إرادة الإصلاح اللغوى، ورغم وجود مجامع ومؤسسات لغوية كالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، فإن هذه المؤسسات لا تملك سلطة التشريع اللغوى، وكل ما لديها توصيات وقرارات توضع على الأرفف أو فى جبّانة المعامل، كأنهم يؤلّفون لأنفسهم!.

ومن السلبيات التى تؤثر على العربية ضعف اهتمامنا بتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، بل لقد لحق الضعف بتعليم العربية لأبنائها أنفسهم، وحسبك نظرة عابرة إلى صحيفة أو مجلة أو كتاب، بل حتى إلى رسالة أكاديمية لترى العجب العجاب من أخطاء لغوية تمس البناء اللغوى كله، لا مجرد أخطاء نحوية يسيرة.

وعلى النقيض من هذه الحال المؤسفة تسعى الأمم الأخرى إلى حماية لغتها وفرضها على الخريطة الجيولغوية، فنجد اليابان تسعى حثيثًا لمواجهة الهيمنة الأمريكية على الإنترنت، وكانت البداية فى مشروع الجيل الخامس الذى أطلقته اليابان فى بداية الثمانينات، كردّ فعل تكنولوجى يهدف إلى كسر سيادة الإنجليزية، وقوبلت فى سعيها هذا بعقبات سياسية واقتصادية من جانب أمريكا لعرقلة هذا المشروع، إلا أن اليابان لم تستسلم لهذه الضغوط، وركزت على تكنولوجيا الترجمة الآلية، مستغلة تفوقها ولا شك أن نجاح مشروع الترجمة الآلية والجيل الخامس سيكسر حاجز القطب اللغوى

الأوحد، وسيمكنك ــ وأنت عربي أو فرنسى ــ أن تفتح جهاز الكمبيوتر فيقوم الجهاز بتحويل كل الكلام المكتوب بالإنجليزية إلى لغتك التى تتحدث بها.

وتسعى دول أخرى إلى فرض لغتها على الساحة العالمية، مثل ألمانيا التى تتجه حاليًّا إلى إقامة حلف لغوى يجمع بينها وبين النمسا وسويسرا، وكذا تعمل فرنسا على توسيع نطاق اللغة والثقافة الفرنسيتين فى إطار منظمة الدول الفرانكفونية.

وعلينا أن نضع أمامنـــا هذه المشروعات الطموحة ونحذو حذوها، بغية تحقيق الأمن اللغوى، حفاظًا على لغتنا الخالدة وحماية لها من طوفان التغريب الذى لن يقتصر على اللغة وحدها، بل سيمتد إلى الثقافة وأنماط التفكير والجذور والمنابع التى تنتمى إليها رؤيتنا للعالم.

لذلك مطلوب فى مواجهة ذلك أن ننشط فيما يلى:

- توثيق صلات العربية بفروع المعرفة المختلفة، مثل الإعلام (علم الإعلام اللغوى)، والسياسة (علم اللغة السياسى)، والاجتماع (علم اللغة الاجتماعى)، والفلسفة (علم اللغة الفلسفى) .. إلخ.
- دعم وتنمية الجهود التى تهدف إلى تعريب الكمبيوتر، وليكن شعارنا: التعريب فى مواجهة التغريب.
- أيضًا توثيق علاقات اللغة العربية بالفنون بنظرة أوسع، وقد اختصرت تكنولوجيا المعلومات المسافة الفاصلة بين العلم والفن.
- وعلى العربية أن تستفيد فى مسائل التنظيم والترتيب بما وصلت إليه علوم الرياضيات والإحصاء والهندسة.

ولا بد من تكاتف الجهود لوضع العربية وما تشمله من معارف وثقافات على قاعدة معلومات منظمة تكون مهيأة للمعالجة الآلية بالكمبيوتر، وذلك لأن أهمية موقع بأى لغة على الإنترنت لا تتأتى من مجرد الأسماء والبيانات التى يقدمها عن هذه اللغة، بل تتأتى أهميته بقدر ما يقدم من معلومات وأفكار تحملها هذه اللغة.

المصادر والمراجع

أولاً: العربيـــــة

ا ـــ الكتب

الآمـــــدى : سـيف الدين أبو الحسن على بن محمد التغلبى ، ٥٥١ – ٦٣١هـ. الإحكام فى أصول الأحكام/ حققه عبدالمنعم إبراهيم ــ مكة المكرمة : مكتبة نزار مصطفى الباز، ٢٠٠٠م . ــ ٤ج × ٢ مج.

إبراهـــــيم : ابن أحمد المارغنى التونسى. دليل الحيران: شرح مورد الظمآن فى رسم وضبط القرآن للعلامة الخزاز/ راجعه وحققه عبدالفتاح القاضى ــ القاهرة: دار القرآن (١٩٧٤م) . ــ ٤٧٧ص.

د.إبراهيم أنيس .دلالة الألفاظ.ــ ط ٥ .ــ القاهرة:مكتبة الأنجلو، ١٩٨٤. ــ٢٦٨ص.

فى اللهجات العربية . ــ ط ٦ . ــ القاهرة: مكتبة الأنجلو، ١٩٧٣م . ــ ٣٤٩ص.

د.إبراهيم السامرائى .التطور اللغوى والتاريخى. ــ ط ١٣ . ــ بيروت: دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٤م.

أبو حيان النحــوى: أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف بن على بن يوسف الغرناطى، ٦٥٤ – ٧٤٥هـ. تفسير البحر المحيط . ــ ط ٢١ . ــ (د ــ م): دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع . ــ ١٩٨٣م . ــ ٨ ج.

أبو داود السجستانى: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو بن عمران الأزدى، ٢٠٢ – ٢٧٥هـ. سنن أبى داود / إعداد وتعليق عزت عبيد الدعـــاس . ــ ط ١ . ــ حمص: نشر وتوزيع محمـــد على السـيد، ١٩٦٩م . ــ ٥ ج.

أبو السعود العمادى: أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى الحنفى، ٨٩٨-٩٨٢هـ. تفسير أبي السعود: المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم . ــ بيروت: دار إحياء التراث، (١٩٠٠م) . ــ ٩ج × ٤مج.

أبو الفرج الأصفهانى: على بن الحسين بن محمد بن الهيثم عبدالرحمن بن مروان البغدادى، ٢٨٤ ــ ٣٥٦هـ. كتاب الأغانى. ــ القاهرة: دار الشعب، ١٩٦٩م.

أبو نعيم الأصبهانى : أحمد بن عبدالله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الصوفى، ٣٣٦ ــ ٤٣٠هـ. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. ــ بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع(١٩٨٠م) . ــ ١٠ ج.

ابن الأثير المؤرخ : عز الدين أبو الحسن على بن محمد بن عبدالكريم الشيبانى الجزرى، ٥٥٥ ــ ٦٣٠هـ. أسد الغابة فى معرفة الصحابة. ــ بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (١٩٨٠م) . ــ ٦ ج.

أحمد محمد قدور .العربية الفصحى المعاصرة: دراسة فى تطورها الدلالى من خلال شعر الأخطل الصغير . ــ لبنــــان : الدار العربية للكتاب، ١٩٩١م . ــ ٤٣٣ص.

د.أحمد مختار عمر: أخطاء اللغة العربية المعاصرة عند الكتاب والإذاعيين . ــ ط ٢. ــ القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٣م . ــ ٢٦٩ص.

البحث اللغوى عند الهنود وأثره على اللغويين العرب . ــ بيروت: دار الثقافة ، ١٩٧٢م.

علم الدلالة. ــ ط ٣ . ــ القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٢م. ــ ٢٩٧ص.

اللغة واختلاف الجنسين. ــ ط ١١. ــ القاهرة:عالم الكتب، ١٤١٦هـ . ــ ١٩٩٦م . ــ ١٨٩ص.

اللغة واللون. ــ ط٢ . ــ القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٧م . ــ ٢٦٩ص.

محاضرات فى علم اللغة الحديث . ـــ ط ١ . ـــ القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٥م . ـــ ١٩٩ص.

أولـــمان: ستيفن . دور الكلمة فى اللغة / ترجمة وتقديم وتعليق كمال محمد بشر . ـــ القاهرة: مكتبة الشباب، ١٩٦٢م. ـــ ٢٦٣ص.

الأشــــــمونى: نور الدين أبو الحسن على بن محمد بن عيسى بن يوسف، ٨٣٨ ـــ ٩٠٠ هـــ. شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك المسمى منهج السالك إلى ألفية ابن مالك / حققه وشـــرح شواهده محمد محيى الدين عبدالحميد . ـــ ط ٢.ـــ القاهرة: مطبعة مصـــطفى البابى الحلبى وأولاده، ١٣٥٨هـــ ـــ ١٩٣٩م.ـــ٣مج.

الأنبـــــــارى: أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن بن بيان، ٢٧١ ـــ ٣٢٨هـــ. كتاب الأضداد/ حققه محمد أبو الفضل إبراهيم . ـــ بيروت: المكتبة العصرية، ١٩٨٧م ـــ ٥١٧ص.

الباقـــــــورى: أحمـــد حســـن. أثر القرآن فى اللغة العربية . ـــ ط ٣ . ـــ القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٣م . ـــ ١٣٢ص.

بـــــــــاى: ماريـــو. أسس علم اللغة/ ترجمة د. أحمد مختار عمر . ـــ ط ٢ . ـــ القاهرة: عالم الكتب، ١٩٨٣م . ـــ ٢٩١ص.

البخـــــــارى: أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه، ١٩٤ ـــ ٢٥٦هـــ. صحيح البخارى/ حققه محمـــــد زكى الدين محمد قاســـــم . ـــ القاهرة: دار الصفوة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٢هـــ ١٩٩٢م . ـــ ٤ مج.

د. البدراوى زهران . علم اللغة التطبيقى فى الـــمجال التقابلى . ـــ ط خاصـــة . ـــ القاهـــرة : (د ـــ ن)، (١٩٩٧).

بـــــــــيرس : يـــر .اللغة بين الفرد والمجتمع / ترجمة أيوب عبدالرحمن . ـــ القاهرة : مكتبة الأنجلو، ١٩٥٤م.

البيهـــــــــقى: أبو بكر بن الحسين بن على بن عبداله بن موسى النيسابورى، ٣٨٤ــ ٤٥٨هــ. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة / أخرجه عبدالمعطى قلعجى . ــ ط١ . ــ بيروت: دار الكتب العلمـــية، ١٩٨٥ . ــ ٧ أسفار.

د.تمـــام حســـان: البيان فى روائع القرآن: دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآنى . ــ القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٣م . ــ ٦٠٨ص.

اللغة العربية معناهـــا ومبنـــاها . ــ ط٣ . ــ القاهرة: عالم الكتب، ١٤١٨هــــ ١٩٩٨م . ــ ٣٧٨ص.

الثعـــــــــالبى: أبو منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل النيسابورى، ٣٥٠ ــ ٤٢٩ هــ، فقه اللغة وسر العربية / حققه ورتبه ووضع فهارسه مصطفى السقا، إبراهيم الأبيارى، عبدالحفيظ شلبى . ــ القاهرة: مكتبة المجلد العربى، ١٩٧٢م . ــ ٤١٦ص.

الجـــــاحــــظ : أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب بن فزارة الكنانى البصرى، ١٦٣ــ ٢٥٥هــ. رسائل الجاحظ / حققه وشرحه عبدالسلام محمد هارون . ــ القاهرة: مكتبة الخانجـــى، ١٩٦٤م . ــ ٤ ج × ٢ مج.

البيان والتبيـــين / حققه وشرحه عبدالسلام محمد هارون . ــ القاهرة: مكتبة الخانجـــى، ١٩٨٥م . ــ ٤ ج × ٢مج.

كتاب الحيوان / حققه وشرحه عبدالسلام محمد هارون . ــ بـــيروت: دار الجيـــل، ١٩٩٦م . ــ ٨ج.

الجرجــــــــــانى: أبو بكر عبدالقـــادر بن عبدالرحمن النحوى، ... ــ ٤٧١هــ. دلائل الإعجاز / حققه وشرحه محمد عبدالمنعم خفاجى . ــ القاهرة: مكتبة القاهرة، ١٩٨٠م . ــ ٥١٠ص.

ابن الجـــزرى : شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن على بن يوسف العمرى، ٧٥١ ــ ٨٣٣هـ. النشر فى القراءات العشر / إشراف ومراجعة على محمد الضباع . ــ بيروت: دار الكتب العلمية، (١٩٨٠م) . ــ ٢ ج.

ابن جماعـــة : بدر الدين أبو عبدالله محمد بن إبراهيم بن سعد الله الكنانى الحموى، ٦٣٩ ــ ٧٣٣هـ.كشف المعانى فى متشابه المثانى .ــ حققه وقدمه وعلق عليه د. محمد محمد داود، القاهرة :دار المنار للنشر والتوزيع، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م . ــ ٢٧٤ص.

ابن جـــنى: أبو الفتح عثمان الموصلى البغدادى، ٣٣٠ ــ ٣٩٢هـ . الخصائص . ــ حققه محمد على النجار . ــ ط ٣ مزيــدة ومنقحــة . ــ القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م . ــ ٣ ج.

الحاكم النيسابورى: أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد بن حمدون بن نعيم الضب الطهمانى، ٣٢١ ــ ٤٠٥هـ. المستدرك على الصحيحين / أشرف عليها يوسف عبدالرحمن المرعشلى . ــ بيروت: دار المعرفة، (١٩٠٠م) . ــ ٥ ج.

د. حسن حـــنفى ... (وأخ). لغتنا العربية فى معركة الحضـــارة / إشراف محمود أمين العالم . ــ القاهرة: قضايا فكرية للنشر والتوزيع، ١٩٩٧م . ــ ٣١٣ص.

د. حلمى خـــليل مقدمة لدراسة علم اللغـــة . ــ الإسكندرية: دار المعرفـــة الجامعية، ١٩٩٥م . ١٧٩ص.

ابن حـــنبل: أبو عبدالله أحمد بن محمد بن هلال بن أسد بن إدريس الشيبانى، ١٦٤ــ ٢٤١هـ. المسند / شرحه وصنفه أحمد محمد شاكر . ــ ط ٣ . ــ القاهرة : دار المعارف للطباعة والنشر، ١٩٤٩ ــ ١٩٨٠ . ــ ٢٠ ج × ١٠ مج.

الخطيب القزوينى: جلال الدين أبو المعالى محمد بن عبدالرحمن بن عمر بن أحمد، ٦٦٦ ــ ٧٣٩هـ. الإيضاح فى عـــلوم البلاغـــة: المعانى والبيان والبديع . ــ ط١ . ــ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٥م . ــ ٤٤٨ص.

ابن خــــلدون: ولى الدين أبو زيد عبدالرحمن بن محمد بن محمد الأشبيلى، ٧٣٢ ــ ٨٠٨هــ. مقدمة ابن خلدون . ــ ط ٦ . ــ بيروت: دار القلم، ١٩٨٦م . ــ ٥٩٢ص.

الخــليل بن أحمد: أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدى، ١٠٠ــ١٧٠ هــ. كتاب العين / حققه مهدى المخزومى، إبراهيم السامرائى . ــ العراق: دار الرشيد للنشر، ١٩٨٠ ــ ١٩٨٤م . ــ ٤ مج.

د. داود عــبده دراسات فى علم اللغة النفســى . ــ الكويت . ــ جامعة الكويت: مطبوعات الجامعة ١٩٨٤م . ــ ١٢٦ص.

د. رمضان عبدالتواب بحوث ومقالات فى اللغة . ــ ط١ . ــ القاهــرة: مكتبة الخانجى، ١٩٨٢م . ــ ٢٨٨ص.

التطور اللغــوى: مظاهــره وعلــله وقوانينــه . ــ ط٢ مزيدة ومنقحة . ــ القاهرة: مكتبة الخانجى، ١٩٩٠م . ــ ٢٣١ص.

الزبيــــــدى: أبو بكر محمد بن الحسن بن عبدالله بن مذحج بن محمد بن عبدالله بن بشر الإشبيلى، ٣١٦ ــ ٣٧٩هــ. طبقات النحويين واللغويين / حققه محمد أبو الفضل إبراهيم . ــ ط٢ . ــ القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٣م . ــ ٤١٤ص.

الزجــاجــى : أبو القاسم عبدالرحمن بن إسحاق النهاوندى البغدادى، ... ــ ٣٤٠هــ. مجالس العلماء /حققه عبدالسلام محمد هارون . ــ ، ط ٢ . ــ القاهرة: مكتبة الخانجى ١٩٨٣م . ــ ٣٤٤ص.

الزركشــــى : بدر الدين أبو عبدالله محمد بن بــهادر بن عبدالله التركى المصرى، ٧٤٥ ــ ٧٩٤هــ. البرهان فى علوم القرآن / حققــه محمد أبو الفضل إبراهيم . ــ القاهرة: مكتبة دار التراث، ١٩٥٧م . ــ ٤ مج.

الزمخشـــــــرى: جار الله أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمى، ٤٦٧ ـــ ٥٣٨هـــ. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل . ـــ ط١ . ـــ بيروت: دار الفكر، ١٩٨٣م . ـــ ٤ مج.

ســتكيفــتش : **جاروسلاف** .العربية الفصحى الحديثة: بحوث فى تطور الألفاظ والأساليب / ترجمه وعلق عليه محمد حسن عبدالعزيز . ـــ الجيزة : دار النمر للطباعة، ١٩٨٥م . ـــ ٢٩٨ص.

د.ســعد مصلوح: .دراســة السمع والكلام . ـــ القاهرة: عالم الكتب، ١٤٠٠هـــ. = ١٩٨٠م . ـــ ٣٣٣ص.

د. الســـعــيد محمــد بــدوى. مستويات العربية المعاصرة فى مصر: بحث فى علاقة اللغة بالحضارة . ـــ القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٣م.ـــ ٢٢٣ص.

ســـــيبويــه: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الفارسى، ١٤٨ـــ ١٨٠هـــ. الكتاب: كتاب سيبويه / حققه وشرحه عبدالسلام محمد هارون . ـــ ط ٣ . ـــ القاهرة: مكتبة الخانجى، ١٩٨٨م . ـــ ٥ ج.

الســــــيوطى: جلال الدين أبو الفضل عبدالرحمن بن أبى بكر بن محمد الخضيرى، ٨٤٩ ـــ ٩١١هـــ. الإتقان فى علوم القرآن . ـــ بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٣٦٨هـــ = ١٩٤٩م . ـــ ٢ج.

بغـــية الوعـــاة فى طبقات اللغويين والنحاة / حققه محمد أبو الفضل إبراهيم . ـــ ط ٢ . ـــ بيروت: دار الفكر ، ١٩٧٩م . ـــ ٢مج.

المزهـــر فى علوم اللغة وأنواعها / شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته محمد أحمد جاد المولى، محمد أبو الفضل إبرهيم، على محمد البجاوى . ـــ بيروت: منشورات المكتبة العصريـــة، ١٩٨٦م . ـــ ٢ ج.

ابن ســـــيده : أبو الحسن على بن إسماعيل الأندلسى، ٠٠٠ ـــ ٤٥٨هـــ. المخصص . ـــ بيروت: دار الفكر، ١٩٧٨م . ـــ ١٧ سفرًا × ٥ مج.

د.صبرى المتولـــى: دراسات فى علم الأصوات / أجازه: د. شوقى ضيف . ـــ القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٤٢١هـــ = ٢٠٠٠م . ـــ ١٢٤ص.

صلاح عبدالصبور .الأعمال الكاملة . ـــ القاهـــرة: الهيـــئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٩م . ـــ ج ١، ج٤ ـــ ١١.

الطـــــــبرانى: ابو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمى الشامى، ٢٦٠ ـــ ٣٦٠هـــ. المعجم الأوسط / حققه محمود أحمد الطحان . ـــ ط١ . ـــ الرياض: مكتبة المعارف، ١٤٠٥هـــ = ١٩٨٥م . ـــ ١١ ج.

الطـــــــبرى: أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الآملى، ٢٢٤ ـــ ٣١٠هـــ. جامع البيان عن تأويل آى القرآن . ـــ بيروت، دار الفكر، ١٩٨٤م . ـــ ١٥ مج.

د. طه الدســـوقى حبيش الدمياطى .الهجـــرة بين سنن الله الجارية وسننه الخارقة . ـــ ط ١ . ـــ القاهرة: مكتبة رشوان، ١٤١٨هـــ = ١٩٩٨م . ـــ ٤٢٧ص.

ابن عبد البر القرطبى : جمال الدين أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر بن عاصم النمرى المالكى، ٣٦٨ ـــ ٤٦٣هـــ. الاستيعاب فى معرفة الأصحاب / حققه على محد البجاوى . ـــ ط١ . ـــ بيروت: دار الـــجيل، ١٩٩٢م . ـــ ٤ مج.

د.عبد الرحمن أيوب .أصوات اللغة . ـــ ط١ . ـــ القاهـــرة: مطبعة دار التأليف، ١٩٦٣م . ـــ ٢٢٣ص.

د.عبد الصبور شاهين .دراسة إحصائية لجذور معجم تاج العروس / مؤلف مشارك د. على حلمى موسى . ـــ الكويت : مطبوعات جامعة الكويت، ١٩٧٣م . ـــ المطبوعات رقم ٣٢.

العربية لغـــة العلوم والتقنيـــة . ـــ ط ٢ . ـــ القاهرة: دار الاعتصام للطبع والنشر والتوزيع، ١٩٨٦م . ـــ٤٧٠ص.

في التطور اللغوى . ـ القاهرة: مكتبة دار العلوم، ١٣٩٥هـ = ١٩٧٥م . ـ ٢٥٥ص.

في علم اللغة العام . ـ ط٤ . ـ بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٤م . ـ ٢٨٨ص.

د. عبدالعزيز شرف .اللغة الإعلامية: علم الإعلام اللغوى . ـ القاهرة: المركز الثقافي الجامعى، ١٩٨٠م . ـ ٢٣٨ص.

د. عبدالعزيز مطر .لحن العامة: في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة . ـ ط ٢ . ـ القاهرة: دار المعارف، ١٩٨١م . ـ ٤١٠ص .

عبد الوارث عسر .فن الإلقاء . ـ ط ٣ . ـ القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥ م . ـ ١٧٣ ص.

د.عبده الراجحى .فصول في علم اللغة . ـ الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٧م . ـ ٢٠٣ص .

اللهجات العربية في القراءات القرآنية: الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٥م.ـ ٢٧٦ص.

ابن العربى: أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد المعافرى الأشبيلى المالكى، ٤٦٨ ـ ٥٤٣هـ. عارضة الأحوذى: بشرح صحيح الترمذى . ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٠٠م . ـ ١٣ ج × ٧ مج.

العسكرى: أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران، ...، ٣٩٥هـ. الصناعتين / تحقيق على البجاوى، محمد أبو الفضل إبراهيم . ـ القاهرة: (د.ن) ، ١٩٥٢.

على حلمى موسى: ألفاظ القرآن الكريم : دراسة علمية تكنولوجية . ـ (د ـ م : د ـ ن)، ٢٠٠٠م . ـ ١٩٠ ص.

د. على عبدالواحد وافى .علم اللغــة . ــ ط ٩ مزيدة ومنقحة . ــ القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر، ١٩٨٤م . ــ ٣٤٦ ص.

فقه اللغة . ــ ط١١ . ــ القاهرة: دار نهضة مصــر للطبع والنشر، ١٩٨٨م . ــ ٣٢٨ص.

على محمد الضباع .سمير الطالبين : فى رسم وضبط الكتاب المبين / قرأه ونقحه وأذن بتدريسه محمد على خلف الحسين . ــ ط١ . ــ القاهرة: عبدالحميد أحمد حنفى، ١٩٣٦م . ــ ١٨٩ص.

غانم قدورى الحمد .رسم المصحف، دراسة لغوية تاريخية . ــ العراق : اللجنة الوطنية، ١٩٨٠م = ١٤٠٢هـ . ــ ٨٢٢ ص.

الغـــــزالـــــى: حجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسى، ٤٥١ ــ ٥٠٥هـ. فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة . ــ القاهرة: (د.ن) ، ١٣٢٥هـ.

ابن فـــــارس: أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب، ... ــ ٣٩٥ هـ. الصاحبى فى فقه اللغة . ــ القاهرة: مطبعة المؤيــد، ١٩١٠م .

د. فايز الدايــة .الجوانب الدلالية فى نقد الشعر فى القرن الرابع الهجرى . ــ دمشق: دار الملاح، ١٩٧٨م.

فرحان بلــبــل .أصــول الإلقاء والإلقاء المسرحي . ــ القاهرة: مكتبة مدبولى، ١٩٩٦م . ــ ٢٦٣ص.

فنـــدريـــس .اللغــة / ترجــمة عبد الحــميد الدواخلى، محمد القصاص . ــ القاهرة: (د ــ ن) ، ١٩٥٠م.

د. كريـــم زكى حسام الدين .أصول تراثية فى اللسانيات الحديثة . ــ ط ٣ مزيدة ومنقحة . ــ القاهرة: مكتــبة النهضة المصرية، ١٤٢١ = ٢٠٠١م . ــ ٣٢٧ص.

أصول تراثية فى علم اللغة . ـــ ط ٢ . ـــ القاهرة: مكتـــبة الأنجلو، ١٩٨٥م . ـــ ٣١٦ص.

القرابة: دراسة أنثرولغويـــة لألفاظ وعلاقات القرابة فى الثقافة العربية.ـــ ط١ . ـــ القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٠م . ـــ ٣٧٩ص.

المحظورات اللغوية . ـــ ط ١ . ـــ القاهـــرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٥م . ـــ ١٢٣ ص.

كـــــلاوس : جورج .لغة السياســـة / ترجمة ميشيل كيلو . ـــ ط٢ . ـــ بيروت: دار الحقيقة، ١٤١٠هـــ = ١٩٩٠م . ـــ ٢٢٤ ص.

د. كمال محمد بشر: التفكير اللغوى بين القديم والجديد . ـــ ط٢ . ـــ القاهرة: جامعة القاهرة، كلية دار العلوم، ١٩٨٩م . ـــ ٢٧٣ ص.

دراسات فى علم اللغة، ط٢، القاهرة، دار المعارف ١٩٧١م، ق ٢ .

علم اللغة الاجتماعى: مدخل، ط ٣، القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٧م.

ابن ماجـــــــة: أبو عبدالله محمد بن يزيد الربعى القزوينى، ٢٠٩:٢٧٣هـــ. سنن ابن ماجة حققه محمد فؤاد عبدالباقى. ـــ بيروت: المكتبة العلمية، ١٩٥٤م. ٢ ج.

د.مازن المبارك .نحو وعى لغـــوى . ـــ ط ٢ . ـــ بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦هـــ =١٩٨٥م . ـــ٢٠٨ص.

د. مازن الوعـــر .دراسات لسانية تطبيقية . ـــ دمشق : دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ١٩٨٩م.

مالبرج، برتيـــل .علم الأصوات / ترجمة عبدالصبور شاهين . ـــ القاهرة: مكتبة الشباب، ١٩٨٨م . ـــ٣٢١ ص.

المـــــــــبرد: أبو العباس محمد بن يزيد بن عبدالأكبر بن عمير بن حسان الثمالى الأزدى، ٢١٠ ـــ ٢٨٥هـــ. الكامل/ حققه محمد أحمد الدالى، ط١ بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٦م.ـــ ٤مج.

ابن المثـــــــنى: أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى البصرى الشعوبى الخارجى، ١١٢هـ - ٢٠٩ هـ. مجاز القرآن / تحقيق سـزكين . ـ القاهـرة: مكتبة الخانجى، (١٩٨٠).

مجد محمد الباكـير البرازى .مشكلات اللغة العربية المعاصرة . ـ ط١ . ـ عمان: مكتبة الرسالة الحديثة، ١٤٠٩هـ = ١٩٨٩م . ـ ٢٥٦ ص.

محمد إسماعيل محمد .الكلمة المذاعة : الدعاية ـ الخبر ـ الحديث . ـ القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦م . ـ ١٩٦ ص.

محمد بكر إسماعيـل .الفقـه الواضح من الكتاب والسنة على المذاهب الأربعة . ـ ط ٢ . ـ القاهرة: دار المنار، ١٤١٧هـ = ١٩٩٧م . ـ ٣ مج.

محمد خـلف الله (محقق ومعلق). ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن للرمانى والخطابى وعبدالقاهر الجرجانى:فى الدراسات القرآنية والنقد الأدبى/تحقيق: محمد زغلول سلام. ط٣، القاهرة: دار المعـارف، ١٩٧٦م . ٢٣٠ ص.

د.محمـد عـيد .المظاهر الطارئة على الفصحى: اللحن، التصحيف، التوليد، التعريب، المصطلح العلمى . ـ القاهرة: عالم الكتب، ١٩٨٠م . ـ ١٧٤ص.

محمد فهد خاروف .الميسر فى القراءات الأربعة عشر / راجعه محمد كريم راجح . ـ دمشق: دار ابن كثير، ١٤١٦هـ= ١٩٩٥م .

د. محمد محمد داود .الصوائت والمعنى فى العربية: دراسة دلالية ومعجم . ـ القاهرة: دار غريب، ٢٠٠١م . ـ ٢٢٦ص.

محمد محمد يوسف الطحلاوى .الشعر الجاهلى وأثره فى تفسير معانى القرآن الكريم حتى نهاية القرن الثانى الهجرى . ـ بنغـازى: منشورات جامعة قاريونس، ١٩٩٠م . ـ ٤٤٥ص.

د.محمود السعران .علم اللغـة، مقدمة للقـارئ العربى . ـ القاهرة: دار الفكر العربى، ١٤١٢هـ = ١٩٩٢م . ـ ٤٦٢ص.

محمود شـــــريف .فن الإلقـــاء . ـــ القاهرة: أبوللو للنشر والتوزيع، ١٩٩٢م . ١١٢ص.

د.محمود فهمي حجازى .علم اللغة العربية: مدخل تاريخى مقارن فى ضوء التراث واللغات السامية . ـــ القاهرة: مكتبة غريب، ١٩٩٢م . ـــ ٣٧٩ص.

مدخل إلى علم اللغة . ـــ ط٢ ثانية معدلة . ـــ القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٤٠٩هـــ = ١٩٨٩م . ـــ ١٩١ ص.

مرتضى الزبيدى: أبو الفيض محمد بن محمد بن محمد بن الرزاق الحسينى، ١١٤٥ـــ ١٢٠٥ هـــ. لحن العوام / حققه: د.رمضان عبدالتواب . ـــ القاهرة : دار المعارف، ١٩٦٦م.

مســــــــلم : الإمام أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد بن كرشان القشيرى النيسابورى، ٢٠٦ ـــ ٢٦١هـــ. صحيح مسلم . ـــ القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٤م . ـــ٥ ج.

د.مصطفى فهمي .أمـــراض الكلام . ـــ ط٥ . ـــ القاهـــرة: مكتبة مصر، ١٩٧٥م . ـــ ٣٤٠ص.

ملا على القارى: نور الدين على بن سلطان محمد الهروى، .... ، ١٠١٤هـــ .المنح الفكرية: شرح المقدمة الجزرية . ـــ القاهرة: شركة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده، ١٩٤٨م . ـــ ٨٣ص . ـــ بهامشـــه شرح أبى يحيى زكريا الأنصارى على المقدمة الجزرية / لأبى الخير محمد الجزرى.

المنـــــــــاوى: زين الدين محمد عبدالرؤوف بن تاج العارفين بن على الحدادى القاهرى الشافعى، ٩٥٢ ـــ ١٠٣١هـــ. فيض القدير: شرح الجامع الصغير / حققه حمدى الدمرداش محمد . ـــ ط١ . ـــ مكة المكرمة: مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٤١٨هـــ = ١٩٩٨م . ـــ ١٣ج.

ابن منظـــــور: جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن على بن أحمد بن أبي القاسم بن حبقة الأنصارى المصرى، ٦٣٠: ٧١١هـ. لسان العرب . ـ ط١، ٣ ـ بيروت: دار صادر، ١٩٩٠ـ ١٩٩٤م. ـ ١٨مج.

النابغـة الذبيانى: أبو أمامة زياد بن معاوية بن ضباب الغطفانى، (... ـ نحو ١٨ ق هـ ـ = ... نحو ٦٠٤م). ديوان النابغة الذبيـانى/ شرحه وقدمه عباس عبدالساتر . ـ ط١ . ـ بيروت:دار الكتب العلمـية، ١٩٨٤م . ـ ١٦٨ص.

نجـاة عـــلى .بين النظرية والتطبيق / قدمه مختار السويفى .ـ القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ١٤١٦هـ = ١٩٩٦م . ـ ١٩٩ص.

ابن النديـــم أبو الفرج محمد بن إسحاق بن أبي يعقوب النديم الوراق البغدادى، ... ـ ٤٣٨هـ.الفهرست /علق عليه إبراهيم رمضـان . ط١.بيروت: دار المعرفة، ١٩٩٤م . ـ٤٦٤ص.

النســـــائى: أبو عبدالرحمن أحمد بن على بن شعيب بن على بن سنان بن بحر بن دينار، ٢١٥ ـ ٣٠٣هـ. كتاب السنن الكبرى / حققه عبدالغفار سليمان البندارى، سيد كردى حسن . ـ ط١ . ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩١م . ـ ٧ ج.

هجمان، روى. سى .اللغة والحياة والطبيعة البشرية / ترجمه وقدمه داود حلمى أحمد السيد . ـ الكويت: جامعة الكويت، . . ١٩م . ـ٢٠٣ص .

وفاء محمد البيـــه .موسوعة عربية: تشريحية ـ فسيولوجيةـ نطقية ـ صوتية ـ لغوية ـ تعليمية ـ علاجية .ـ القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤م . ـ١٨٢٧ص.

ويلســـــون: جلين .سيكولوجية فنون الأداء / ترجمة: د.شاكر عبدالحميد؛ مراجعة: د.محمد عنانى . ـ الكويت : المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠ م . ـ ٤٣١ص.

يحيى بن حمـــزة: بن على إبراهيم العلوى، ٦٦٩ ـــ ٧٤٩هـــ. كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائـــق الإعجاز . ـــ بيروت: دار الكتب العلمـــية، ١٩٨٢م . ـــ ٣ج.

٢ – الدوريـــــــات

د. أحمد مختار عمر مجلة فصول . ع ٣، مج ٤.مقالة بعنوان: اللغة العربية بين الموضوع والأداة.

د.عبدالصبور شاهين مجلة الأمة . ـــ س ٦ ع ٦١ . ـــ مقالة بعنوان: قدرة العربية على استيعاب علوم العصر.

د.محمد محمد داود مجلة علوم اللغة، س ٣ ع١مج٣ (٢٠٠٠) . ـــ القاهرة: دار غريب، ١٩٩٨م . ـــ مقالة بعنوان: المغفرة، دراسة دلالية تأصيلية.

محمود فهمي حجازى مجـــلة عالم الفكر مج ٣،ع١ . ـــ مقالة بعنوان: أصول البنيوية فى علم اللغة .

٣ – محاضـــر الجلســـات

مجمع اللغة العربية القاهرة : المجمع، (د.ت) . ـــ مجموعة القرارات العلمية من الدورة الأولى إلى الدورة الثامنة والعشرين.

مجمع اللغة العربية القاهرة : المجمع، (د.ت) . ـــ محاضر جلســـــات المجمع الدورة ٤٣ . ـــ مقالة بعنوان: اللغة العربية المعاصرة.

ثانيًا: الأجنـــبية

١- إنجليزيـــة

Akmazion: ***Adrian***. *Linguistics: An introduction to Language and communication . – 3ED . – Cambridge: The MIT press, 1993 . – 508P.*

Azar: ***Betty S- chrampfer***. *Fundamentals of English Grammar . – New Jersey: prentice Hall Regents, 1992 . – 220P.*

Chwat: ***Sam***. *Living Language Speak up! . – New York: Crown publishers, Inc, 1994 . – 255P.*

Crystal: ***David*** *.The Cambnridge Encyclopedia of Language . – Cambridge: University press, 1987 . – 472p.*

Finegan: ***Edward***. *Language, its structure and use . – 2Ed . – America: harcourt Brace College Publishers, 1994 . – 536p.*

Fodor: janet Dean *. Semantics Theories of meaning in Generative Grammar . – 2Ed – New York: Harvard University press, 1982.*

Fromkin: Victoria *.An introduction to Language / Robert Rodman . – 3 ed . – New York: Hall, Rine Hart and minston, 1978.*

Holes: Clive *Modern Arabic: Structure, Functions and Varieties . – London: Longman, 1995 . – 343P.*

Hurford: james. R *.Semantics : a coursebook \ Brendum Heasley . – New York: Cambridge University press, 1990.*

Kempson: Ruth M *.Semantic Theory . – New York: Cambridge University press, 1989.*

Levinson: Stephen. C *.Pragmatics . – New York: Cambridge*

University press, 1989.

Lyons: John *.<u>Language and linguistics</u> . – New York: Cambridge University press, 1987.*
.<u>Semantics</u> . – Cambridge: University press, 1977 . – 2 Volumes.

Palmer: F. R *.<u>Semantics: a New outline</u> . – Cambridge: Cambridge University press, 1976.*

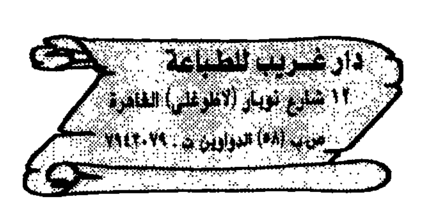
Robins: (R.H) *.<u>A short history of Lingiustics</u> . – London (w-p) , 1979.*

Smith: Neil *.<u>Modern linguistics: The Results of chomsky's Revolution</u> \ Deiude Wilson and Deirdre Wilson . – Bloomington: Indiana University press, (19..).*

٢- فرنسية

Robert: Paul *.<u>Petit Robert: Dictionaire de la langue Francais</u> . – Paris: Paul Robert, 1977.*

تم بحمد الله


دار غريب للطباعة
١٢ شارع نوبار (لاظوغلي) القاهرة
ص.ب (٥٨) الدواوين ت . ٧٩٤٢٠٧٩